الحرب الفدائية
في فلسطين
على ضوء تجارب الشعوب في قتال العصابات

المقدم محمد الشاعر
من قيادة جيش التحرير الفلسطيني

بيروت
١٩٦٧

اهداءات ٢٠٠١

اللواء/ محمد ضياء الدين زهدي

القاهرة

الحرب الفدائية

في فلسطين

على ضوء تجارب الشعوب في قتال العصابات

المقدم محمد الشاعر

من قيادة جيش التحرير الفلسطيني

بيروت

١٩٦٧

مقدمة

عندما انطلق شعار الحرب الفدائية او حرب العصابات وشعار حرب التحرير الشعبية وغير ذلك من الشعارات التي تحمل في مضمونها الترديد الواعي والنية الصادقة للشعوب العربية التي عقدت العزم على استرداد الارض المغتصبة في فلسطين واعادتها الى الوطن العربي الكبير ، أخذ المواطن العربي بصورة عامة والعربي الفلسطيني بصورة خاصة يفكر جديا بالاسلوب والطريقة والاداة ، ويتصور ما سيجري في حرب التحرير الفلسطينية ويقارنه بما جرى ويجري في حروب التحرير للشعوب الاخرى التي مرت وتمر بظروف مشابهة من بعيد او قريب للظروف الموضوعية لحرب التحرير الفلسطينية المقبلة .

ان هذه التصورات للمعركة الكبرى الحتمية مع العدو والارتقاء بها لمراحل اعلى ، بدءاً من الدراسة والتخطيط ثم الاعداد او التنظيم ، كل ذلك يتطلب منا الاحاطة والدراسة ثم التركيز على اهم العناصر التي ستلعب دورا هاما في معركة التحرير ، كالارض والانسان (العنصر الحاسم) والاسلحة والتموين ، وكلها عناصر مادية ، ثم الارادة والتدريب الجسمي والنفسي والزمن ، وهذه عناصر غير مادية . من هنا انطلقت مضامين هذه الدراسة وتحددت آفاقها التي ابتدأت باعطاء صورة شاملة عن الحرب واشكالها ، ثم انتقلت الى الارض او بمعنى آخر الى دراسة الجغرافية العسكرية لفلسطين . ومن الطبيعي ان كل مناضل لا يمكن له تحقيق الاهداف الصغيرة والكبيرة اذا لم يتعرف ولو بصورة عامة على الارض

التي سيقاتل عليها ، ونعني بذلك ارض فلسطين التي كدنا ننسى ملامحها بسهولها وجبالها وانهارها ومدنها وقراها ، ما كانت عليه وما هي كائنة عليه الآن ، وطبيعة السكان الذين اغتصبوها كيف يقاتلون ؟ ومع من يتعاملون ؟ كيف يديرون اقتصاد ارضنا المغتصبة بقطاعاتها المختلفة ؟ وغير ذلك من الامور التي لها مساس مباشر بحرب التحرير المقبلة .

ولما كان الشعب العربي الفلسطيني الذي كان ولا يزال يستمد قوته في الماضي والحاضر من الجذور التاريخية والاجتماعية التي ارتبطت بنضاله الطويل والقاسي المرير في ارضه الطيبة متجاوزا اقسى انواع الاضطهاد وأمرّ صور الظلم والاستبداد ابان الحكم البريطاني ، كان من الضروري اعطاء لمحات بارزة عن نضاله وتجاربه الحربية في قتال العصابات وخاصة عندما وقف ثوّاره الابطال من الفلاحين والعمال والمثقفين اكثر من ثلاثين عاما وهم شبه عزل من السلاح . وكانت ثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ هي الثورة الفلسطينية الكبرى بل الثورة العربية الكبرى حيث استشهد فيها من ابنائه الابرار اكثر من اربعة عشر الف شهيد كان منهم بعض الشهداء من اخوانهم العرب الذين انضموا للثورة وخاصة من الدول الشقيقة المحيطة بفلسطين — سوريه ولبنان والاردن .

وبعد ذلك تنتقل الدراسة الى احلك حقبة مرّ عليها التاريخ العربي الحديث والتي اضاع فيها العرب القسم الاكبر من ارض فلسطين مع ما رافقها من احداث خطيرة تهدد الكيانات العربية ولن يزول اثرها الا باستعادة

الوطن السليب . ثم تأتي تجارب الشعوب التي لها تاريخ نضالي في حرب الانصار ، مبتدئة بالتجربة السوفياتية فالتجارب الصينية والجزائرية والكوبية والقبرصية واخيرا حصيلة التجارب ، التجربة الفيتنامية التي لا زال موردها يعطي كل يوم درسا جديدا في فنون القتال لحرب التحرير الشعبية . واذا كانت الدراسة قد تجاوزت شعوب اخرى لها الدور نفسه في التجارب الغنية فليس معنى ذلك نكران بطولة باقي الشعوب او طمس مواقفها النضالية المشرفة كشعوب البلقان وآسيه وافريقيه واميركه اللاتينية التي سلكت في تحريرها طريقا مماثلا ، بل ان مثل هذا الكتاب عاجز عن ان يحوي بين سطوره دراسة موسعة لهذه المواضيع او غيرها .

واخيرا لا بد من الاعتراف بأن هذه الدراسة ليست مجهودا مبتكرا او ابداعا ثوريا جديدا في الكتابة العسكرية بل هي عمل متواضع استند على مجهودات عدد من الكتّاب العرب والاجانب الذين تطرقوا لمثل هذه الدراسة . انها محاولة قد تساهم ولو قليلا بتعميق معالم الطريق المؤدية لطرح القضية الفلسطينية من الوجهة العسكرية بصورة واقعية تعتمد على الدراسة والتحليل اكثر من اعتمادها على العاطفة والمبالغة في تقديرات المواقف التي تتعلق بنا بالدرجة الاولى وبالعدو بالدرجة الثانية .

يأمل واضع الدراسة بعمله هذا ضمن الحقل النظري لمعركة التحرير ان يكون قد ساهم بجزء يسير من الواجب المقدس لاسترداد ارض فلسطين الطيبة .

المقدم محمد الشاعر

مصـــادر البحـــث

رقم	اسم الكتاب او النشرة	اسم المؤلف او المرجع
١	خلف الخطوط	اروين بلاكر
٢	حرب الانصار	جنرال مكسويل
٣	حرب الانصار في اوكرانيا	هينريك مارتينز
٤	حرب الانصار	ماوتسي تونغ
٥	المعجم الدولي الجديد	وبستر
٦	جندي بين العرب	كلوب
٧	التعاون العسكري العربي	عميد حسن مصطفى
٨	النكبـــة	عارف العارف
٩	يوميـــات	العميد طه الهاشمي
١٠	المبادىء الاساسيــة للعقيـدة العسكريـة السوفياتيـة	ريموند غارتوف
١١	صدام اقــدار	يورد كيمشي
١٢	المجاهدون في فلسطين	محمد طارق الافريقي
١٣	بلادنا فلسطين	مصطفى الدباغ
١٤	المسيرة الى فلسطين	ناجي علوش
١٥	بطولات عربية من فلسطين	عيسى ناعوري وابراهيم قطان
١٦	جغرافية فلسطين المصورة	قسطنطين خمار
١٧	الجزائر الثائرة	جوان عيسى
١٨	ازيلوا اسرائيل	ايلين بيتي
١٩	الثورة العربية الكبرى في فلسطين	صبحي ياسين
٢٠	اسرائيل والشرق الاوسط	علي محمد علي
٢١	كارثة فلسطين	عبد الله التل
٢٢	الثـورة	ميناحيم بيجن ، ترجمة سمير صنبر
٢٣	نشرات الهيئة العربية العليا	
٢٤	بعض تقارير واحصاءات عن جيش الانقاذ	لم تعد سرية بعد مرور المدة المناسبة
٢٥	نشرات صادرة عن مؤسسة اللاجئين العرب الفلسطينيين بدمشق	
٢٦	نكبة ايقظت امة	مازن ابراهيم منصور
٢٧	قضية فلسطين	نجيب صدقة
٢٨	مواضيع عسكرية من مجلة فلسطين	
٢٩	جريدة الاهرام ومجلة التايمز	
٣٠	الموسوعة العربية	دار المعارف في ج.ع.م. مجموعة من الاساتذة
٣١	المجلة العسكرية	الجيش العربي السوري
٣٢	نشرة فلسطين	مراقبة البحوث والترجمة (الكويت)
٣٣	التخطيـط الاقتصـــادي والعسكري فـي اسرائيـل	محمد الشاعر
٣٤	دراسات عربية	دار الطليعة ــ بيروت
٣٥	دليل اسرائيل (مترجم عن الانجليزية)	الدكتور شابيرد
٣٦	People's War, Peoples's Army	Vo Nguyen Giap

رقم	اسم الكتاب او النشرة	اسم المؤلف او المرجع
٣٧	The Guerrilla and how to fight him	Col. T. N. Greene
٣٨	Mao Tse-tung on Guerrilla Warfare (Translation)	Brigadier Gen Samuel
٣٩	Communist Guerrilla Warfare	C. Aubrey Dixon and Otto Heilrunn
٤٠	General Grivas on Guerrilla Warfare (Translation)	A. A. Pallis
٤١	Guerrilla's in the 1960's	Peter Paret and John W. Shy
٤٢	The Guevara on Guerrilla Warfare	USMCR
٤٣	Partisan Warfare	Otto Heilbrunn
٤٤	Warfare in the enemy's rear	Otto Heilbrunn
٤٥	Hachette World guides ISRAEL	
٤٦	Communist Revolutionary Warfare The Vietminh in Indochina Primer for Revolt	George K. Tanham
٤٧	The Communist Take over in Vietnam	Troung Chinh
٤٨	The middle East and North Africa	Europa Publication Limited 1966 - 1965
٤٩	Statistical abstract of Israel 1965 No. 16	Jerusalem academic Press
٥٠	Israel (Land and People)	R. A. Rabinowicz
٥١	Gateway Guide to Israel	Methuen and Co. LTD.
٥٢	Palestine and Trans Jordan	Naval Intelligence Division 1943
٥٣	Vietnam History, Documents and Opinions	A Fawcete Premier Book
٥٤	المغامرة الستين في الجزائر	باريير روجيه
٥٥	المأساة الجزائرية	آرون ريمون
٥٦	الجـزائــر	جيران بول
٥٧	نشرات مكتب الجامعة العربية	تصدر في القدس
٥٨	احصائية معهد الدراسات الستراتيجية	تصدر في لندن
٥٩	سلسلة كتب ونشرات مركز ابحاث منظمة التحرير الفلسطينية	تصدر في بيروت
٦٠	مقالات عن البلاد العربية وردت في جريدة البرافـدا	تصدر في موسكو

محتويات الكتاب

الموضوع	صفحة
ـ المواصلات في اسرائيل	٧٢
ـ التجارة في اسرائيل	٧٧
ـ الانشاء والتعمير	٨٠
الفصل الرابع : التقسيمات الادارية في فلسطين	٨٥
ـ (مخطط) التقسيمات الادارية في فلسطين المحتلة	٨٩
ـ (جدول) توزيع السكان في اسرائيل عام ١٩٦٦	٨٩
ـ التقسيمات الادارية في فلسطين قبل النكبة	٩١
ـ (جدول) توزيع السكان العرب واليهود قبل النكبة	٩٤
ـ دراسة نموذجية لمدينة حيفا (عامة)	٩٧
ـ دراسة نموذجية لمطار اللد (عامة)	١٠٦
ـ دراسة عسكرية اولية لطريق يافا ـ القدس	١٠٧
ـ دراسة عسكرية اولية لطريق حيفا ـ تل ابيب / يافا	١١١
الفصل الخامس : التخطيط العسكري الاسرائيلي	١١٩
ـ مبادىء الحرب الاسرائيلية	١٢٠
ـ الخطوط العامه للاستراتيجية الاسرائيلية	١٢١
ـ الخصائص العامة لتكتيك القوات الاسرائيلية	١٢٥
ـ التخطيط العسكري للقرى والمستعمرات الامامية في اسرائيل	١٢٨
ـ الاستراتيجية الاسرائيلية وتأثيرها على الجبهات العربية	١٢٩
ـ نقاط القوة والضعف في التخطيط العسكري الاسرائيلي	١٢٢
ـ (جدول) الطاقات العسكرية في البلدان العربية واسرائيل عام ١٩٦٥	١٣٨
الفصل السادس : ثورات العرب الفلسطينيين	١٤٥
ـ الثورة الاولى : ١٩٢٠	١٤٦

الموضوع	صفحة

الموضوع	صفحة

الفصل الاول

توطئة في الحروب

عندما اخذت حركات التحرر الوطني في اواخر القرن التاسع عشر تشتد وتنمو وخاصة في القارتين الآسيوية والافريقية برزت تعابير ومصطلحات حربية جديدة قد تبدو انها وليدة هذا العصر. غير ان التاريخ العسكري، ويشاركه في ذلك تاريخ تحرر الشعوب ، اثبت ان هذه التعابير هي التعابير القديمة نفسها من حيث المبنى والجوهر مع تبديل في الصورة او الشكل . غير ان التقدم التقني الحربي وما سببه من تبديلات اساسية في الانظمة الاجتماعية ، والسمة البارزة لعصرنا، وهي الانتقال الحتمي من الرأسمالية الى الاشتراكية، وما تبعه بالنتيجة من تحرر الانسان واتساع مشاركته في جميع مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية ، كل ذلك ساعد ويساعد على بروز ملامح جديدة للحرب ، ابرزها حرب التحرير .

ان البحث في اي موضوع يتناول الحرب الفدائية (التعبير الشامل لحرب العصابات والانصار) بصفة خاصة، والحرب بمعناها الواسع بصفة عامة يضطرنا للبحث عن طبيعة النضال المسلح بين دولة واخرى او بين جماعتين في دولة واحدة او بين الشعب من جهة والسلطة من جهة اخرى . كما ان بحث هذه الامور لا يجوز بأي حال من الاحوال تناولها على حدة دون ربطها بأمور او عناصر قد تكون اكثر اهمية وهي — الانسان (العنصر الحاسم في كل حركة نضالية

مسلحة) ووضعه المــادي والاجتماعي والمعنوي . وسنبحث موضوع الحرب الفدائية وحرب التحرير الشعبية –بشيء من التفصيل، اما اشكال الحروب الاخرى فسنكتفي بتعريفها او اعطاء فكرة عن ملامحها العامة .

الحرب الفدائية والحرب الشعبية

اخذ تعبير الحرب الفدائية يظهر ويحتل مكاناً بارزاً له كشكل من اشكال الحروب غير النظامية ، عندما اخذت الشعوب المضطهدة تساهم مساهمة جدية وتشارك مشاركة واعية وفعالة في حروبها ضد الاستعمار بشكليه القديم والحديث ، في انتفاضاتها وثوراتها ضد مضطهديها ومستغليها بغية قلب نظام الحكم وتبديله من شكل لآخر . وكان للحركات النضــالية ولحروب التحرير التي اجتاحت في هذا العصر بشكل بارز القارات الاسيوية والافريقية واميركه اللاتينيــة ، الأثر الفعــال في تعميق وتوضيح ملامح الشكل الجديد للحرب الشعبية التي هي من حيث التطبيق حرباً فدائية تتصف باعمال التضحية والبطولة والفداء من اجل تحقيق مبادىء واهداف آمن بها الشعب واقتنع بان تحقيقها سيرتقي به الى حياة افضل . كل ذلك حدث ويحدث كنتيجة حتمية وكظاهرة لازمـــة فرضتها التبدلات الجذرية في هذا المجتمع او ذاك ، وهذا ما شهدته وتشاهده البشرية في هذه الحقبة الهامة من تاريخها المعاصر . لقـــد ولى وانقضى زمن حروب الغزو والنهب والفتح بقصد اضطهاد الشعوب ونهب خيراتها وثرواتها ، وبرزت آفاق جديدة في هــذا العصر فرضتهــا الظروف الاقتصادية والتبدلات الاجتماعيــة والسياسية الجديــدة ومــا رافقها من ولادة قوى جديدة تزدهر وتقوى ، وموت قوى قديمة تضمحل وتفنى ، كلها ساعدت وتساعد على تحرير الشعوب من الاستعمار القديم والحديث .

برزت من خضم هذه الاحداث الحرب الشعبية التى هي من حيث المضمون الاجتماعي التعبير الطبيعي لرغبات الشعب وتهيئة كل قواه البشرية والمــادية والمعنوية من اجل شن حرب عادلة لدحر عدو من ارض مغتصبة – كوضعنا في

فلسطين – او كما جرى في الجزائر ويجري حالياً في الفيتنام مع اختلاف في الظروف الموضوعية والحسية وما يرافق ذلك من تبدلات داخلية وخارجية. والحرب الشعبية تعتبر حرب الانصار او العصابات كأقوى دعامة اساسية لها. وهذا ينفي المفهوم السائد والخاطىء الذي يعتبر ان حرب العصابات هي الحرب الشعبية.

حرب التحرير الشعبية من حيث الاسلوب والاداة والهدف

تشكل حرب الانصار مرحلة من مراحل الحرب الشعبية وتعتبر أداة اولية وضرورية لها في كل الظروف، والحرب الشعبية بدورها كذلك مرحلة ثانية تؤدي في مسيرتها للحرب النظامية، عندما يشارك فيها الجيش الشعبي النظامي الذي يكون قد اكمل بناءه وانهى استعداداته من حيث التنظيم والتدريب والتسليح. ويعتمد مثل هذا الجيش في مجرى تشكيله على الخلايا والانسجة الحية من ابناء الشعب الذين رافقوا النضال في المرحلة الاولى وهي مرحلة حرب الانصار، وعلى الخبراء العسكريين والجنود الوطنيين الذين آمنوا بأهداف الحرب الشعبية. في ظروف بلادنا العربية، يشكل الجيش الشعبي من المواطنين بمختلف فئاتهم الفلاحية والعمالية، ومن المثقفين والعسكريين والطلاب المؤمنين بأهداف حرب التحرير وبالنظام الاجتماعي التقدمي المنطلق الأساسي لهذه الحرب. وهنا قد يتساءل الفرد وخاصة عندما يقارن تصورات حرب التحرير الفلسطينية بحروب التحرير للشعوب الاخرى عن دور الطبقة الرأسمالية وخاصة فئات البرجوازية الوطنية والبرجوازية الكبيرة والكمبرادور، ان الدور الذي تقوم به مثل هذه الفئات بالنسبة للشعوب العربية هو متعلق بمدى عمق واتساع التبدلات الاجتماعية وما يتبعها من تبدل طبقي في مجمل القوى الوطنية وفئاتها التي تضررت مصالحها الخاصة لحساب المصلحة العامة او تحسن وضعها الاجتماعي نتيجة لتحكم الدولة التقدمية بوسائل الانتاج وهيمنتها على اهم مرافق الاقتصاد الوطني لصالح السواد الاعظم من الشعب.

ومن البديهي ان مثل هذه التبدلات في البلدان العربية التقدمية قد لا تتعلق بصورة مباشرة بنضال الانسان العربي الفلسطيني، الا انها صورة حتمية وعملية ملازمة لحرب التحرير وتساعد على اسراع وتأثر الاعداد الواعي لها والضمان الاكيد للنصر . ومع هذا لا تعتبر هذه الامور بالنسبة اليه مباشرة من حيث مفهوم النضال الطبقي، لان هذه الحرب بالنسبة لجميع العرب الفلسطينيين بعد ان فقدوا الارض ووسائل الانتاج، العنصرين الاساسيين لتكوين الطبقات، اصبح شعار الوحدة الوطنية بين جميع فئات الشعب الفلسطيني بمختلف مفاهيمهم ومعتقداتهم السياسية امراً لازماً تقتضيه المصلحة العامة لمن كان رأسمالياً او مستثمراً عاملاً أم فلاحاً مثقفاً ام حرفياً. فالقضية الاساسية بالنسبة لهذا الشعب هي اعادة الارض القاعدة الاساسية لكل نظام اقتصادي او اجتماعي . والقوة المحركة التي تزود الانسان بالحب والتضحية والحياة والتفكير الصحيح . ان شعارات منظمة التحرير الفلسطينية (الوحدة الوطنية والتعبئة القومية والتحرير) تنطبق تمام الانطباق على واقع الشعب الفلسطيني وخاصة في هذه المرحلة الاولية من مراحل نضاله . وقد رفع الشعب الجزائري البطل ابان حرب التحرير شعارات مماثلة ساعدت على توحيد جميع قواه التي حققت النصر . ويستغرب البعض عندما يقرأ برنامج الجبهة الوطنية لجنوب الفيتنام ويرى بعض الفقرات التي تدعو باخلاص لدعم البرجوازية الوطنية والحرفيين وتشجيع الرأسمال الوطني وغير ذلك من النداءات المستمدة من واقع الشعب الفيتنامي ومرحلته النضالية الحالية التي تهدف بمجملها اسقاط حكم الامبريالية الاميركية والسلطة الدكتاتورية ليتسنى للجبهة اقامة حكومة وطنية ديمقراطية .

ان الهدف الرئيسي والجهد الاساسي للحرب الشعبية بالنسبة لتحرير فلسطين هو احتلال الارض المغتصبة من جديد دون الأخذ بعين الاعتبار تحطيم العدو ام ابادته لان العدو عندما اغتصب ارض فلسطين لم يفكر بمصير شعبها ومقدساته وحقوقه الشرعية في ارض اجداده .

ان وسيلة الحرب الشعبية هي القتال حتى النصر لتحطيم العدو مادياً ومعنوياً

وتدمير قاعدته الاقتصادية ووسائل انتاجه باعتبارهما القوة الأساسية المحركة للحرب، ثم ابادة قواعده العسكرية وتفتيت قواته المسلحة .

استراتيجية الحرب الشعبية :

استمدت استراتيجية الحرب الشعبية، من حيث الجوهر، خطوطها الأساسية من الحروب الكلاسيكية ، الا ان تبدلات الانظمة الاجتماعية حيث بدأ يسود النظام الاشتراكي وما رافقه من تقدم اجتماعي وتقني وازدهار علمي وثقافي، كل ذلك ساعد على تطوير استراتيجية الحرب الشعبية وجعل لها أسساً تستمد جذورها، كما اثبتت تجارب الشعوب، من المبادىء التالية :

اولاً ، على مستوى الاستراتيجية العليا :

١) اعتماد الشعب كقوة اساسية تقوم بالدور الرئيسي لكسب الحرب اذا ما دُرب تدريباً مادياً ونفسياً ، والجيش هو الذي يقوم بالضربات الحاسمة ويزود الشعب بالخبرات الفنية والامكانات التقنية الحربية .

٢) توعية الشعب اولى ضرورات الحرب الشعبية وتعطى لها نفس اهمية التعبئة المادية ، والوعي سلاح حاد يجب ان يتسلح به ابناء الشعب قبل ان يحملوا اي سلاح قديم او حديث .

٣) توجيه كل الامكانات المادية والمعنوية للبلاد وتنسيقها بغية الحصول على الهدف السياسي . ويرافق ذلك مضاعفة الامكانات الاقتصادية والقدرة البشرية لدعم الوحدات المقاتلة النظامية منها وغير النظامية .

من هنا تبرز فكرة معنى تصنيع البلاد العربية وتطوير اقتصادها، وعلاقة بناء السد العالي في الجمهورية العربية المتحدة وسد الفرات في الجمهورية العربية السورية وغيرها من المشاريع، بحرب التحرير الفلسطينية، الا ان ذلك يجب ان لا يكون

بأي شكل من الاشكال على حساب المبالغة بتأجيل معركة الثأر واعطائها اهمية ثانوية .

٤) تنظيم وتوزيع وسائل الانتاج والقوي البشرية بين مختلف قطاعات مرافق الاقتصاد وخاصة الصناعة، وتنسيق ذلك مع القدرة الحربية ، احدى العوامل الاستراتيجية .

٥) العمل لخلق وتهيئة الجو السياسي على الصعيدين العربي والعالمي ونبذ نظرية التريث وانتظار الظروف الملائمة وفقاً للنظرية الرجعية السائدة ، يرافق ذلك ، العمل من اجل توفير عناصر الضغوط المالية والسياسية والدبلوماسية والتجارية والمعنوية وكلها لها علاقة مباشرة باضعاف عدونا مادياً ومعنوياً .

ثانياً ، على مستوى الاستراتيجية العسكرية :

١) تشتيت قوات العدو وتفتيتها وهذا يساعد بالتالي على تحطيم تشكيلاته بطريقة اسهل خلال معارك واشتباكات ممتدة على اكبر قسم من الارض التي يحتلها . ان وحدات الانصار التي تتوغل في ارض فلسطين وتغرس حرابها في جبهة يزيد طولها عن ٩٥٠ كلم لا بد ان تضعف موقفه الاقتصادي والعسكري وتقلب مخططاته الدفاعية والهجومية رأساً على عقب مع ما يرافق ذلك من (أ) خلق اضطراب وتخلخل مستمر في تشكيلاته مما يضطره لاجراء تبديلات مفاجئة في جبهته تؤدي بصورة حتمية الى تحطيم وتشتيت قواته . (ب) التهديد المستمر لخطوط التموين والمحاور الرئيسية التي لا بد للعدو من اتباعها عندما يرغب في نقل قواته من منطقة الى اخرى بغية الاستفادة من عنصر سرعة الحركة والمفاجأة .

وفي ظروف ارضنا المحتلة قد يسبب تخريب طريق هام او نسف جسر كبير يربط منطقتين لهما علاقة مباشرة بخطط العدو أثراً سيئاً في وضعه العسكري والمعنوي . ان القيام بمثل هذه التخريبات المركزة ولو ظلت ضمن اطار العمل

التكتيكي تساعد على كسب المعركة تلو المعركة مهما بلغت قوة العدو من حيث الكم والكيف .

تهديد محاور انسحاب العدو وتحطيم مؤخراته وقواعده التموينية ومطاراته وموانئه ....الخ.

٢) الاستخدام العقلاني لمبادىء حرب الانصار الاستراتيجية والتعبوية التي حددتها تجارب الشعوب الاخرى مع الأخذ بعين الاعتبار الاوضاع العامة والخاصة بالنسبة للوضع العالمي والعربي والامكانات المادية والمعنوية لكلا الطرفين المتصارعين ، ثم ظروف مسرح الحروب من الناحيتين الجغرافية .والعسكرية . ويمكن اجمال هذه المبادىء (التي ستتناولها المواضيع التالية في قتال الانصار) بما يلي :

أ) مراعاة مبدأ مطابقة الهدف الاستراتيجي او التعبوي مع الامكانات المادية والمعنوية لوحدات الانصار ، الدعامة الاساسية لحرب التحرير الشعبية ، وهنا يلعب تقدير الموقف الصحيح دوراً هاماً وتظهر المقدرة العسكرية العلمية التي لا تضع خططها وحساباتها على أسس الاعتقاد والتخمين بل تستند على الوقائع الصحيحة والحقائق العلمية المسلم بها . ان القيادات العسكرية الرجعية خالفت هذا المبدأ وكان ذلك من الاسباب الرئيسية لضياع فلسطين .

ب) تحديد الهدف الرئيسي بوضوح وابرازه بين الاهداف الفرعية تجنباً من المتاهة او تبديد القوى واضاعتها لتحقيق اهداف صغيرة . وقد طبق الجيش المصري سنة ١٩٤٨ بالرغم من ضعف امكاناته آنذاك هذا المبدأ عندما حدد محور جهده الاسامي نحو هدفه الرئيسي بالانطلاق شمالاً الى قلب فلسطين لتهديد اكبر مدينتين يهوديتين ، تل ابيب والقسم اليهودي من القدس ثم الالتقاء مع القوات العربية الاخرى (الجيش العراقي والاردني) متجنباً الدخول بمعارك فرعية جانبية ، وخاصة المستعمرات التي كانت تعترض محور تقدمه حيث اكتفى بعزلها او تجنبها .

جـ) اتقان معرفة تصورات العدو ونواياه الحربيــة عن طريق وضع أنفسنا دائماً مكان العدو وعلى ضوء ذلك التنبؤ بتقـــدير الموقف الذي سيتخـذه في معاركه المقبلة معنا، وهذا يساعد القائد على وضـــع خطة معاكسة لخطة الخصم ويجنبه الوقوع في المسالك والخطوط الخطيرة والاصرار على اختيار اقلها توقعاً .

د) يراعى عند وضع الخطة اختيار تشكيلات القتال الاكثر مرونة وتلاؤماً مع تبدل الظروف والحوادث غير المتوقعة التي كثيراً ما تقع غالباً في ساحات الحرب .

هـ) عدم الاكتفاء بتهديد هدف معين قد ينجح القائد أو لا ينجح في الوصول اليه . ان الخط الصحيح هو تهديد عدة اهداف بشكل متناوب وهـذا يسبب وقوع العدو في حيرة تامة ويفتح المجال للمهاجم لتحقيق الهدف الثاني او الثالث في حال فشله امام تحقيق الهدف الأول وهكذا .

و) عندما يكون العدو في النقطة العليا من حيث التعبئة والاحتراس يجب على المهاجم تجنبه وعدم الزج بكل ثقل امكاناته في عمل حربي غير مضمون النجاح . فقد اثبتت تجارب الحرب وجوب ضرب العدو قبل ان تشل مقاومته وقدرته على تحاشي الضربات . وعندما تسنح الفرصة ويضرب العدو في نقطة ما ويفشل الهجوم يجب عـــدم تجديده من النقطة نفسها والاسلوب نفسه اذ من المحتمل ان يحصل العدو على قوى جديدة يعزز فيها قواته وترتفع روحه المعنوية مما يساعد على دحر اي هجوم مماثل ولو كان باسلوب احسن وبصورة اكثر تركيزاً من الهجوم الاول .

ان دراسة مواقع الضعف والقوة عند العدو ورسم الخطة والاستعانة بالمفاهيم والاسس النظرية لحرب التحرير هي من الامور التي قد تكون سهلة ضمن اطارها النظري ، أما التطبيق العملي لهذه الحرب وفقـــاً لخطة عملية مطابقة لظروف بلادنا فذلك أمر يحتاج لدراسة جماعية يلازمها التطوير والتبديل لمتابعة التبدلات السريعة في ميزان القوى للطرفين المتصارعين .

انواع من الحرب

تسمى الحرب **دولية** عندما تكون بين دول ذات سيادة، كما حدث في الحرب العالمية الأولى والثانية . وتسمى الحرب **أهلية** عندما تكون بين جماعتين في دولة واحدة (الثورة الاميركية والثورة الروسية) . وتسمى **ثورة مسلحة** عندما تكون بين السلطة والشعب . وهذه الاخيرة قد تكون جذرية هدفها قلب نظام الحكم وبالتالي تبديل المجتمع من شكل الى آخر كما هو الحال في الثورة الاشتراكية، والا فتسمى **انتفاضة** اذا كان هدفها تبديل حكم ما ضمن اطار المجتمع نفسه .

وحرب التحرير تطلق على جميع اشكال النضال المسلح النظامي منه وغير النظامي ، وتستند على تعبئة كافة القوى البشرية والمادية والمعنوية وتهدف الى طرد عدو اغتصب جزءاً من الوطن او اعادة وطن سلبه العدو، كما هو الحال في فلسطين . وضمن اطار حرب التحرير يمكننا ان نميّز ثلاثة اشكال فرعية للحرب:

١) **حرب العصابات** : ويطلق عليها بعض الكتّاب العسكريين الغربيين (حرب الغوريلا) وهي أحد اطوار الحرب التي لا تؤدي وحدها الى النصر ويشترك فيها مقاتلون غير نظاميين على الرغم من انها مشروعة ولها علاقة بالحرب النظامية. قد تنمو فيتفرع عنها حرب نظامية . وقد ينضم لحرب الانصار في طورها الأخير الجيش النظامي الذي يكيل الضربة النهائية للعدو . وهذه الحرب هي أحد اطوار الحرب الكلاسيكية وتخضع لقوانينها بصورة عامة مع اضافة قوانين خاصة تحددها الظروف الاقتصادية والاجتماعية والجغرافية لكل بلد .

٢) **حرب الانصار**: تستند هذه الحرب على تشكيل قطعات خفيفة او جماعات من المقاتلين الفدائيين يطلق عليهم «بارتزانز» تقوم بمهمات الاغارات المباشرة على العدو والقيام بعمليات حربية مختلفة من كائن او تخريب طرق مواصلاته والاستيلاء على الموارد الاستراتيجية او تخريبها، بقصد شل حركته ومضايقته، مما يساعد الجيش النظامي التغلب على قوات العدو واضعاف روحه المعنوية وبث الذعر والقلق بين افراده .

٣) **الحرب غير النظامية** : هي جزء من الحرب العامة خططتها الجيش النظامي مسبقاً لتعمل وحداتها وفقاً للخطة العامة ، ولا يتبع افرادها للجيش النظامي مباشرة بل تكلف لتحقيق اهداف معينة . ويمكن ان تأخذ الحرب غير النظامية من حيث المعنى صفة الشمول وتطلق على العمليات وحرب الانصار ، الا ان الدقة في التعبير تبقى غير كاملة . وقد برز مؤخراً تعبير : الحرب الشعبية ، وحرب التحرير الشعبية ، وهذا ما سنتناوله بشيء من التفصيل في الفصول القادمة .

هدف الحرب : تهدف الحرب املاء شروط معينة من قبل الفريق المنتصر على الفريق المهزوم ، وهذا ما حدث في حرب العرب مع الصهيونيين عام ١٩٤٨ .
تستهدف الحرب علاوة على ذلك من الناحية المعنوية تحقيق الحرية والاستقلال او الحصول على بعض المزايا او اتباع سياسة معينة او املاء عقيدة دينية او مذهب سياسي . ومن الناحية المعنوية تستهدف الحرب اقتطاع اقليم او الحصول على مصالح اقتصادية معينة وقواعد عسكرية ذات مواقع استراتيجية هامة وغير ذلك من المزايا والمصالح التي تهدف امتصاص دماء الشعوب الضعيفة والمتخلفة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً .

تكون الحرب **دفاعية** اذا نشبت من اجل الدفاع عن النفس والمال والارض ، وهذا الشكل من الحرب يجب ألا يسيطر على العرب حكوماتاً وشعوباً حيث ظل شبح الدفاع المقيت قرابة العشرين عاماً بعد أن فقدوا أعز جزء من ديارهم — فلسطين — وأبقوا العدو بداخلها ليقوى ويهدد باغتصاب اجزاء أخرى . وتسمى الحرب **هجومية** اذا نشبت على ارض اجنبية بشكل اعتداء او اعادة أرض محتلة . أما الحرب **الوقائية** فتنشأ عندما تهاجم دولة ما دولة أخرى قوية تشكل خطراً عليها فتقوم الاولى بهذه الحرب الوقائية من اجل منع الاعتداء الذي تدبره لها في الوقت المناسب . وهذه الحرب قد تبدأ كحرب صغرى تقتصر على حركات محدودة الاهداف ، كقصف الموانىء والمطارات الاستراتيجية والمنشآت الذرية الاسرائيلية بالطائرات او قذفها بالصواريخ تمهيداً لتدميرها بهجوم أرضي .

عندما تبقى هذه العمليات محدودة وفي مناطق معينة يمكننا تسمية هـذه العمليات **بالحرب المحدودة** او الجزئية ، وهذا الشكل من الحرب قـد لا يلائم الدولة التي تضع امامها النصر على اعتبار ان الانتصارات الجزئية لا تحسم الموقف فتضطر قيادتها السياسية والعسكرية توسيع العمليات الحربية واشراك جميع الطاقات البشرية والمادية من مدنية وعسكرية ، ويمكننا تسمية هـذا النوع من العمليات الواسعة بالحرب **الشاملة** .

ان دوافع الحرب في جوهرها تقتصر بصورة عامة على العوامل الاقتصادية والجنسية والدينية والمذهبية. وقد ساد بعض هذه العوامل في احقاب زمنيـة وخمد في احقاب أخرى كالحروب الدينية . ان هذه العوامل لعبت دور رئيسياً في كل العصور التي مرّت عليها البشرية جمعاء . أما دوافع الحرب القوميـة والعسكرية والدبلوماسية السرية فقد أخذت تطبع الحروب الحديثة بصفات وميزات جديدة أبرزها الشكل الجديد الذي يحمل اسم **الحرب الباردة** ، ذلك الاصطلاح الجديد الذي شاع استعماله في السياسة الدولية المعاصرة وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية . ان الحرب الباردة في جوهرها ما هي الا حالة من التوتر الدولي بين دول المعسكر الغربي من جهة وبين الانظمة الاشتراكية من جهة أخرى .

الفصل الثاني

جغرافية فلسطين العسكرية

قد يتساءل القارىء : ما علاقة الجغرافية العسكرية بالحرب الفدائية؛ ولماذا سبقت غيرها من مواضيع هذا الكتاب؟. الجواب: ان من يريد ان يدرس الحرب بأشكالها المختلفة ومن يستعد للمساهمة في الحرب النظامية او غير النظامية يتوجب عليه قبل كل شيء ان يعرف ثلاثة عناصر أساسية مادية للحرب وهي: الارض ، والسلاح ، وطبيعة الانسان المحارب . اضف الى ذلك التهيئة الجسدية والنفسية والحصول على مستوى معين من التدريب .

ان التوسع في جغرافية فلسطين العسكرية يحتاج لأكثر من كتاب ، الا ان اهمية هذا الموضوع تحتم علينا الحصول على معلومات عامة يمكن اغناءها بالتدريج لمعرفة مكاننا وتحركاتنا على ارض وطننا السليب التي تنتظرنا لتتحول الى ساحات عمليات عسكرية في قتالنا مع العدو . ان الحرب المقبلة حرب شاملة ستنال السهل والجبل ، والبحر والجو ، المدينة والقرية . من هنا تبرز اهمية الجغرافية العسكرية .

ان المعرفة التامة للجغرافية العسكرية لبلد ما تمكن القادة في كل المستويات من :

– معرفة الاتجاهات الأكثر ملاءمة لحشد واستخدام القوات والوسائط

الموضوعة تحت قيادتهم، وتحديد ارض المعركة في المكان والزمان المناسبين .

— وضع الخطة العسكرية الافضل والترتيب القتالي للقوات الصديقة استجابة للشروط الجغرافية التي تمليها الظروف الموضوعية من الوجهة العسكرية .

— معرفة الاغراض والاهداف العسكرية والاقتصادية الأكثر أهمية لقصفها بالطيران أو المدفعية أو تخريبها من قبل مفارز خاصة عند اللزوم .

— التدبير الأمثل الى زيادة ايقاعات تحرك القوات .

— التعزيز الممكن تقديمه من وحدات الهندسة والطرق تبعاً للشروط الطبيعية لمسرح العمليات الراهن .

جغرافية فلسطين العسكرية وأهميتها عند وضع الخطة

لما كانت الارض وما عليها من عوامل ومنجزات طبيعية أو اصطناعية تؤلف عنصراً أساسياً من عناصر الحرب برزت اهمية الجغرافية العسكرية وضرورة استخدامها عند وضع الخطة التعبوية أو الاستراتيجية، أو بمعنى آخر للقائد الصغير المكلف بدراسة قطاع من الارض لعمليات حربية على مستوى تعبوي ، أو للقائد الكبير المكلف بدراسة أو وضع خطة لبلد ما على مستوى استراتيجي .

تشمل المواد اللازمة لكل خطة عسكرية هجومية أو دفاعية العناصر الرئيسية التالية ، نسردها باختصار مستعملين الحرف الاسود في كل المعلومات الجغرافية اللازمة لابراز اهمية ارتباطها المباشر بكل عملية حربية . وقد اتخذت الفرضية على اعتبار ان هذه المعلومات اللازمة للخطة تعد للعمليات في فلسطين . ومثل هذه المعلومات لا يطلب تنظيمها لمستوى وحدات فدائية صغيرة ، غير ان عمليات الوحدات الكبيرة من الانصار تطلب مثل هذا التسلسل والايضاح :

١) معلومات عن العدو :

– القوات الاسرائيلية المسلحة (برية ، جوية ، بحرية) قيادة ، عدد ، تنظيم ، تسلح ، تجهيز ، معنويات .

– توزيع القوات (القادة ، والخطط المتوقعة ، **المواقع**).

– الخدمة العسكرية الالزامية ، القوات الاحتياطية ، اسلوب النفير ، التدريب ، الكفاءة .

– تنظيم وزارة الدفاع .

– تدابير الدفاع الجوي (**المطارات الحربية** ، **قواعد الصواريخ**) .

– التشكيلات شبه العسكرية : الدفاع المدني، **دفاع المستعمرات** واماكنها، **الاستحكامات ومواقعها** ، حقول الالغام والاسلاك الشائكة .

– البحوث العلمية – أسلحة الصواريخ .

– طبيعة الأراضي ، **خط الهدنة : تحديده، طبيعة أراضيه** .

– وسائل المواصلات : **الطرق** ، **الجسور ومواقعها وحمولتها**، **الموانىء** ، الاسطول التجاري ، **السكك الحديدية** ، الخطوط الجوية ، **المطارات العسكرية والمدنية** : مواقعها ، اطوال مدرجاتها ، استيعابها من الطائرات ، اسلوب الدفاع عنها .

– احوال السكان: **المستوى المعاشي**، **المدن والقرى والمستعمرات**، **المناخ**، **المشاريع الاقتصادية** والعمرانية والعسكرية .

– اقتصاديات البلد : **اسرائيل وحالتها المالية** ، مساعدات خارجية ، **المصانع: اماكنها وانتاجها ، الزراعة والانتاج**، **واردات وصادرات الصناعة وهيكلها ، البناء والانشاء ، المواصلات وطرقها مع مواصفاتها** .

يرفق بهذه المعلومات مختلف المخططات والاحصائيات التي امكن الحصول عليها .

٢) — معلومات عن الصديق :

يتبع التسلسل المذكور نفسه مع اعطاء معلومات جغرافية أكثر تفصيلاً لأنها مأخوذة من البلد نفسه .

٣) — الغايات والاهداف :

وهنا يتطلب الوضع الالمام بأدق المواقع الحساسة للعدو ذات الفوائد الاستراتيجية والتعبوية، **كالمدن والمطارات والموانىء وطرق المواصلات الرئيسية** ومراكز اطلاق الصواريخ وشبكات الرادار، التي بتدميرها أو احتلالها يمكن الوصول الى الهدف الرئيسي وهو كسب الحرب .

٤) أسلوب الوصول الى مختلف الاهداف ، يستعان بكل ما ورد في الفقرة (أ) مع معلومات جغرافية موسعة للمسالك المفتوحة للطرفين، وهذا يتطلب **دراسة جغرافية فلسطين دراسة تفصيلية (بسهولها وجبالها ومواقع مدنها)** لتثبيت مواقع القوة والضعف في ارض فلسطين لكلا الطرفين المتحاربين .

٥) — التدابير الادارية والمخابرات : وهذه توضع استناداً للامكانات العسكرية المتوافرة وطرق استخدامها (قطعات ، سلاح ، تموين، اسعاف ...).

بعد توافر هذه المعلومات يتسنى للقائد تقدير الموقف محللاً ومناقشاً ومستنتجاً أساليب العمل الملائمة ، متبعاً التسلسل المنطقي لتقدير الموقف الذي يبدأ بتحديد الفرص ، ومناقشة العوامل المؤثرة على بلوغه — المسالك المفتوحة لكلا الطرفين — اختيار الخطة الملائمة ثم وضعها متبعاً التسلسل التالي : **شروح طبغرافية الارض** — معلومات عن قواتنا — معلومات عن قوات العدو —القصد أو الهدف — اسلوب الوصول للهدف — التدابير الادارية — المواصلات — وعدة ملاحق ادارية وطبية ونقل ومخابرات ودعم اسلحة .... الخ .

مصادر جغرافية فلسطين العسكرية واسلوب تنسيقها

تحتم علينا حربنا المقبلة مع العدو لاسترداد فلسطين دراسة جغرافية فلسطين دراسة جديدة لم نعتمد عليها قبل ضياعها . فقد درسنا فلسطين في مراحلنا الدراسية بأسلوب مدرسي أو جامعي يركز على السكان والمساحة والاقتصاد وطبيعة الارض وتضاريسها وجيولوجيتها وغير ذلك .

ان هذه الدراسة وغيرها كلها من مستلزمات الدراسة الجديدة لجغرافية فلسطين حيث انها تشكل القاعدة الأساسية لدراسة الجغرافية من الوجهة العسكرية، أو بمعنى آخر دراسة مسارح العمليات في فلسطين.

ان المصادر الأساسية للجغرافية العسكرية هي :

– كل ما نشر من كتب ونشرات عن جغرافية فلسطين قبل النكبة .

– كل ما نشر من كتب ونشرات عن جغرافية فلسطين من قبل اليهود ، خاصة وقد صدرت عدة كتب مترجمة عن العبرية باللغة الانكليزية، وفيها أوفى التفصيلات الحديثة عن جغرافية فلسطين الطبيعية والجيولوجية والسياسية .

– الكتب الجغرافية العسكرية عن فلسطين . للآن لم ينشر مثل هذه المؤلفات .

– المشاريع العسكرية القديمة والحديثة في فلسطين .

– الخرائط الطبوغرافية والجيولوجية والمناخية .

– الصور الجوية والخرائط الخاصة : لتوزيع السكان والصناعة والزراعة والطرق .... الخ .

– مجموعة المعلومات التي حصلت وتحصل عليها المخابرات العسكرية عن اوضاع العدو ومشاريعه الجديدة في الارض المحتلة من مطارات وموانىء وطرق ومصانع وثكنات ومستودعات ومراكز اطلاق للصواريخ .

عند تحضير هذه الدراسة يجب ان نأخذ بعين الاعتبار عدة أمور ، منها : صحة المصادر التي نأخذ منها المعلومات والغاية التي وضعت من اجلها ، والتأكد فيما اذا وضعت هذه المعلومات أو غيرها للدعاية والتضليل ، والتأكد من المؤلف وهويته والسنة التي وضع فيها الكتاب أو الوثيقة .

تفرض الحرب الحديثة على القائد أن لا يلم فقط بالقوات الصديقة والقوات العدوة وغير ذلك من المعلومات التي لا بد له من جمعها قبل وضع الخطة وأوامر العمليات ، بل تفرض عليه أن يعرف المنطقة (مسرح العمليات) التي سيقاتل عليها معرفه تامة حتى يستفيد من الأرض التي تشكل أحد العناصر الأساسية في المعركة .

كانت الحروب في السابق تجري على مساحات ضيقة من الارض بعد ان يكون الجيش او الجيشان المتحاربان قد قطعا مئات الكيلومترات (مثال معركة اليرموك ، القادسية ، عين جالوت) وقعت كل معركة من هذه المعارك ضمن مسرح عمليات لا يتجاوز عشرات الكيلومترات بعد ان سار الجيش العربي او جيش العدو مئات الكيلومترات ليصل الى ارض المعركة.بظهور الأسلحة الحديثة المتصفة ببعد المدى والدمار الجماعي وظهور وسائل النقل الحديثة وغيرها من وسائل الحرب الحديثة اصبحت الحرب تحتل مجالاً أكبر من السابق . لقد اصبحت المعارك تدور على مساحات واسعة من الارض تجاوزت القارة الواحدة كما رأينا في الحربين العالميتين الاولى والثانية، وكانت الحرب في كل منهما تجري على مساحات واسعة ولمدة طويلة . فقد امتدت الحرب العالمية الثانية حتى شملت ثلاث قارات (آسيه وافريقيه واوروبه) كما ان سلاح الطيران والبحرية ازداد نطاق مجالهما حتى شمل كافة القارات ببحارها ومحيطاتها .

ان هذه التطورات التي طرأت على طبيعة الحرب وزادت في ديناميكيتها وشمولها وسرعتها وتبدلاتها المفاجئة، كل ذلك يعطي للجغرافية العسكرية اهمية اكثر من ذي قبل بمقدار معرفة الصديق أو العدو للارض التي ستكون مسرحاً

للعمليات التي يمكن له استثمارها وتحديد أهدافه لتركيزالضربة الحاسمة فيالمكان والزمان المناسبين .

وبالرغم من ان فلسطين تحتل جزءاً ضئيلاً من حيث المساحة في قلب العالم العربي، الا ان موقعها الهام بين ملتقى ثلاث قارات (اوروبه وآسيه وافريقيه) وهيمنتها على أهم موقع استراتيجي في شرقنا العربي، أضف الىذلك ما جرى على ارضها من تبدلات تحت تأثير المشاريع المائية الضخمة التي نفذها اعداؤنا ، وانشاء العديد من المستعمرات ، والزيادة الملحوظة في بناء الطرق والجسور والمعامل والموانىء والمطارات والتحصينات والخطوط الدفاعية ، كل ذلك يتطلب منا دراسة جدية تهدف الى معرفة :

– جميع الأهداف العسكرية والاقتصادية وترقيمها ومعرفة احداثياتها ثم وضعها في جداول الافضلية لازالتها في الاوقات المناسبة .

– مسارح العمليات المرتقبة الارضية والبحرية – وخاصة مناطق القتل ، ودراستها دراسة سوقية ، لأن احتلالها يؤثر تأثيراً مباشراً على سير الحرب وقد يؤدي الى ربح الحرب وبالتالي تقرير المصير .

– جميع المعلومات والشروط الجغرافية لمسرح العمليات، وتشمل :

١) ميزات المسرح العامة : (الحدود – الدول المحتمل دخولها في المسرح – الحوادث الزمنية للحروب التي تمت على هذا المسرح).

٢) ميزات المسرح الطبيعية : (التضاريس – دراسة التربة – المنشآتالمالية والكهربائية – طبيعة المنطقة وهل هي مشجرة أم لا – المناخ) .

٣) الميزات السياسية : (وضع اليهود والعرب داخل الأرض المحتلة ، الاوضاع الاجتماعية ، المعتقدات السياسية والعقائدية ، الحالة المعنوية ، استعداد السكان للحرب) .

٤) الوضع الاقتصادي : الامكانات الاقتصادية لكلا الطرفين في القطاعات

الرئيسية (الصناعة ، الزراعة ، المواصلات ، البناء ، التجارة) .

٥) الوضع العسكري : القوات المسلحة لكلا الطرفين ، قطعات ، اسلحة قوى حليفة ، اسلحة مفاجئة .

تساعد الجغرافية العسكرية لفلسطين ودراستها دراسة واقعية القادة على جميع المستويات على تحضير العمليات الحربية المطلوبة منهم بصورة عملية تؤدي الى النصر بأقل ما يمكن من الرجال والعتاد والسلاح. وقد يتطلب من بعض المستويات المقاتلة الالمام العام ببعض المواضيع ، خاصة المتعلقة بالوضع الاقتصادي او السياسي للعدو . غير ان ترابط هذه الاوضاع وعلاقتها المباشرة بكل عمل حربي ، تحتم على القادة المعرفة الدقيقة ، خاصة للامور التالية التي سنركز على اهميتها في هذا البحث ، وتشمل : المطارات ، قواعد اطلاق الصواريخ ، القواعد البحرية ، جهاز الدفاع الجوي ، الاسلحة النووية والكيمائية عند العدو ، طرق المواصلات ، وسائل الاتصال ، المستودعات العسكرية ، التحصينات .

ان جميع المراحل التي تتطلبها الدراسة الموضوعية للجغرافية العسكرية بدءاً من الجمع والدراسة والتنظيم والتحليل ثم الاستنتاج ، كل هذه العمليات تهدف الى :

١) المعرفة الدقيقة لأهمية المنطقة واتجاهاتها الرئيسية والفرعية وسعة هذه الاتجاهات .

٢) الاغراض والأهداف العامة ذات الأهمية الاستراتيجية والتعبوية وعلاقتها بمسرح العمليات .

٣) الاتجاهات الأكثر ملائمة لمناورة القوات العدوة والصديقة والخطوط الأكثر ملاءمة لتشكيل الحواجز والتلوث الذري أو الكيمائي والتخريب .

٤) الموانع الطبيعية والاصطناعية وطريقة اجتيازها .

٥) قطعات الارض التي تصلح للهجوم أو الدفاع لكلا الطرفين وخاصة

للمواقع التي يؤثر احتلالها أو تخريبها اعاقة العدو أو ايقاف احتياطاته .

٦) مناطق الانزال الجوي والبحري والظروف المناسبة من حيث الزمان والمكان والكيفية .

٧) تأثير التضاريس والنباتات والتربة من الناحية السلبية أو الايجابية لكلا الطرفين والتدابير المقترح اتخاذها بالنسبة للقوات الصديقة .

٨) تحديد الاتجاهات ومحاور الطرق الهامة الجبهية والعرضانية وامكانية استخدامها للامداد المادي والفني وحرية حركة القطعات عليها وطريقة حمايتها .

٩) المناطق العسكرية الحيوية : المطارات والموانىء واستيعابها وطرق الوصول اليها واسلوب تخريبها .

١٠) المناطق الاقتصادية الهامة وخاصة مصانع الاسلحة والمعدات والتموين التي باحتلالها تؤثر مادياً ومعنوياً على العدو وتساعدنا على النصر .

يتطلب تقديم دراسة شاملة لجغرافية فلسطين العسكرية مجلداً خاصاً لتغطية أهم المواضع التي يجب أن يستوعبها كل عسكري أو مدني يهتم بهذا الموضوع . الا ان ما نقدمه في هذا الباب من الكتاب يكفي لاعطاء صورة عامة عن هذا الموضوع قد تساعد المختص لمتابعة دراسته وتطويرها وفقاً للهدف الكبير الذي نطمح الوصول اليه : تحرير فلسطين .

وكما ألمحنا سابقاً ، لا يمكن فهم هذا الموضوع قبل اعطاء صورة ولو موجزة عن جغرافية فلسطين الطبيعية والاقتصادية والسياسية وهو المخطط العام للدراسة حيث سيجري على ضوئه بحث الميزات والسيئات العسكرية لأرض فلسطين من خلال المواضيع التالية :

– جغرافية فلسطين الطبيعية ، وسنتناولها بشيء من التفصيل لأنها ستشكل المسارح الحربية للعمليات المقبلة مع العدو .

– احصاءات ومعلومات عن الطرق والجسور والسكك والمطارات

والموانىء ووسائل النقل البرية والبحرية والجوية والطيران المدني والبحرية التجارية .

– السكان والمدن والمناطق الاستراتيجية الحيوية ، المشاريع الهامة ، الموانع الطبيعية .

– الوضع الاقتصادي : الصناعة ، الصناعة الحربية ، الزراعة ، البناء ، النقل .

– الثروات الطبيعية : معادن ، وقود ، نفط ، فحم ، طاقة كهربائية ، مواد غذائية .

جغرافية فلسطين الطبيعية

تقع فلسطين بين خطي عرض (٣٠َ ٢٩ْ) و(١٥َ ٣٣ْ) شمال خط الاستواء، وبين خطي طول (١٥َ ٣٤ْ) و (٤٠َ ٣٥ْ) شرقي غرينتش . وهي في القسم الجنوبي الغربي من الجمهورية العربية السورية، وتطل على البحر الابيض المتوسط. يمتاز موقعها بأهمية كبيرة ، لانها تقع عند ملتقى اكبر قارتين في العالم (آسيه وافريقيه) وهي في الوقت نفسه صلة الوصل بين اوروبه والشرق وبين جناحي الوطن العربي الكبير ببلدانه الواقعة في كل من آسيه وافريقيه . ان موقعها هذا جعل منها مسرحاً للعمليات الحربية. وفي ارضها حدثت معارك تاريخية حاسمة، لانها كانت ولا تزال ملتقى جيوش الشرق والغرب ابان الحروب . ان اهمية هذا الموقع آخذ في الازدياد من الوجهة العسكرية والتجارية والثقافية . الا ان العدو الجاثم على ارض فلسطين جعل منها خنجراً مغموساً في جسم الوطن العربي يشطره الى شطرين ويحول دون الاتصال الارضي بين البلدان العربية، ويهدد حتى الاتصال الجوي أو البحري .

وليس من الخفي ان مثل هذا الوضع يشكل عقبة كبيرة في تحشد الجيوش العربية المحيطة باسرائيل بقطعاتها الارضية، سيا وان اكبر جيش عربي – جيش

الجمهورية العربية المتحدة — يبقى معزولاً عن الجيوش العربية السورية والاردنية والعراقية واللبنانية .

الحدود : كانت حدودها قبل احتلال الجزء الاكبر منهـا من قبل القوات الاسرائيلية ، اي قبل العام ١٩٤٨ على النحو التالي :

شمالاً : الجمهورية اللبنانية في خط يبتدىء من رأس الناقورة غرباً على البحر الابيض المتوسط ثم يسير شرقاً الى قرية (يارون) ثم ينحرف شمالاً بشرق الى (قدس) ثم يستمر في سيره شمالاً الى (المطلة) ثم يكمل طريقه شرقاً قاطعاً نهر الاردن الى تل القاضي في فلسطين ثم الى غربي (بانياس) الواقعة في الجمهورية العربية السورية .

شرقاً ، الجمهورية العربية السورية والمملكة الاردنية الهاشمية على خط يمتد من غربي (بانياس) ويسير جنوباً على طول الضفة الشرقيـة لنهر الاردن والشواطىء الشرقية من بحيرة طبريه ، ثم متجهاً جنوباً بشرق الى محطة (الحمة) الواقعة في الجمهورية العربية السورية ثم مكملاً سيره جنوباً على محاذاة ضفـة الاردن الشرقية حتى مصبه في البحر الميت ثم ممتـداً بشكل وهمي بحيث يقسم البحر الميت الى قسمين متساويين (شرقي وغربي) ثم بعد ان ينتهي من الطرف الجنوبي للبحر الميت يكمل سيره مع انحراف قليـل الى الشرق على طول سلسلة جبال (الشراه) الى ان ينتهي عند خليج العقبة في رأس (طابا) على بعد ميلين الى الغرب من مدينة العقبة .

غرباً : البحر المتوسط ، من رأس الناقورة شمالاً الى نقطـة غربي (رفح) جنوباً .

جنوباً : الجمهورية العربية المتحدة وخليج العقبة في خط يمتد من غربي (رفح) على البحر المتوسط غرباً الى رأس (طابا) عند خليج العقبة شرقاً ، اي على بعد ميلين الى الغرب من النقطة التي يلتقي فيها وادي (عربة) بخليج (العقبة) .

كان طول ساحلها على البحر الابيض المتوسط يبلغ ٢٣٠ كيلومتراً . وطول حدودها مع سوريه ٧٠ كيلومتراً . وطول حدودها مع الاردن ٣٦٠ كم ، ومع الجمهورية اللبنانية ٧٩ كم ، ومع الجمهورية العربية المتحدة ٢٤٠ كم .

اما اطوال حدودها البرية الآن، بعد ان اغتصب الجزء الاكبر منها وبقيت الضفة الغربية، فهي على النحو التالي :

طول الحدود بين فلسطين المحتلة وسوريه : ٧٦ كم .

طول الحدود بين فلسطين المحتلة ولبنان : ٧٩ كم .

طول الحدود بين فلسطين المحتلة والاردن : ٥٣١ كم . يضاف ٥٦ كم حدود مائية على ساحل البحر الميت .

طول الحدود بين فلسطين المحتلة و ج.ع.م : ٢٦٥ كم بما في ذلك قطاع غزة .

المجموع : ٩٥١ كيلومتراً .

ان طول هذه الحدود تشكل جبهات طويلة بالنسبة للعدو مُحمِّلة قواته المحدودة عبئاً عسكرياً ثقيلاً ليس بمقدور دولة اسرائيل الصغيرة تأمين الدفاع عنها اذا ما تبدل موقف القوات العربية من الدفاع الى الهجوم الجدي للقضاء على اسرائيل .

وأخطر الحدود بالنسبة لاسرائيل هي :

الحد الفاصل بين القسم المحتل من اسرائيل والضفة الغربية حيث تضيق اراضي اسرائيل ويقل عمقها بحيث لا يزيد عن ١٢ كلم في الخط الواصل بين نتانيه على البحر وطولكرم في حدود الضفة الغربية .ان هذا الجزء المتوسط من اسرائيل هو اهم أجزائها حيث يضم كبريات المدن كتل ابيب ويافا واللد والرملة وحيفا والقسم الاعظم من السكان، والمينائين الرئيسيين (حيفا ويافا) ومطار

البلد واهم الصناعات (خاصة الحربية) وغير ذلك من النشاطات والفاعليات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

ويساعد وضع اسرائيل في هذا القسم، القوات العربية للانطلاق نحو البحر لشطرها الى جزئين وقطع شرايين المواصلات وتهديد تل ابيب اكبر المدن الاسرائيلية .

وكرد فعل لحماية هذا الجزء الضعيف قد تلجأ اسرائيل لمهاجمة او احتلال الضفة الغربية من جناحيها الشمالي والجنوبي وعزلها عن المملكة الاردنية الهاشمية ، ناقلة حدودها الى نهر الاردن ، مما يعطي اسرائيل ميزات دفاعية هامة حيث تستفيد من نهر الاردن كحاجز طبيعي، ومن انقاص حدود جبهتها مع الاردن الى ما هو اقل من ثلث الحدود الحالية .

حدودها مع الجمهورية العربية المتحدة مكشوفة بصورة عامة ولا يستفاد من الوجهة الدفاعية الا من المستعمرات . غير ان قطاع غزة يعطي للعدو امكانية الاحاطة به وقطع اتصاله ،غير انه في الوقت نفسه يمكن الاستفادة منه كقاعدة استنادية للقوات المتقدمة نحو بئر السبع .

تشكل حدودها مع سوريه ساحة عمليات صعبة لكلا الطرفين حيث لا تساعد طبيعة المنطقة للقيام بالمناورات الواسعة وتجبر القوات اللجوء الى الهجوم الجبهوي ويصعب على قوات اسرائيل خرق الجبهة السورية التي تمتاز بمواقعها الحصينة عميقة التشكيل .

ويعتبر في الحدود اللبنانية عامل الارض في صالح القوات العربية من الوجهتين الدفاعية والهجومية ، لان مرتفعات الجليل تأخذ بالانحدار الى ان تنتهي بسهل عكا وحيفا وهذا ما يعطي المجال للقوات المندفعة من الشمال يسانده اندفاع من الشمال الشرقي (قوات سوريه) للتقدم نحو هدف استراتيجي هام هو مدينة حيفا وميناؤها .

ان هذه اللمحة الموجزة لحدود يبلغ طولها ٩٥١ كلم تعطي للقوات العربية

التي تفوق قوات اسرائيل عدداً وتسليحاً ، كل الميزات العسكرية اذا ما تبدلت سياسة الدفاع بسياسة الهجوم ، وهي الحل الوحيد لاسترداد الارض المغتصبة .

المساحة : تبلغ مساحة فلسطين ٢٧٫٠٠٩ كيلومترات مربعة أو ما يعادل ١٠٤٢٩ ميلاً مربعاً منها : ٧٠٤ كيلومترات مساحة بحيرة الحولة (التي جففت) وطبرية ونصف مساحة البحر الميت .

– للمقارنة تبلغ مساحة لبنان ٣٩٧٧ ميلاً . أي ان مساحة فلسطين تبلغ أكثر من مساحة لبنان مرتين ونصف المرة . احتل اليهود ٧٧ ٪ من مساحة فلسطين (حوالي ٢٠٫٧٠٠ كم ٢) وبقي ٢٣٪ وهو ما يعادل مساحة الضفة الغربية وقطاع غزة . يبلغ طول الساحل الفلسطيني من الناقورة شمالاً الى رفح جنوباً ٢٤٠ كيلومتراً . أكبر عرض لفلسطين هو ١٢٠ كيلومتراً ويقع بين رفح غرباً ومنتصف البحر الميت شرقاً ، وأكبر طول لفلسطين يبلغ ٤١٠ كيلومتراً ويقع بين قرية المطلة على الحدود السورية الشمالية وخليج العقبة جنوباً .

السكان : بلغ عدد سكان فلسطين عام ١٩٤٧ ، ١٫٩٣٣٫٦٧٣ نسمة وفقاً لآخر نشرة أصدرتها حكومة الانتداب قبل خروجها من فلسطين بتاريخ ١٥ / ٥ / ١٩٤٨ . وبتقدير أدق (كما أورد المؤرخ الفلسطيني مصطفى الدباغ) عندما يدخل في الحساب بدو بئر السبع يقدر السكان بـ(١٫٩٧٧٫٦٢٦) بينهم ٦١٤٫٢٣٩ يهودياً . وهذا يعادل ٣١٪ من مجموع السكان . ومعظم اليهود كانوا من المهاجرين الذين دخلوا البلاد بالقوة،لذلك فلا يمكن اعتبارهم آنذاك كالسكان العرب مواطنين فلسطينيين شرعيين . وكانت كثافة السكان تبلغ آنذاك ١٨٩٫٦ شخصاً في الكيلومتر المربع الواحد .

السكان الحاليون في فلسطين: قدر عدد السكان في الجزء المغتصب من فلسطين سنة ١٩٦٦ بـ ٢٫٥٢٥٫٥٦٢ نسمة بينهم ٢٫٢٤٢٫٢١٧ من اليهود .

ولو أردنا أن ندرس السكان من الناحية العسكرية نرى ان اليهود يمكنهم حالياً أن يجندوا أكثر من ٢٠٠٫٠٠٠ مقاتل على أقل تقدير . وعند حساب

النساء يرفع هذا العدد الى (٤٥٠٠٠٠) مقاتل ومقاتلة، انطلاقاً من القاعدة العامة لحساب القوات المسلحة للدول في السلم والحرب، باعتبار ان عدد القوات في السلم يكون ١٪ (اسرائيل دائماً في حالة حرب) من نفوس البـــلاد، وفي الحرب نحو ١٠٪، هـــذا اذا أسقط عــدد النساء. وقــد دخلت المرأة في اسرائيل الميدان الحربي، وعلى هذا الأساس يمكن لاسرائيل رفع هذه النسبة زمن الحرب من ١٥ — ٢٠٪ على أقل تقدير.

وبهذه المناسبة يبلغ عــدد الفلسطينيين العرب الموزعين في الاقطار العربية وفقاً لاحصاء العام ١٩٦٥ أكثر من ٢،٤٢٥،٠٠٠ نسمة، موزعين كما يلي:

	١،٢٥٠،٠٠٠	في الاردن.
	٤٢٥،٠٠٠	في قطاع غزة.
	٣٠٠،٠٠٠	في المنطقة المحتلة من فلسطين.
	١٦٥،٠٠٠	في لبنان.
	١٥٠،٠٠٠	في سوريه.
	٣٥،٠٠٠	في الكويت.
	٢٠،٠٠٠	في السعودية.
	٨،٠٠٠	في ج.ع.م.
	٨،٠٠٠	في الجمهورية العراقية.
	١٠،٠٠٠	في قطر والبحرين وعدن وسائر مناطق الخليج العربي.
تقريباً	٥٠،٠٠٠	في ليبيه وتونس والجزائر والسودان والمهاجر الاميركية.
	٢،٤٢١،٠٠٠	المجموع

من هذا الجدول نرى ان عددهم أكبر من عـدد اليهود القاطنين في فلسطين المحتلة . ولو أردنا أن نجند ١٠٪ من القاطنين في البلاد المتاخمة لأرضنا المحتلة (في الاردن وغزة وسوريه ولبنان) حيث يبلغ عددهم الآن مـا يقارب مليوني نسمة يمكن خلق قوة عسكرية فلسطينية عددها ٢٠٠٠٠٠ مقاتل ، ومثل هذا العدد يغني الدول العربية عن استخدام جيوشها في معارك التحرير لاسترداد فلسطين . ولقد أسقط من هـذا الحساب أكثر من ثلث مليون عربي يقطنون في قلب اسرائيل،ولا بد ان يتحولوا الى قوى معادية تنهش قلب اسرائيل من الداخل .

ان توزيع العرب الفلسطينيين في البلدان العربية لا يشكل تفتيتاً للقوى من الوجهة العسكرية كما يظن البعض، طالما ان قرابة المليونين منهم هم قريبون من أرض وطنهم (خاصة ان مليون وربع المليون يعيش في الاردن) . من هنـا تأتي أهميـة ايجاد الحل الاجتماعي والسياسي والعسكري للعرب الفلسطينيين في الاردن بضفتيه .

ان قضية فلسطين من الناحية البشرية العسكرية بالنسبة للعرب هي قضيـة مشتركة . وعلى هذا الأساس لو اعتبرنا ان مجموع العرب هم ١٠٠ مليون يمكن أن يجند منهم زمن السلم مليون (١٪) وزمن الحرب عشرة ملايين (أي بنسبة ١٠٪) .

ومع ان هذه الحسابات نظرية الا انهـا قابلة للتطبيق لو وجدت الظروف العربية المناسبة والنيات السليمة لوحدة المجهود الحربي . ان إزالة اسرائيل لا تحتاج الى هذه الأعداد من المقاتلين، بل يكفي أن تجند الدول العربية كل من هو قادر على حمل السلاح من أبناء فلسطين،وفي الوقت نفسه تحل نصف جيوشهـا اقتصاداً لميزانياتها العسكرية ، وفي مثل هذا الوضع يمكن القضـاء على اسرائيل بالقوات الباقية مضافاً اليها القوات العربية الفلسطينية ، ولكن ما برح أبنـاء النكبة ضحيـة التناقضات العدائية المحتدة بين الدول العربيـة التي بخلت حتى على اعطاء الفرصة لجيش التحرير الفلسطيني ليزداد عدة وعـدداً عندما أخذت

بعض الدول العربيـة تقصر ، بل وتتمنع عـن دفع التزاماتهـا المادية لهـذا الجيش الفتي .

التضاريس الطبيعية

تعتبر فلسطين من الوجهـة الطبيعية مرحـلة انتقالية تضريسية ومناخيـة وزراعية بين سوريه الجبلية في الشمال وصحراء التيه في الجنوب . تظهر فيها صفات التضاريس والتربة والمنـاخ والمزروعات بسيطة وجبلية جداً ترتبط فيما بينها ارتباطاً غير معقد ذات آثار واضحة ومباشرة في السكان . تقسم تضاريسها الطبيعية الى أربعة أقسام رئيسية نذكرها بملامحها العامة وهي :

١) - **السهول الساحلية** : تطل على البحر الابيض المتوسط وتبلغ ١٧ ٪ من مساحة فلسطين . توازي هذه السهول الساحل بشكل ضيق في الشمال يأخذ في الاتساع كلما اتجهنا نحو الجنوب وخاصة عند سهل عكا ومرج ابن عامر ، الا أن عرضها يقل عنـد حيفا حيث تنحدر جبـال الكرمل الى الساحل فيضيق حتى ٢٠٠ متر ثم يعود بالاتساع كلما اتجهنا الى الجنوب من حيفا حتى تبلغ أتم سعتها في أقصى الجنوب عند غزة حيث يبلغ عرضها ٣٠ كيلومتراً . أهم أجزاء هـذا السهل الكبير (انظر مخطط رقم ١) :

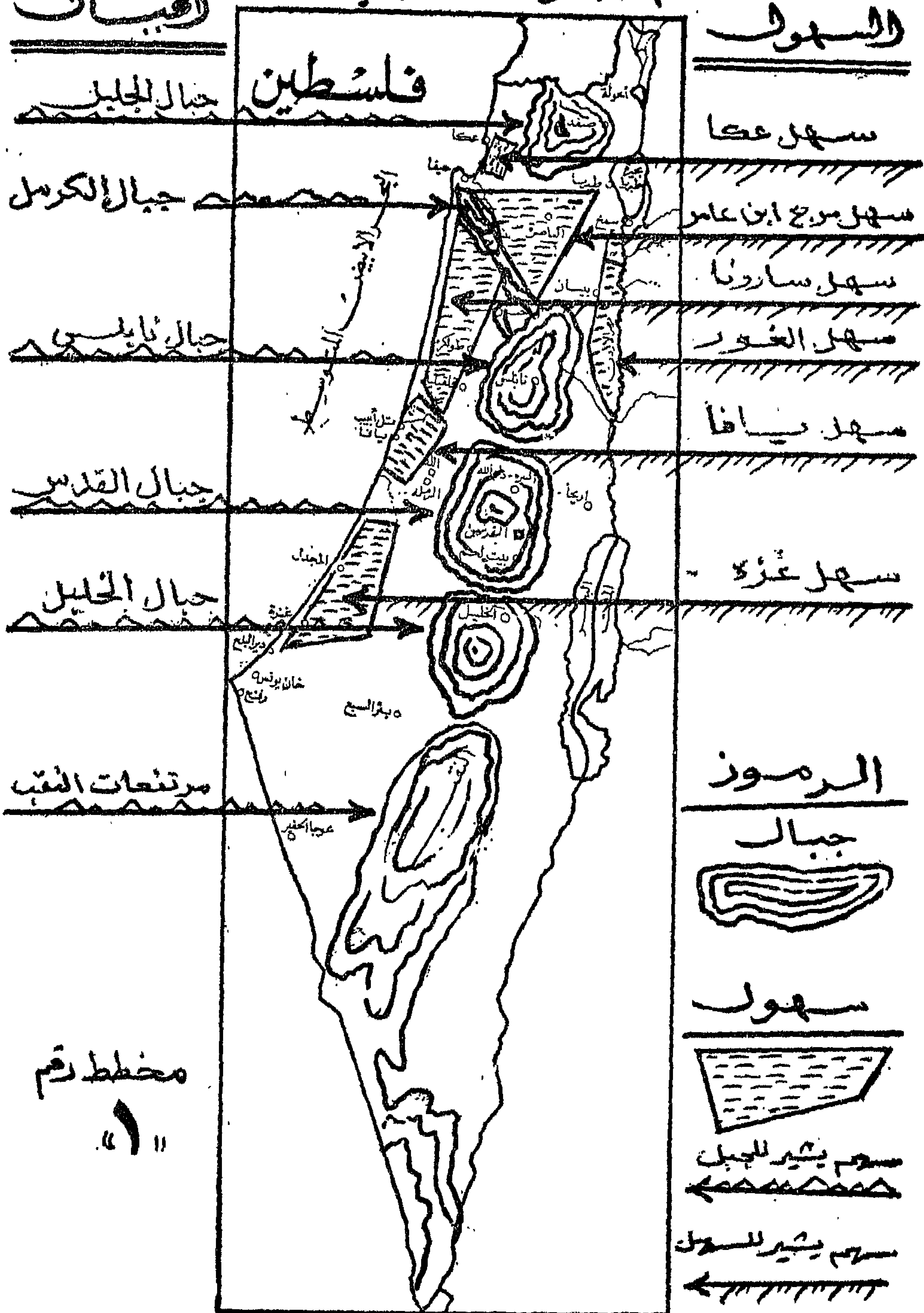
سهل عكا : تبلغ مساحته ٥٥٠ ألف دونم وأكبر عرض له عنـد عكا حيث يصل الى ١٢ كيلومتراً . تربته خصبة ، أهم ينابيعه (الكابرى) وينبع منـه نهرا النعامين والمقطع .

سهل ابن عامر : مساحته حوالي ٤٠٠ ألف دونم تمتد على شكل مثلث رؤوسه حيفا وطبريه وجنين . ويفصل جبال الجليل عن المرتفعات الوسطى .

سهل سارونا : يمتد بين حيفا ويافا ، تربته خصبة صالحة لزراعـة الحبوب والبرتقال .

سهل يافا : يمتد حول يافا متجهاً الى الشرق نحو الرمـلة واللد حيث يبلغ عرضه ٢٥ كيلومتراً ، يشتهر بزراعة البرتقال الذي اكتسب شهرة عالمية .

اهم الجبال والسهول في فلسطين



سهل غزة : أوسع سهول فلسطين ، تنتشر عليه الكثبان الرملية وخاصة في الأقسام المطلة على البحر، يصل عرضه الى ٣٠ كيلومتراً، يصلح لزراعة البرتقال والحبوب .

٢) — **المرتفعات الوسطى** : تؤلف المنطقة الوسطى من فلسطين وتشغل حوالي ٢٦٪ من مساحة الاراضي الفلسطينية . تمتد من أقصى شمال البلاد حتى منطقة النقب، ويفصل بينها مرج ابن عامر ويقسمها الى شمالية وجنوبية .

تنحدر سفوحها الغربية نحو الساحل انحداراً تدريجياً ، أما السفوح الشرقية فيكون انحدارها شديداً نسبياً . يؤلف القسم الشمالي من المرتفعات الوسطى جبال الجليل التي يتراوح عرضها ٤٠ — ٥٠ كيلومتراً . تمتد هذه الجبال من شمال صفد الى جنوب الناصرة ومن سهل عكا الى سهل الحولة . تبلغ أعلى قمة فيها ١٢٠٨ أمتار في جبل الجرمق الواقع قرب مدينة صفد ، وهو أعلى جبل في فلسطين . تغطي أشجار الزيتون والتين والخروب والاشجار الحراجية جزءاً كبيراً من الجبال الشمالية . غالبية صخورها جيرية لا تحتفظ بمياه الامطار وتكثر فيها الكهوف والمغاور . انتاجها الزراعي محدود .

ان الجبال الشمالية من فلسطين تصلح للحرب غير النظامية وتساعد على تحركات وحدات الانصار وحرية مناورتها، حيث ان وعورة مسالكها في بعض أقسامها المرتفعة تحدد مناورة القطعات النظامية الكبيرة وتفرض استخدام وحدات صغيرة العدد لكلا الطرفين مما يجعلها صالحة لقتال الانصار . الا ان كثافة الطرق المعبدة فيها وتعدد تشعبها تخلق ظروفاً صعبة للانصار حيث يصعب التنقل المخفي ويعطي للعدو سهولة نقل الامداد بالرجال من مكان الى آخر . ومع ذلك تبقى هذه الجبال مناسبة وخاصة اذا تأقلمت فيها وحدات مدربة قادرة على الانتقال وتوجيه الضربات المتلاحقة . ان العدو أدرك مسبقاً ما يمكن ان تشكله جبال الجليل من صعوبات عسكرية مما جعله يلجأ لانشاء عدة مستعمرات تتحكم بالمواقع التعبوية الهامة والمنافذ التي تساعد القوات غير

النظامية على التسرب منها أو التحكم فيها .

جبل الكرمل : يتألف القسم الجنوبي من المرتفعات الوسطى من جبال الكرمل القليلة الارتفاع حيث لا يزيد أعلى ارتفاع فيها عن ٤٥٠ متراً وتنخفض حتى ١٧٠ متراً عند رأس الكرمل وتنمو عليها أشجار الصنوبر . (انظر مخطط رقم ١) .

جبال نابلس : وأعلى جبل فيها عيبال أو (ستي سلامية) ويبلغ ارتفاعه ٩٤٩ متراً، والطور أو (جرزيم – الجبل القبلي) ويبلغ ارتفاعه ٨٨١ متراً ، والى الجنوب من جبال نابلس يقع جبل تل العاصور الواقع بين كفر مالك ودير جرير ويبلغ ارتفاعه ١٠١٦ متراً . تغطي أشجار الزيتون مساحات واسعة من هذه الجبال .

أما صلاحية هذه الجبال لقتال العصابات فلا مجال لذكرها حيث ان تجارب الثوار العرب الفلسطينيين أثبتت صلاحيتها الفائقة وملاءمتها لرجال العصابات ، وتمتاز عن جبال الجليل بحرية الحركة للانصار على نطاق أوسع ، الا أنها الآن كما هو معلوم في حوزة العرب ، غير ان خطورة الموقف تقتضي مسحها عسكرياً من الآن تحضيراً للدفاع عنها في حال اقدام اليهود على محاولة احتلال الضفة الغربية .

جبال القدس : تغطي أشجار الزيتون والتين والمشمش وكروم العنب اقساماً كبيرة منها . أهم قممها جبل الزيتون أو (الطور) و (سكوبس) ويبلغ ارتفاعه ٨٦٢ متراً ويقع شرق القدس ، وجبل المكبر المشرف على طريق القدس– بيت لحم .

جبال الخليل : ذروة ارتفاعها عند مدينة الخليل حيث تبلغ ١٠٢٧ متراً ، تنخفض الى ان تنتهي تدريجياً في النقب، تغطي الكروم مساحات واسعة منها.

٣) – **سهل الغور** : يبلغ عرض هذا السهل ٤– ١٥ كيلومتراً، ويغطي ٥٪

من مساحة الاراضي الفلسطينية ، ينخفض في معظم اجزائه عن مستوى سطح البحر لذلك دعي (بالغور) ، تكثر فيه الينابيع الجارية والتربة البركانية . أقصى ارتفاع لهذا السهل يبلغ مترين عن سطح البحر عند سهل الحولة، ثم ينخفض تدريجياً الى الجنوب حيث يبلغ على سطح بحيرة طبريه ٢٠٩ أمتار عن مستوى سطح البحر، وأقصى انخفاض له يبلغ ٣٩٢ متراً تحت مستوى سطح البحر عند سطح البحر الميت .

يسمى القسم الشمالي من الغور بسهل الحولة،كانت تشغل بحيرة الحولة منه قبل تجفيفها ١٤ كيلومتراً مربعاً . تقدر مساحة سهل الغور بحوالي مليون دونم وهي من أخصب بقاع العالم واكثرها تنوعاً بالمزروعات . تبلغ المسافة بين بحيرة طبريه والبحر الميت ١٠٤ كيلومترات .

٤) — **النقب** : يتكون النقب بشكل عام من هضبة يبلغ ارتفاعها ٥٠٠ — ١٠٠٠ متراً وهي على شكل مثلث ، قاعدته الشمالية خط يمتد بين غزة والطرف الجنوبي من البحر الميت، ورأسه الجنوبي العقبة. وتبلغ مساحة النقب حوالي نصف مساحة فلسطين . قليل الزراعة نظراً لانحباس مياه الامطار وقلة موارد المياه الطبيعية ، الأمر الذي تداركه اليهود اصطناعياً بجرهم مياه الأنهار للنقب. وهو غني بثرواته المعدنية وأهمها الاورانيوم والفوسفات والنحاس. وبالانتهاء من تحويل مشروع نهر الاردن ومشاريع مائية أخرى ستحيي اسرائيل اراضي النقب، حيث ستخترق القنوات فلسطين من أقصاها الشمالي الى جنوبها، ويرمي هذا المشروع وملحقاته التي ستتم عام ١٩٧٠ استثمار (٣)ملايين دونم من المساحات الزراعية المروية .

يصعب قتال الانصار في النقب الا انه يصلح للقيام باعمال الاغارات ذات المسيرات الليلية لضرب المستعمرات القريبة وتخريب الطرق والجسور والمنشآت الواقعة ضمن مسيرة (٢٠ — ٣٠) كلم من الحدود العربية المتاخمة الى داخل اسرائيل . ويعتبر النقب من الناحية العسكرية ارضاً مكشوفة وخاصة في

الجوانب حيث تنعدم المواقع الطبيعية . من هنا تأتي أهميـة حركات القوات الجوية واعطاء الفرصة لمن يحوز على السيادة الجوية في النقب من تحريك مشاته واسلحته المساندة بحرية. وتصعب تحركات العدو بسهولة في مثل هذه الأراضي المكشوفة .

خطورة النقب : للنقب اهمية اقتصادية كبيرة تعكس فعاليتها لزيادة قوة اسرائيل العسكرية، اذ أن تعمير النقب وجرّ المياه اليه يؤدي الى مضاعفة عدد السكان اليهود في فلسطين المحتلة ومضاعفة الطاقات البشرية والعسكرية فيهـا الى الضعفين . لقد شرع اليهود منذ العام ١٩٥٣ في العمل على جرّ ميـاه نهر الأردن (٣٢٠) مليون متر مكعب سنوياً الى صحارى الجنوب . كما استغلت مياه نهر الشريعة لبناء المستعمرات واستصلاح الأراضي ، ولا تزال المشاريع قائمة بالتوسع .

وتكمن خطورة النقب بأهمية المستعمرات الدفاعية والصناعية التي انشئت فيه: ك«ديمونه» الواقعة على بعد عشرين ميلاً الى الجنوب من بئر السبع، تأسست عام ١٩٥٥ وأصبح عدد سكانها (١٥) الف نسمة يعملون في منشآت البوتاس والبرومايين في سدوم على البحر الميت ، وفي ديمونه المفـاعل الذري الكبير . مستعمرة (مترِبة رامون) : تقع في منتصف الطريق بين بئر السبع وميـنـاء ايلات . عدد سكانها (١٠) آلاف . مستعمرة (تيمنا) تقع قريبـاً من ايلات وتعود أهميتها لقربها من مناجم النحاس ويبلغ عدد سكانها (٧) آلاف .

أما مدينة بئر السبع فقـد ارتفع عددسكانها الى ٤٥ الف نسمة. ويبلغ مجموع سكان النقب الآن (١٥٠) الف نسمة، بينما كان سنة ١٩٥٨ لا يزيـد عن (١٤) الف نسمة .

لقد أدى احياء النقب الى التوسع في انشاء شبكات الطرق ، ومن أهمهـا الطريق الذي يصل البحر الأحمر ماراً الى بئر السبع — مستعمرة (اره)

و(سدوم) حتى يصل الى (جروفيت) على بعد ٣٠ ميلاً الى الشمال من ايلات .

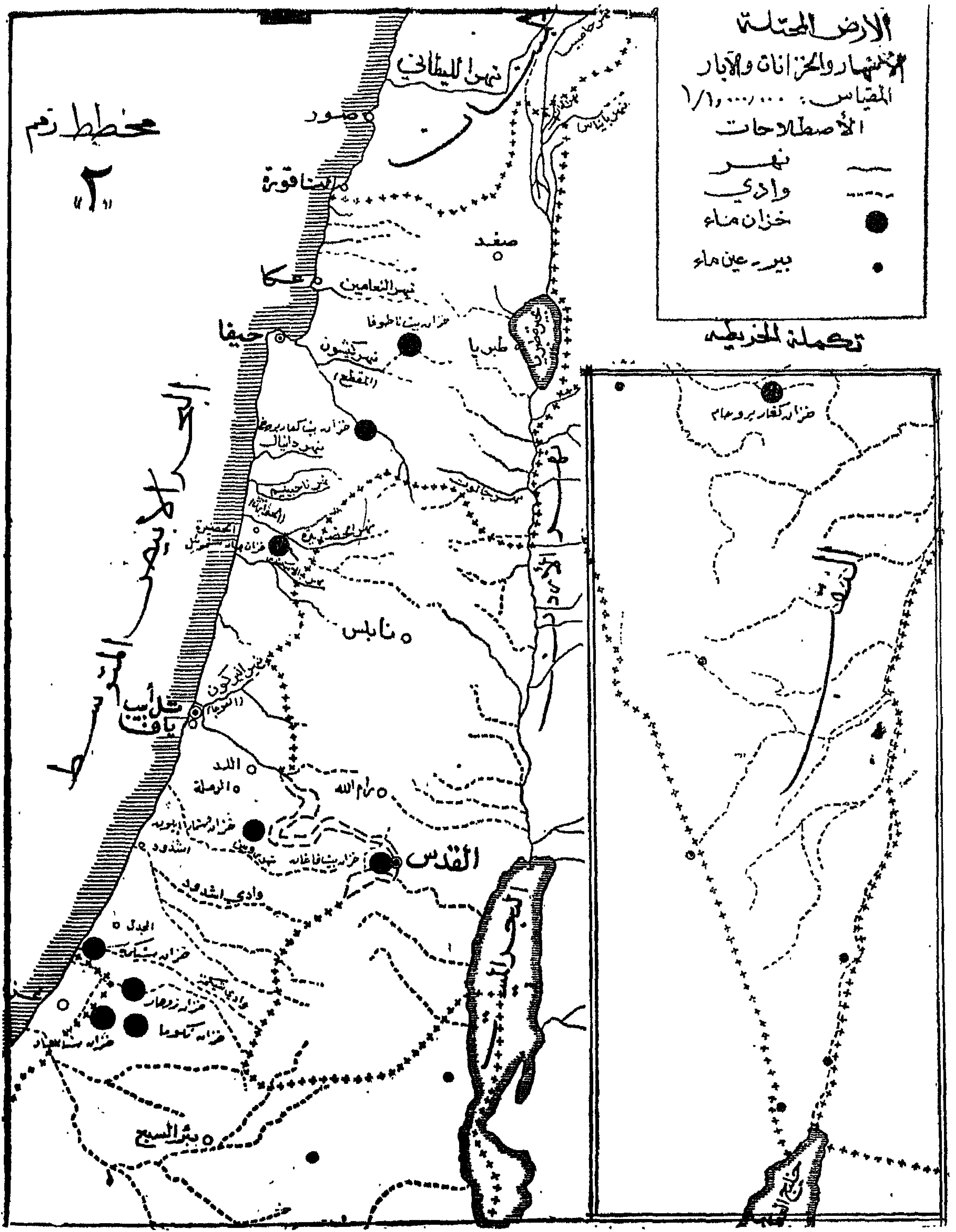
أما التعدين في النقب فيعتبر مورداً هاماً لصناعات اسرائيل ، فقد بلغ انتاج البوتاس سنة ١٩٦٥ أكثر من (٦٠٠) الف طن . وبلغ انتاج الفوسفات أكثر من (٣٠٠) الف طن سنوياً . وأما النحاس فسيرتفع انتاجه سنوياً لأكثر من ٢٠ الف طن في أول مصنع له في (تيمنا) . وقد استخرج البترول من النقب بكميات ضئيلة تغطي ٨ ٪ من حاجة اسرائيل . واستثمر حقلان للغاز بالقرب من البحر الميت يقدر انتاجها السنوي بنحو ٢٠ مليون قدم مكعب في العام .

المياه في فلسطين (الأنهار والبحيرات)

يوجد في فلسطين قسمان من الأنهار : قسم يصب في البحر وهي الأنهار الساحلية ، وقسم يصب في الداخل في أنهار أخرى أو بحيرات وهي الأنهار الداخلية . (مخطط رقم ٢) .

١) **الأنهار الساحلية** : مأخوذة من الشمال الى الجنوب وهي :

(نهر الكابري) ينبع بالقرب من صفد ويصب في البحر الى الشمال من عكا قرب الزيب . (نهر النعامين) ينبع من قرب بلدة شفا عمرو ويصب جنوب مدينة عكا. (نهر المقطع) له منبعان، أولهما من جبل فقوعة أو (جبل جلبوع) والثاني من جبل طابور جنوب شرقي الناصرة ويصب في خليج عكا الى الشمال من حيفا ، طوله ١٣ كيلومتراً . (نهر الزرقاء) ينبع من شمالي قرية ام الفحم ويصب شمال قرية قيسارية ويدعى نهر التمساح . (نهر العوجا) ينبع من رأس العين في الشمال الشرقي من مدينة يافا وتنضم اليه عدة مجاري وجداول الى ان يصب في البحر الى الشمال من مدينة يافـــا – وتل ابيب، طوله ٢٦ كيلومتراً ، وهو أطول الأنهار الساحلية . (نهر روبين) تتجمع مياهه من عدة أودية أهمها


الأرض المحتلة
الأنهار والخزانات والآبار
المقياس : ١/١،٠٠٠،٠٠٠
الأصطلاحات
نهر
وادي
خزان ماء
بير - عين ماء
تكملة الخريطه
مخطط رقم
« ٢ »
نهر الليطاني
صور
الناقورة
صفد
عكا
نهر النعامين
حيفا
نهر كيشون
(المقطع)
طبريا
نابلس
تل أبيب
يافا
اللد
الرملة
رام الله
القدس
اشدود
وادي اشدود
بئر السبع
البحر الأبيض المتوسط

وادي الصرار ووادي قطرة، يصب في البحر الى الجنوب من مدينة يافا . (نهر سكوير) ينبع من جبـــال الخليل ويصب في البحر الى الشمال من اسدود ، تجف مياهه صيفاً . (وادي الحسي) ينبع من جبال الخليل ويصب قرب دير سنيد بين الجدل وغزة ، وتجف ميــاهه صيفاً . (وادي غزة) يأتي من جبــال الخليل ومنطقة بئر السبع ويصب بين غزة ودير البلح، وتجف مياهه صيفاً .

٢ – **الأنهار الداخلية** : (نهر الحاصباني) ينبع من جبل الشيخ الواقع شمال شرقي حاصبيا في لبنان ، يدخل الاراضي الفلسطينية من شرق المطلة وينضم الى نهر بانياس ، تبلغ كمية المياه التي تتدفق فيه كل عام ١٥٧ مليون متر مكعب . (نهر دان) او (اللداني) ينبع من تل القاضي قرب بانياس في سوريه ، يتجه مجراه للجنوب وينضم لنهر الحاصباني ، تدفق ميــاهه يبلغ ٢٥٨ مليون متر مكعب في العــام . (نهر بانياس) ينبع من السفح الجنوبي لجبل الشيخ قرب بانياس ، يتجه جنوباً بغرب وينضم الى نهر الحاصباني،تدفقه السنوي ١٥٧مليون متر مكعب .

(نهر الاردن) · تتكوّن ميــاهه من تجمع الأنهار الثــلاثة المارة الذكر (الحاصباني ودان وبانياس) مكوّنة أكبر نهر في فلسطين يدعى نهر الأردن الذي يصب في البحر الميت ويقارب طوله المتعرج ٣٨٦ كيلومتراً . كان بعد تجمع موارده الثلاث يسير ١٥ كيلومتراً ليصب في بحيرة الحولة التي جففت مياهها الآن ، وبعد مسيرة ١٧،٥ كيلومتراً يصب في بحيرة طبريه . بعد ان يخرج من طبريه ينضم اليه نهر اليرموك ويبلغ طوله عند خروجه من بحيرة طبريه الى ان يصب في البحر الميت ١٩٤ كيلومتراً . أقيمت على هذا النهر خمسة جسور هي بدءاً من الشمال : جسر بنــات يعقوب قرب الحولة ، جسر المجامع جنوبي بحيرة طبريه ، جسر الشيخ ، جسر داميه ، جسر اللنبي ، وهذه الجسور الثلاثة الأخيرة هي في المملكة الأردنية الهاشمية . يتراوح عمق نهر الأردن بين ١ – ٤ أمتار وأقصى عرض له (٤٠) متراً . تبلغ كمية المياه المتدفقة فيه ١٨٨٠ مليون متراً مكعباً في العام .

لقد جرت وتجري تبدلات جذرية على نهر الأردن والأنهار الثلاثة التي يتكوّن منها هذا النهر حتى أصبحت مجاري هذه الأنهار التي يتناولها التغير في مسيراتها سبباً هاماً ودافعاً مباشراً للحرب المائية الجارية بين العرب واليهود. ولقد برهن الصهيونيون على فاعلية خارقة في التنفيذ وأظهروا تحدياً سافراً للعرب عندما حولوا مجرى نهر الأردن وسحبوا المياه من بحيرة طبريه لارواء مشاريعهم الزراعية، بينما ظل العرب حتى الآن غير قادرين على تبديل مجاري الأنهار مارة الذكر التي يتكوّن منها نهر الاردن .

البحيرات : كان على ارض فلسطين ثلاث بحيرات هي : بحيرة الحولة وبحيرة طبريه والبحر الميت (او بحيرة لوط) . جفف الاسرائيليون بحيرة الحولة وكسبوا (١٤) كيلومتراً مربعاً من الأراضي الخصبة، يخترقها المجرى الاصطناعي الذي بقي بعد التجفيف ليسير فيه نهر الاردن .

(**بحيرة طبريه**):تبعد عن مكان بحيرة الحولة المجففة (١٧٫٥) كيلومتراً الى الجنوب ، مياهها عذبة وتكثر فيها الأسماك ، صالحة الاستثمار ، مساحتها (١٦٥) كيلومتراً مربعاً،اعظم طول لها يصل الى(٢٢) كيلومتراً وأوسع عرض لها هو ١٢ كلم تقريباً ، عمقها يتراوح بين (٤٢ — ٤٨) متراً وتنخفض عن سطح البحر (٢٠٩) امتار .

تشكل بحيرة طبريه حاجزاً دفاعياً طبيعياً للقوات الصديقة والعدوة ، الا ان القوات الاسرائيلية يمكن لها استخدام البحيرة للقيام بعمليات برمائية حيث ان مياه البحيرة وفقاً للتقسيم بقيت مع الجانب الاسرائيلي. وقد أولت اسرائيل اهمية عسكرية لبحيرة طبريه وشكلت قوات بحرية مزودة بالزوارق المصفحة والمسلحة بالمدافع المضادة للدرع والطائرات والرشاشات الثقيلة . الا ان قوة الجبهة السورية وكون الزوارق المهاجمة مكشوفة لنيران القوات السورية لا يعطي للبحيرة اهمية عسكرية كبيرة للعدو لاتخاذها كقاعدة انطلاق للجبهة السورية .

(البحر الميت) : ويسمى بحيرة (لوط) . سمي بالبحر الميت لاستحالة وجود الاحياء فيه بسبب ارتفاع نسبة الاملاح في مياهه . يصب نهر الاردن في الطرف الشمالي منـه . تبلغ مساحة البحر الميت (١٠٥٠) كيلومتراً مربعـاً ، اقصى طول له (٧٦) كيلومتراً ومتوسط عرضه (١٥) كيلومتراً . أعماقه كبيرة وخاصة في الأقسام الشمالية حيث تبلغ (٤٥٠) متراً بينما لا يتجاوز عمقه في اقصى الجنوب المتر الواحد . تزداد نسبة الاملاح فيه سنة بعد سنة بسبب تبخر مياهه نتيجة لارتفاع درجة الحرارة، سيا وانه ينخفض عن سطح البحر (٣٩٢) متراً، وهو اقصى انخفاض عن سطح البحر في الكرة الارضية. درجة ملوحته ٢٥٪ (في بحار العالم تتراوح من ٢ — ٤ ٪). تشكل الاملاح في البحر الميت ثروة اقتصادية هائلة، ويقدر الخبراء كمية البوتاس الموجودة فيـه بما يزيد عن الفي مليون طن. ومن المعلوم ان هذه المادة تعتبر أساسية بالنسبة لكثير من الصناعات الكيماوية : كملح البارود والعقاقير الطبية والدهـــان والصابون والأصبغة والمنسوجات . أما كميات المغنيسيوم فيـه فتقدر بألف مليون طن . وتعتـبر هـــذه المادة أساسية في صناعة التصوير والأدوية وآلات السيارات والمتفجرات والصباغة . وتقدر كميات ملح الطعام الموجودة في مياهه بـ (١١)الف مليون طن . ويقول الخبراء ان القسم الذي تسيطر عليه امرائيل مع صفر مساحتة يمكن ان يسد حاجة العالم كله من البوتاس لمدة مئتي عام . وهكذا نرى ان امرائيل تستفيد من البحر الميت من نواحٍ عديدة : سياسياً واقتصادياً ودعائياً وعسكرياً . وامرائيل تفكر جدياً في جلب مياه البحر الابيض المتوسط لتصب في البحر الميت في قسمه الجنوبي، وهذا الانخفاض سوف يمكـّن اسرائيل من توليد طاقة كهربائية هائلة تبعث الحياة في النقب وانعاش الحياة الصناعية .

أهم الينابيع في فلسطين : يستفاد من الينابيع (العيون) المـــائية من الوجهتين الاقتصـادية والعسكرية وخاصة للقوات المهاجمة اذ ان الاستيلاء على ينبوع ماء قد يستوجب الدخول بمعركة . فالمـاء يقلل من عبء النقليات وهو مادة يومية أساسية للجندي الذي يحتاج يومياً من (٥ — ١٠) لترات ، وفي

الظروف الحرجة يكتفي بـ (١ – ٢) لتر. تنتشر الينابيع في فلسطين انتشاراً كبيراً وقد نظّم لها خرائط خاصة تصنفها بالنسبة لتدفقها وصلاحيتها للاستعمال وموقعها . وأهم هذه الينابيع هي : (عين حارود) قرب بيسان ، (عين السلطان) قرب أريحا ، (عين جدي) على الشاطىء الغربي من البحر الميت ، (نبع الكابري) قرب عكا ، (نبع كردانة) شرقي حيفا ،(نبع رأس العين) شمالي شرقي يافا : تدفقه عشرة أمتار مكعبة في الثانية ، وقد جرّت مياهه في أنابيب الى القدس ، (نبع فراضيه) قرب قرية فراضيه قضاء صفد ، (نبع عين الست) في ضواحي مدينة عكا ، (نبع قرية البعنة) في قضاء عكا ، (نبع قرية الدامون) في قضاء عكا ، وغير ذلك من الينابيع العذبة او الحارّة كينابيع الحمة (المقلى والبلسم والريح) درجات حرارتها بالتتابع ٤٧° ، ٤٠° ٣٦° وتحتوي على المواد الكبريتية النافعة لعدة امراض كالروماتيزم وامراض الجلد ، وينابيع طبريه التي تبلغ درجة حرارة بعضها ٦٠° مئوية .

الفصل الثالث

جغرافية فلسطين الاقتصادية وعلاقتها بالمجهود الحربي

بُني التخطيط الاقتصادي في اسرائيل على أسس علمية تهدف الى توسع اسرائيل وخلق قوة عسكرية كبيرة قادرة على تحقيق مطامع اسرائيل بالقوة. من هنا تأتي أهمية دراسة الاقتصاد الاسرائيلي مبتدئين بأخذ فكرة عن هذا التخطيط واعطاء ملامح عامة للمرافق الاقتصادية الأساسية، وهي: الصناعة، الزراعة، التجارة، المواصلات، والانشاء.

التخطيط الاقتصادي في اسرائيل: التخطيط الاقتصادي كما نعلم هو تحديد عمل المستقبل ورسم سياسة الغد لأمر معين، وهو وسيلة تضمن حسن استخدام الموارد القومية بطريقة علمية عملية، وأداة فعالة للتحكم بمجرى التبدلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية في الوطن، ويهدف الى بناء كيان اقتصادي يتفق والأنظمة الاجتماعية التي تسير عليها الامم. وهناك التخطيط الاقتصادي الاشتراكي الذي يهدف رفاهية الشعب والوصول الى بناء قاعدة مادية تكنيكية للانتقال من مرحلة اقتصادية معينة الى مرحلة أعلى، يقابله التخطيط الاقتصادي الرأسمالي (ان صح لنا استعمال كلمة تخطيط رأسمالي) يهدف الى بناء اقتصاد غير متجانس في قطاعاته، حيث تبقى التناقضات والأزمات الاقتصادية قائمة، ويظل بالنتيجة السواد الأعظم من الشعب مستثمَراً من قبل فئة قليلة مستثمِرة، وسواء ادعت اسرائيل بأنها تتبع الأسلوب الاشتراكي أو

الرأسمالي في تخطيط اقتصادها ، فان الحقائق تثبت انها تتبع الاسلوب الرأسمالي في أعلى مراحله وعلى نمط البلدان الاستعمارية التي لا تكتفي باستثمار الفئات الواسعة من شعوبها فقط، بل تتجاوزها الى استثمار الشعوب الأخرى واضطهادها بغية بناء جهاز عسكري ضخم عن طريق عسكرة الانتاج وصرف الطاقات البشرية والطبيعية هدراً لدمار الشعوب وسلبها بدلاً من نشر الرفاهية والسعادة. والاقتصاد في اسرائيل لا يمكن فصله عن الناحيتين العسكرية والسياسية ، كما انه هو عماد سياستها . وقد أشار بن جوريون الى هذه الحقيقة عندما قال : « ان معركة اسرائيل هي معركة مثلثة ، عسكرية وسياسية واقتصادية ، وان أية واحدة منها لم تنته بعد ، وان كلاً منها تتطلب مجهوداً متواصلاً ، وكل طرف من هذا الثلاثي مربوط بالآخر». والولايات المتحدة الاميركية انموذج لهذا التخطيط. انها تنفق اكثر من ثلثي ميزانيتها العامة في الشؤون العسكرية والمشاريع العدوانية ، وقد أنفقت على تجاربها وابحاثها الحربية فقط ١٤ مليار دولار بين عام ١٩٦١ – ١٩٦٢، أي حوالي ٧٠ دولار بالنسبة للفرد من سكان اميركا ، وفي السنة المالية ١٩٦٣ – ١٩٦٤ ارتفع هذا الرقم الى ٧٨,٤ دولار بالنسبة للفرد من السكان ، وبهذا تضاعفت نفقات البحث العلمي في اميركه ٣٣ مرة في حين ان مجموع الدخل الوطني ذاته لم يرتفع الا خمس مرات خلال الفترة الواقعة بين عام ١٩٤٠ – ١٩٦٤ ، ومن المعلوم ان ٩٠ ٪ من النفقات التي تخصصها الحكومة الاميركية للبحث العلمي هي ذات طابع عسكري . واننا اذ نتعرض لأميركه في هذا المجال فلأن اسرائيل اتبعت في تخطيطها الاقتصادي النهج الاميركي نفسه فكرّست جزءاً كبيراً من فاعلياتها للنشاطات والابحاث العلمية العسكرية ، وأخذت اشاعة العسكرية في الاقتصاد والعلم تدخل دولة اسرائيل بصورة واسعة في هذين الحقلين اللذين تتولى قيادتها الطغمة العسكرية، باعتبار ان الاهتمام العسكري بالمعارف العلمية هو الذي يفرض من سخاء الموازنة تجاه العلم .

ويمكننا ان نؤكد جازمين ان الاقتصاد الاسرائيلي لن يكتب له النجاح ولو استغل آخر ما توصل اليه العلم والتجارب والتقدم التكنيكي لأقصى الحدود ولن

ينقذه من الأزمات المتزايدة والهزات العنيفة لا التخطيط الرأسمالي ولا التخطيط الاشتراكي ، والسبب الرئيسي ان الاقتصاد الاسرائيلي لا يرتكز على أسس ثابتة، فالعنصر البشري، الأداة الحاسمة في تطور قوى الانتـــاج ، يتركب من عناصر متناقضة وغير متجانسة تستنفذ معظم طاقاتها في الحقول غير المنتجة ، وخاصة في الحقل العسكري وتحويل قسم كبير من الصناعة والزراعة ، من انتـــاج السلع المدنية لتلبية حاجات الشعب الى انتاج الاسلحة وتخزين قيم مادية هائلة بشكل مخزونات استراتيجية . وقد بلغت النفقات الحربية المبـــاشرة في اسرائيل عام ١٩٦٤ اكثر من ثلثي ميزانيتها . وقد ذكر بن جوريون في كتابه (اسرائيل في حروبها)ما يلي : «لا مناص لنا من بذل مجهود أقصى لكي ننجح،هذا المجهود يفرض علينا ان نستعبد الشعب وكل ما يملك من ثروات اقتصادية وثروات مالية دفينة، وان نسخّر مواصلاته وصحفه وحياته العامة كلها ، وان نسخّر المنظمة الصهيونية العالمية بمؤسستها ونفوذها في سبيل نجاحنا ، وبدون ذلك لن يكتب لنا النجاح » .

كما ان الارض وخيراتها تعتبر جزءاً مسلوباً له اصحابه الشرعيون تحيط به القوى العربية المتوثبة أبداً للقتال واسترداد الحق السليب .

اما الموارد المادية والمالية التي تصرف حاليـاً في اسرائيل فلن تبقى ثابتة ، وسوف تعجز تدريجياً عن تلبية متطلبـــات اسرائيل المتنامية بسبب زيادة السكان والتجديدات المستمرة للأعتدة والاسلحة الحربية،والتي لا يمكن بأي حال من الاحوال تغطيتها والتعويض عنها من الداخل بكد وتعب ابناء اسرائيل . ومعنى ذلك ان نجاح تخطيطها الاقتصادي رهن باستمرار تدفق هذه الموارد من الخارج وخاصة من اميركه والمانيه الغربية وقيامها بتنفيذ احلامها التوسعية في البلاد العربية ، والاستمرار في توسيع علاقاتها الاقتصادية والتجارية مع بعض بلدان آسيه وافريقيه .

ان حكام اسرائيل يعتقدون ان اشاعة العسكرية في الاقتصـــاد الوطني

والركض وراء التسلح يضعان اقتصاد اسرائيل في مأمن من الازمات الاقتصادية والبطالة . اما في الواقع فان اشاعة العسكرية في الاقتصاد اذ تشدد من حدة التفاوت بين الامكانات الانتاجية والطلب المتعاظم عند السكان تؤدي حتماً الى أزمة اقتصادية أعمق .

ان قوى الانتاج في اسرائيل ، التي يمكن تحديدهـا علمياً بالقوى البشرية والآلات والأدوات المنتجة والارض والخبرة والمهارة في الانتاج، ستظل دائماً في تناقض مستمر . وعلة ذلك ان علاقة ديلكتيكية بين هذه العناصر الأساسية في الانتاج ، شأنها شأن قوى الانتاج في البلدان الرأسمالية التي تستنزف طاقاتهـا الكبرى وفاعلياتها الاقتصادية من أجل الاقتصاد الحربي ، ويكفي ان نعلم عن القوى البشرية التي تكون العنصر الحاسم في الانتـاج، ان بين كل خمسة عمال في اسرائيل ثلاثة يعملون في مجـال الانتـاج العسكري أو في الخدمات التي لهـا علاقة مباشرة أو غير مباشرة في النشاطات العسكرية . أضف الى ذلك ان هدف الانتاج في اسرائيل لا يؤدي الى رفع مستوى الحياة فيها لأن وسائل تقدم الانتاج لا تتناسب والزيادة النسبية في السكان (بفعل الزيادة المحلية والهجرة) من جهة ، والحاجة المتناهيـة من سلع الاستهلاك ، وخاصة المواد الغذائيـة، من جهة أخرى .

ان علاقات الانتاج في اسرائيل بنيت على أساس الاستثمار والتحكم والسيطرة من قبل فئة الاحتكاريين الكبار ممثلي الامبريالية العالمية، التي تمكنت بقوتهـا المادية والمالية من تسخير اليهود لخدمة مصالحها بالدرجـة الاولى ، ولخلق جيل مشبع بالروح العسكرية العدائية للشعوب العربية ، وهذا ما جعل من اسرائيل أداة أو آلة مستنفرة باستمرار للقيام بحرب عدوانية بقصد التوسع والسيطرة على منطقة الشرق العربي .

والذي يساعد على ذلـك ان الطاقات والوسائل المنتجـة في اسرائيل ، ومعظمها سلبت من ثرواتنا القومية ، تحولت الى ملكية خاصة لفئة احتكارية.

وظل الشعب في اسرائيل ، العامل في جميع المجالات الاقتصادية والعسكرية ، مكرهاً على العمل لصالح هذه الفئة ، وبذلك نرى ان القاعدة الاقتصادية في اسرائيل أو بمعنى آخر بناءها التحتي قائم على أسس السلب والنهب والتصرف بالثروة الوطنية الفلسطينية التي كونتها الاجيال المتعاقبة لشعب فلسطين العربي ، والتي تقدر قيمة الارض والممتلكات والثروات المنقولة التي استولى عليها اليهود بعد تقتيل وتشريد مليون عربي، بأكثر من مليارين من الجنيهات الاسترلينية . أما ما في وطننا فلسطين من خيرات دفينة فلا يمكن تقديرها بأي ثمن، ويكفي على سبيل المثال أن نذكر ان الخبراء الاقتصاديين قدروا ثروة البحر الميت (التي تبلغ نسبة الأملاح الثمينة فيه بمعدل ٢٦٠ غراماً في اللتر الواحد) بأربعة عشر ملياراً من الجنيهات، ويقع جزء من شاطئه الغربي ضمن المنطقة المغتصبة . وقد قال هربرت صموئيل اليهودي وأول مندوب سامي لبريطانيه في فلسطين : « ان الثروات الكبيرة في البحر الميت من البوتاس والمعادن والثروات الأخرى تزيد أضعافاً مضاعفة عما أنفقه كل الحلفاء وخصومهم في الحرب العالمية الاولى » .

الصناعة في اسرائيل

نشأت الصناعة في اسرائيل على كاهل رجال الصناعة والحرفيين والمستثمرين الذين تدفقوا الى اسرائيل منـذ عهد الانتداب البريطاني . وكانت تسير بخطى سريعة اذا ما قورنت بالصناعة العربية، التي ظلت تعاني تأخراً بسبب السياسة البريطانية آنذاك ، الراميـة الى ابقـاء العرب الفلسطينيين في وضع من التخلف والتبعية الاقتصادية وافساح المجـال لليهود واعطائهم الامتيـازات التي دفعت منتوجاتهم وصناعاتهم وخاصة الخفيفة للسير الى الأمام بخطى سريعة .

وفي الحرب العالمية الثانية نشطت الصناعة اليهودية نشاطاً ملحوظاً، واصبحت منطقة الشرق الاوسط تعتمد عليها ، نظراً لتقلص الاستـيراد الاوروبي ايام الحرب العالمية الثانية ، كما انها أخذت تتجه نحو الصناعة العسكرية ، اذ انهـا

كانت تمد اكثر من ٢٠٠ الف جندي من قوات بريطانيه بالمعدات والأجهزة الحربية . الا انه بعد قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ اصطدمت الصناعة بعقبات كثيرة بسبب قلة المواد الخام التي كانت تستورد معظمها من الخارج وخاصة من البلدان العربية ثم عادت تفتش عن مجالات أخرى لتأمينها من الداخل ، وفي خلال عشر سنوات تطورت الصناعة فيها تطوراً ملحوظاً . وقد ذكر في نشرة لهيئة الامم المتحدة : ان اسرائيل متقدمة صناعياً على جميع بلدان الشرق الاوسط، وانها هي الدولة الوحيدة التي يزيد فيها نصيب الصناعة في الدخل القومي على نصيب الزراعة، حيث تبلغ الثلث للزراعة والثلثين للصناعة تقريباً، كما ان الصناعة تستوعب في اسرائيل ٣٠٪ من اليد العاملة ، وقد ارتفع عدد العمال الذين يعملون في حقل الصناعة من ١٤٠ الف عامل عام ١٩٥٨ الى ١٨٠ الف عام ١٩٦٤ .

ان برمجة الصناعة وتقدمها في اسرائيل يجب أن يعتمد على الأسس التالية وجميعها صعبة التحقيق كما سنرى :

١) تأمين العدد الكافي من اليد العاملة الفنية غير المرتفعة الأجور .

٢) تأمين قاعدة ثابتة لموارد اليد الخام .

٣) رخص نفقات الانتاج .

٤) توفر الاعتمادات المالية باستمرار لتطوير الصناعة .

٥) رخص الوقود وخاصة المحروقات السائلة والكهرباء .

٦) ايجاد أسواق مضمونة لتصريف المنتوجات الصناعية .

وغير ذلك من الأسس الفرعية التي لا مجال للتوسع فيها. ولو أخذ كل عنصر من العناصر المذكورة على حدة نرى ان اسرائيل تعاني وستظل تعاني صعوبات جمة :

١ – ان اليد العاملة في اكثر الصناعات متوافرة . غير ان ما يصرف عليها من أجور وما يضاف على سلع الانتـــاج من أموال باهظة للدعاية والادارة والخدمات غير المنتجة حتى تكسب المنافسة مع بضائع الدول الاوربية المزاحمة لها ، كل ذلك يوقع ادارة المصنع بأزمة شديدة . ومثالنا على ذلك ما وقع في مصانع (كارجال) من الفوضى وتراكم الديون علماً بأنها تعتبر في اسرائيل مثالاً يحتذى به في الادارة والتقدم التكنيكي .

٢ – أما تأمين موارد المواد الخام فستظـــل اسرائيل مهما اتخذت من وسائل وفتشت عن طرق في حالة نقص مستمر ، وعلة ذلك ان مساحتها التي سلبتها منا محدودة ، وليس في اسرائيل معادن كافية لتكوين مصدر كاف من المواد الخام ، ومثل ذلك موارد الصناعة التي تعتمد على المزروعات كالمنسوجات ، إذ ان الاراضي الصالحة لزراعة القطن محدودة جداً وقليلة المساحة باعتبار ان اسرائيل محاصرة ومطبّق عليها نظام المقاطعة من قبل البلدان العربية الغنية بالمواد الخام ، لذلك نراها مضطرة لاستيراد هذه المواد بأسعار مرتفعة من خارج اسرائيل تشكل في بعض الاحيان ٥٠٪ من نفقات انتاج بعض الصناعات .

٣ – ان نفقات الانتاج للسبب المذكور اعلاه مرتفعة ، ومما يزيد الطين بلة السياسة التي تتبعها الهستدروت التي تناضل باستمرار من أجل التوفيـــق بين مستوى الأسعار ومستوى الأجور لصالح العامل الاسرائيلي ، وهذا يسبب مشاكل بين العمال وأرباب العمل . غير ان الهستدروت عندما شعرت الأثر السيء لهذه السياسة في وضع كوضع اسرائيل وعدم صمود الصناعة أمام المنافسة في الاسواق العالمية من حيث الاسعار ، عادت وعدّلت سياستها جزئياً . الا ان هذه العقد لن تحل حلاً نهائيـاً حتى في أرقى البـلدان الرأسمالية . فالتفاوت بـين الأسعار والأجور ظل وسيظل متفاوتاً من حيث القيمة الحقيقية لصالح أرباب العمل على حساب استثمار الطبقة العاملة .

٤ – ان توفير الاعتمادات المالية لتطوير الصناعة هي أهم الأسباب الكفيلة

بتقدمها. لهذا عمدت اسرائيل بكل الوسائل والاغراءات لاجتذاب رؤوس أموال أجنبية لتعمل في حقل الصناعة داخل أراضيها ، وقد سنّت عدة قوانين تسهل على أصحاب رؤوس الاموال من استثمار أموالهم ، ومع ذلك ظلت اسرائيل تعاني نقصاً في هذا المجال أمكن حله الآن مؤقتاً نظراً لتدفق أموال المساعدات والتعويضات المفروضة على المانيه الغربية .

٥ – الوقود والكهرباء هما القوة المحركة لعجلة الصناعة وبدونهما تتوقف الصناعة . ان السياسة الصناعية في اسرائيل بنيت على أساس خاطىء لأنها لم تأخذ بعين الاعتبار ايجاد توازن متناسق بين توسيع الصناعة وقدرة اسرائيل على تأمين الوقود والكهرباء بأسعار مناسبة مما جعلها تعاني نقصاً ملحوظاً فيهما لا يمكن تغطيته الا بالاستيراد أو بتوليد الطاقة الكهربائية بكلفة زائدة ، واسرائيل تستورد سنوياً وقوداً بقيمة تتراوح بين ٣٥ – ٥٠ مليون دولار، ويلزم اسرائيل من الوقود في العام ١,٥ – ٢ مليون طن .

٦ – أما أصعب مشكلة تواجهها الصناعة الاسرائيلية فهي الكساد وعدم تصريف القسم الأكبر من منتوجاتها نظراً لضيق أسواقها الخارجية وقلة الاستهلاك المحلي وضعف القدرة الشرائية لعوامل مادية ونفسية . فاليهودي بطبيعته يحب التوفير وجمع المال ولا يغامر بشراء سلع الاستهلاك بكثرة .

جميع هذه العوامل تضعف قدرة الصناعة الاسرائيلية وتؤدي الى افلاس العديد من الصناعات .

تعتمد اسرائيل حالياً على تأمين تصريف جزء من صناعتها في الاسواق التي تمكنت من العمل في مجالها وحصولها على متنفس طبيعي في الشرق ، بعد توسيع ميناء ايلات . وهذه الاسواق تقع معظمها في بلاد الشرق الاقصى وافريقيه الشرقية وقلة من الدول الاوربية .

والصناعة الاسرائيلية على وجه العموم تفتقر الى التخصص والتعاون وتتصف

بفوضى التوزيع في فروع الصناعة واستقلال كل مؤسسة استقلالاً تاماً، كل ذلك لا يساعد على تنظيم العمل بين معمل وآخر . والتخصص ليس معدوماً على مستوى فرع معين من فروع الصناعه فحسب بل وعلى مستوى فروع الصناعة ككل ، شأنها شأن الصناعة في الدول الرأسمالية ذات الاقتصاد غير المبرمج .

ان الصناعة في اسرائيل تتخبط وسط بحر من المشاكل والصعوبات ، وقد اجملها الخبير الاميركي المعروف بريستول عندما قام بدراسة الاقتصاد الاسرائيلي وخرج بالنتائج التالية ، التي تحول دون تقدم هذه الصناعة :

١ – قلة الكنوز الطبيعية الكافية .

٢ – ازدياد عدد السكان الذي هو في معظم الاحيان ازدياداً غير منتظم وكثيراً ما تصحبه حوادث مفجعة .

٣ – العداء الحربي .

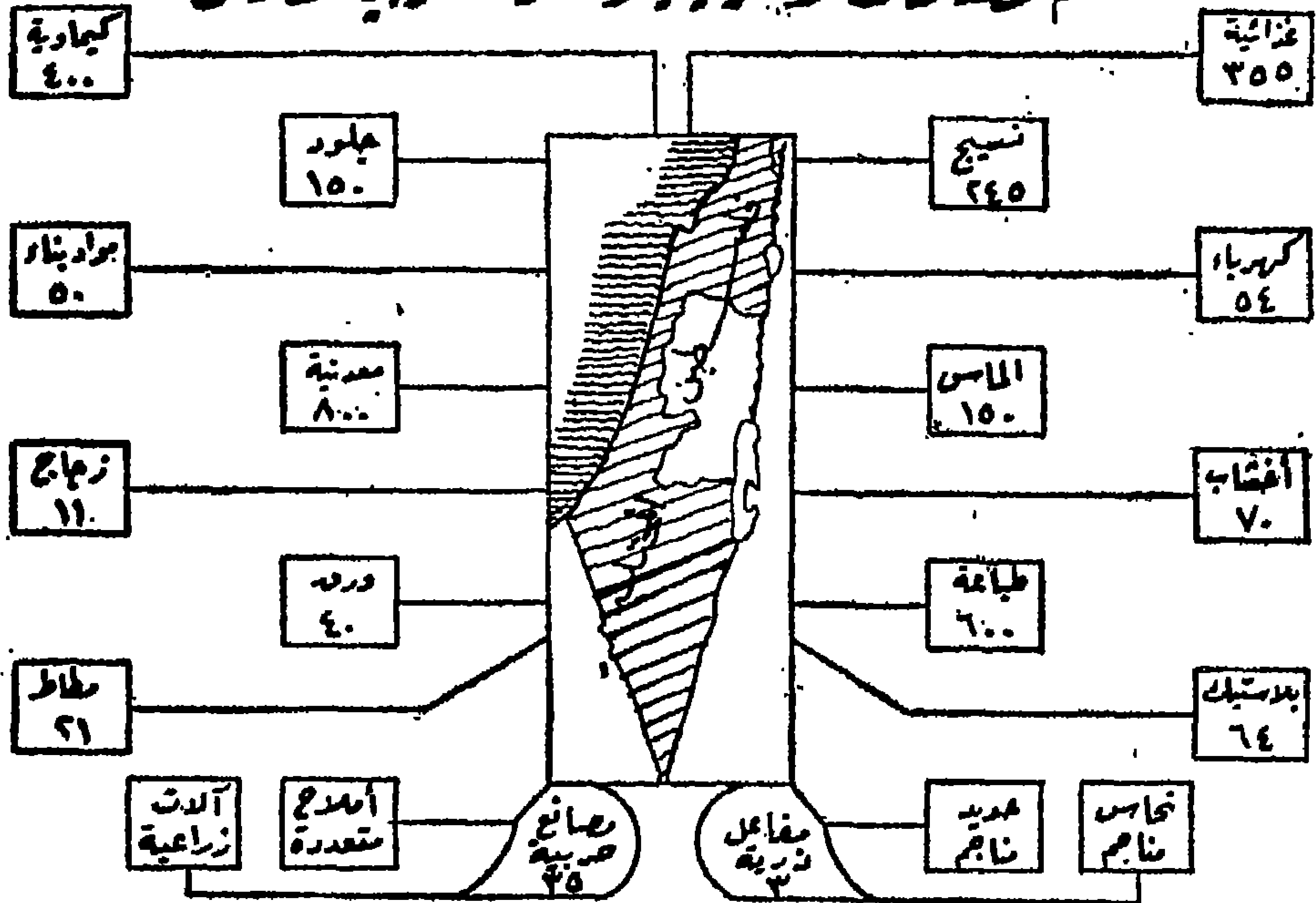
٤ – غقم السياسة الاقتصادية في اسرائيل .

المناطق الصناعية وقيمة الانتاج في اسرائيل :

لقد أشرنا سابقاً الى ان المصانع في اسرائيل لا تعمل الا بمقدار ٦٠٪ من طاقتها ، وذكرنا الاسباب الداعية لذلك . ومع ذلك سجل الانتاج الصناعي تقدماً جزئياً، فقد قدرت قيمته عام ١٩٤٩ بمبلغ ١٣٣و٣ مليون ليرة اسرائيلية، وفي سنة ١٩٥٦ ارتفع الى ١٣٥٠ مليون ثم سجل عام ١٩٦٣ اكثر من ٢٠٠٠ مليون ليرة اسرائيلية. (يجب أن نأخذ بعين الاعتبار انخفاض الليرة الاسرائيلية).

في الجدول التالي نبين أهم الصناعات في اسرائيل مع عدد مصانعها بصورة تقريبية : (مخطط رقم ٣) .

أهم الصناعات الإسرائيلية والعدد التقريبي للمصانع



مخطط رقم ٣

نوع الصناعة	عدد المصانع
الصناعات الكيماوية	٤٠٠
الصناعات الغذائية	١و٢٠٠
الصناعات النسيجية	١و١٥٠
الصناعات المعدنية	٨٠٠
الصناعات الزجاجية	١١
صناعة مواد البناء	٥٠
صناعة الجلود	١٥٠
صناعة الماس	١٥٠
صناعة البلاستيك	٦٤
الصناعات الكهربائية	٥٤
اطارات المطاط	٢١

وقد تركزت الصناعات الاسرائيلية في مناطق معينه من البلاد ولم يراع فيها التوزيع الصحيح الذى ينسجم وتوزيع الصناعة على جميع المناطق في البلاد ، عملا بايجاد الظروف الموضوعية الكفيلة برفع مستوى المناطق بصورة متساوية قدر المستطاع . كما ان تمركز قلب صناعتها والقسم الأكبر منه في منطقة ضيقة تمتد من يافا الى حيفا أوقعها في تهيئة الشروط الكفيلة بعمل تفاوت في مستوى الحياة بين منطقة وأخرى . هذا من الناحية الاقتصادية ، أما من الناحية العسكرية فقد جعل صناعتها في متناول أسلحة الجيوش العربية وسهولة تحطيمها بسرعة . ويمكن تقسيم المناطق الصناعية في اسرائيل الى اربع مناطق وهي :

ا – المنطقة الاولى : تل أبيب – يافا – نتانيا – والمنطقة الوسطى .

ب – المنطقة الثانية : حيفا – الجليل – عكا – والمنطقة الشمالية .

جـ – المنطقة الثالثة : القدس .

د – المنطقة الرابعة : النقب .

وسوف نعطي فكرة موجزة عن أهم الصناعات وخاصة الحربية في المنطقة الأولى على سبيل المثال ، ليدرك القارىء ما أعطي للصناعة الحربية من أهمية قصوى :

أ – المنطقة الاولى : تل أبيب – يافا – نتانيا والمنطقة الوسطى ، وهي أشهر المناطق الصناعية . وتقسم الصناعة فيها الى :

١) الصناعات الحربية: وأهمها صناعة الاسلحة والذخيرة ويبلغ عدد المصانع الحربية فيها ٢٧ مصنعاً ، أهمها :

اسم المصنع	الموقع	الانتاج
١ – مافلان	نحلات اسحق، جنوب رامات غان.	أسلحة وذخائر .
٢ – الف	ضاحية تل ابيب الشمالية	قذائف المدفعية والهاون والالغام ووسائل التدمير.
٣ – كورونا	ريشون لزيون	مواد متفجرة.
٤ – هرتسليا	شمال بتاح تكفا	خرطوش عيار ٩ مم.
٥ – لاهاف	تل ابيب شارع هاجرا، قرب المحطة .	الاسلحة والذخيرة وأدوات التسديد والمواد المتفجرة.
٦ – شوخونات بورخوف	تل ابيب	الذخائر الثقيلة.
٧ – مصنع الأسلحة	تل ابيب – طريق القدس، قرب مستعمرة عرطوف.	قنابل الطائرات.
٨ – مصنع الاسلحة	بتاح تكفا.	المتفجرات وسلاسل الدبابات.

ويبلغ عدد رحبات وورش تصليح الطـائرات والاسلحة والدبابات في هذه المنطقة عشراً ، أهمها مصنع بيدك – مطـار اللد – لاصلاح الطائرات وتركيب قطع الغيار ، ومصنع تل لتفنسكي لتصليح المدرعات .

٢) الصناعات الفولاذية والحديدية : ويبلغ عددهـا ١١٠ ومعظمها في تل ابيب .

٣) صناعة تجميع السيارات وقطع التبديل والدراجات النارية والعـادية وعددها ١٥ .

٤) صناعة الآلات والادوات الزراعية وعددها ١٧ .

٥) صناعة الآلات والادوات المنزلية وعددها ٢٢ .

٦) صناعة ماكينات الخياطة واجزائها وعددها ٢٢ .

٧) صناعة الراديو واللاسلكي وعددها ١٣ .

٨) الصناعات الكيماوية وعددها ١٤ . وغـير ذلك من الصناعات المتعددة التي يضيق المجـال عن ذكرها في هذه المنطقة والمناطق الثلاث الاخرى التي لا تختلف عنها من حيث الاهمية ودرجة توزيـع الصناعات وخاصة الحربية منها .

الزراعة في اسرائيل

لقد أولت اسرائيل الزراعة عناية كبيرة، هادفة خلق قاعدة زراعيـة قوية تعتمد بالدرجـة الاولى على نشر المكننة الجزئيـة ثم الكلية في جميع مراحـل العمليات الزراعية ، ابتداء من البذار حتى جني الثمار ، مستغلة جميع الوسائل البشرية والمادية ، ومستغلة كل بقعة من ارض الوطن المسلوب . وبما ان تأمين المياه واقامة السدود ومشاريـع الري يعتبر الشريان الرئيسي الذي يبعث الحياة في شتى ميادين الزراعة ، لذلك وجدنا اسرائيل تعتبر تأمين المياه مسألة حيـاة

او موت مع العرب ، أضف الى ذلك علاقة هــذه المعركة بالتوسع الاسرائيلي واحياء منطقة النقب ، تمهيداً لزيادة عدد السكان والتوصل الى الاكتفاء الذاتي ، لتقلص اعتماداتها التي تمتص جزءاً كبيراً من ميزانيات الانشاء والتعمير لتطوير زراعتها مـا يتراوح بين ٣٠ — ٣٥ ٪ ، وتتبع اسرائيل في زراعتهـا اسلوب تنويع المزروعـات في الارض كما تلجـأ الى انبات الدورات الزراعيـة لتبقى الارض محافظة على جودتها . وقد ازدادت المساحـات المزروعـة في اسرائيل زيادة ملحوظة ، فبعد ان كانت عام ١٩٤٩ لا تتجاوز ٦٥٠،٠٠٠ دونماً ، نراها ترتفع عام ١٩٥٧ الى (٣،٩٥٠،٠٠٠) دونماً ، اكثر من ثلثها مروي . وفي نهاية مشروع عشر السنوات الذي ينتهي عام ١٩٧٠ ستستثمر جميع الاراضي الزراعية في فلسطين كليـــاً ، لتتمكن اسرائيل من تأمـين تزويد خمسة ملايين انسان بالمواد الغذائية .

وتركـّز اسرائيل على زراعة الحمضيات لانها تقدم مدخولاً كبيراً للبلاد ، اذ تشكل ٤٤ ٪ من صادراتها العامة . وبينما كانت تنتج اسرائيل من الحمضيـات عام ١٩٤٨ (٢٥٢،٨٠٠) طناً، نرى ان هذا الانتاج يرتفع الى (٥٢٠،٠٠٠) طناً عام ١٩٥٩ ومقدر له ان يرتفع الى(٦٥٠،٠٠٠) طن عام ١٩٧٠ او اكثر من ١٨ مليون صندوق قيمتها في أسوأ الاحوال ١٠٠ مليون دولار .

وتنتج اسرائيل محاصيل زراعية متنوعة ، غير انهـا لا تكفي حاجاتهـا الداخلية ، فالقمح مثلاً ، الذي يعتبر المادة الاساسية لغذاء السكان ، لا يكفي لاكثر من ٢٥ ٪ من حاجة السكان ، والقطن لا يسد حاجة صناعة المنسوجات . ومثل ذلك في معظم المنتوجات الزراعية .

اما الانتاج الحيواني فلا يكفي حتى الآن لتغطية حاجة السكان ، مما يضطر اسرائيل لاستيراد كميات كبيرة من اللحوم ، باستثناء بعض المنتوجات الحيوانية الخفيفة ، حيث تصدّر اسرائيل من ١٢٠ — ١٩٠ مليون بيضة سنوياً .

الحياة في الريف الاسرائيلي واسلوب الانتاج

ان تنظيم المستعمرات في اسرائيل بني على أساس علمي يهدف الى توزيع سكان الريف توزيعاً يتفق والاستثمار الأمثل لكل جزء من ارض فلسطين سواء كان سهلياً أم جبلياً ، مع اعطاء الناحية الدفاعية أهمية قصوى للمحافظة على هذه المستعمرات والتوفيق بين الخطط الاقتصادية والخطط العسكرية ، وعلى هذا الأساس اتجه الاستيطان في الريف ووزعت المستعمرات في المناطق التالية :

– مستعمرات الجبال : وتشكل خطاً دفاعياً قوياً في مناطق الحدود . وقد انشأت اسرائيل خلال السنوات العشر الماضية اكثرمن ٩٠ مستعمرة .

– مستعمرات السهول: تقع في منطقة لافيش وتمتد من اطراف الجليل قرب بيت جبريل الى ساحل البحر قرب مجدل عسقلان ، وفيها حوالي ١٧ مستعمرة.

– مستعمرات منطقة تعناع : وتقع بين العفولة ومدينة بيسان وتبلغ مساحتها ٣٢٠ الف دونم .

– مستعمرات منطقة يفناخ : وتقع عند نهاية وادي عربة، وفيها يقع ميناء ايلات. وظروف الحياة قاسية في هذه المنطقة مما دفع بحكومة اسرائيل لجعل اكثر النشاط فيها مقصوراً على وحدات من المجندين يقضون خدمه زراعية اجبارية فيها .

– المستعمرات الساحلية : التي تهتم بصيد الاسماك ويبلغ عددها حوالي ٢٠ مستعمرة موزعة بين حيفا وتل ابيب وعكا .

ويعتبر مستوى الحياة في الريف الاسرائيلي عالياً اذا ما قورن بالريف العربي، لان الفرق بين الحياة في المدينة والقرية وخاصة في القرى القريبة من المدن شبه معدوم، فقد عمت الكهرباء جميع المستعمرات الاسرائيلية كما ان طرق المواصلات وتعددها ساعد على سهولة التنقل، ويندر وجود مستعمرة يبلغ سكانها ٥٠٠ نسمة بدون مدرسة .

ويبلغ عدد المستعمرات في اسرائيل حوالي ٧٥٠ مستعمرة يعيش فيها السكان حياة تختلف اختلافاً جزئياً من الناحية الاقتصادية والاجتماعية . وفي رأينا ان لا صحة لما يفهم خطأ من وجود نظام اشتراكي في بعض المستعمرات . فالنظام الاشتراكي في مجتمع من المجتمعات لا يمكن تطبيقه تطبيقاً علمياً صحيحاً الا اذا كان البلد او الدولة بمجموعها سائرة في هـذا الخط . فالنظـام الاشتراكي من الوجهة الاقتصادية يقوم بالدرجة الاولى على بناء قاعدة مادية تكنيكية، وجعل وسائل الانتاج ملكية اجتماعية اشتراكية وغير ذلك من الاجراءات والتدابير السياسية والاجتماعية المتعلقة بوضع الطبقـات وتنظيم السلطة وادارة الانتـاج واسلوب التوزيـع . اما ان تبنى مستعمرة تعرف باسم كبوتس يدّعي سكانهـا تطبيق المبادىء الاشتراكية ، بينما هم يعيشون وسط مستنقـع من المتناقضـات والنواقص الاقتصادية والاجتماعية والتفسخ الخلقي وقلب دولة رأسمالية خلقتها الامبريالية العالمية لتتجسد فيهـا الرأسمالية الاحتكارية في الشكل والمحتوى ، فهذا اعتقاد خاطىء لا يتفق مع مبادىء التطبيق الصحيح للاشتراكية العلمية . ان النظام القائم في بعض المستعمرات التي يطلق عليهـا الكبوتس والذي يستند على تجميـع عدد من المواطنين في كيان زراعي تحت ظل مفهوم سياسي واحد ، هدفه خلق جيـل من سكان الريف مشبعين بالروح العسكرية والعدائية ، هو مخالف للنظم الاشتراكية الصحيحة .

ان الحياة في مستعمرات الكبوتس هي اشبه بحياة الجنود داخل المعسكرات. فالاشتراكية لا تعني فتح مطابخ جماعية ومدارس حضانة ومحـلات عامة فقط ، ثم يعمل الفرد لقـاء الملبس والمأكل والمنامـة لتحقيق هدف سياسي عسكري معين . ان مثل هذه التدابير قد تكون من حيث الشكل اشتراكية ، امـا من حيث المحتوى فليس للاشتراكية فيها اي معنى باعتبـار ان حكام اسرائيل هم المحرك الرئيسي والعنصر الحاسم الذي يدير دفة الحيـاة للاستمرار في السير عبر بحر الرأسمالية .

ومهما تنوعت اساليب الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المستعمرات والقرى

الزراعية في اسرائيل فان الاهداف الرئيسية لهـا تتلاقى جميعاً في هدف واحد وهو الحفاظ على دولة اسرائيل وتحويلها الى اقوى دولة على الصعيدين الاقتصادي والعسكري في منطقـة الشرق الاوسط . ويوجد في اسرائيـل عدة انواع من المستعمرات اهمها : المستعمرات المستقلة (موشاف : وهذا النوع هو مجموعة من المستعمرات الكبيرة يغلب الطابع الاوروبي على سكانهـا لان معظمهم جاءوا اليها خلال عهد الانتداب البريطاني من اوروبه ، وقد أنشأتهـا جمعيات صهيونية وقسمتها الى اراض بيعت بأسعار معتدلة للاغنيـاء وللفئات متوسطة الدخل ، لاقامة المزارع والبيوت الخاصة بهم .

يتكوّن سكان الكبوتس من مجموعة من الناس يخضعون لنظام اقتصادي سياسي واجتماعي موحد ، طبق عليهم نظام شبه اشتراكي عسكري يعتبر نوعاً خاصاً باسرائيل. ويعمل اهل هذه المستعمرات لقاء الحصول على الطعام والمسكن والملبس وتأمين بعض الخدمات الاجتماعية . ويوجد في كل مستعمرة (كبوتس) مرافق عامة مشتركة كالمطابخ والحمامات والمدارس ودور الاطفال . اما وسائل الانتاج فقد جعلت ملكية تعاونية، وطريقة دفع الاجور تكون وفقاً لأيام العمل التي يقوم بها المزارع مع الحفاظ على مبدأ دفع الراتب الاساسي لكل من يشارك في الانتاج ، ويوجد عدة انواع من الكبوتس فرضتهـا النزعات السياسية باعتبارها هي الاساس التي يرتكز عليها نظام الكبوتس، ومن هذه الانواع :

الكبوتس الموحد : وهي تابعة لحزب الماباي وعددها ٦٥ .

وكبوتس العامل المزراحي : وهي تابعة لحزب العامل المزراحي واملاكهـا تعود للوكالة اليهودية ويبلغ عددها ١٥ .

وكبوتس حيروت : وهي مستعمرات عسكرية تابعـة لحزب حيروت وعددها يتراوح من ٣ — ٥ وتقع قرب الحدود ، وغير ذلك من الكبوتسات المختلفة الانظمة والنزعات السياسية .

المستعمرات الاشتراكية التعاونية : يرتكـز الاساس الاقتصادي لهـا على

الملكية التعاونية لوسائل الانتاج ، الا ان اسلوب العمل فيها وشروط المعيشة في المستعمرات التعاونية سبّب وجود ثلاثه انواع منها: فالنوع الاول قائم على توزيع مزارع متساوية في المساحة لكل اسرة ، وتشترك هذه الأسر في شراء ادوات الانتاج كالتراكتورات والحصادات وغيرها ، والنوع الثاني يتيح للفرد الذي يعمل فيها علاوة على امتلاك المزرعة ، تشغيل عمال بالأجرة وتسمح له بالعيش حسب رغبته (يوجد مثل هذا النوع في يوغوسلافيه) ، والنوع الثالث نظّم على أساس توزيع المستعمرة بشكل أسهم للمزارعين لا يجوز بيعها لانها ملكية مشتركة .

وتهتم بشؤون الزراعة عدة منظمات اهمها :

١ — منظمة الكيرن كايمت : ومعناها الصندوق القومي اليهودي : كانت مهمتها شراء الاراضي من العرب وبيعها الى السكان اليهود . وقد بدأ انشاؤها عام ١٩٠١ وتقوم الآن بعدة نشاطات منها استصلاح الاراضي وادارة المشاريع الزراعية الكبيرة .

٢ — منظمة الهستدروت (الاتحاد العام لنقابات العمال) تضم عدة منظمات ويبلغ عدد المنتمين اليها ١٦٠,٠٠٠ نسمة يقطنون ٤٥٠ مستعمرة ويستثمرون اراضي تقدر مساحتها بـ ٣و٧ مليون دونم وينتجون ٧٥ — ٨٠٪ من مجموع حاصلات البلاد .

المواصلات في اسرائيل

تقع فلسطين في قلب الوطن العربي وتتمتع بموقع استراتيجي وتجاري ممتاز لأنها مفترق ثلاث قارات : اوروبه وآسيه وافريقيه ، وقد كان لاغتصاب فلسطين من قبل الاسرائيليين اثراً سيئاً في حقل المواصلات بين الدول العربية فقد عزلت مصر براً عن سوريه والاردن واصبح الاتصال بين هذه البلدان وغيرها يتم بحراً او جواً ، ومثل ذلك يترك اثراً سيئاً في المجالات العسكرية والاقتصادية ، يضاف الى ذلك ان البلدان العربية فقدت بضياع فلسطين العديد

من الموانىء والمطارات العالمية كميناء حيفا الشهير ومطار اللد الدولي .

ان دراسة طرق مواصلات اسرائيل لها أهمية خاصة سواء في الحقل الدولي او في الحقل الداخلي لانها تلعب دوراً هامـــاً في زيادة الدخل الوطني وتختصر الطرق بين أهم البلدان العربية .

ويمكن تقسيم تطور المواصلات البرية في اسرائيل الى مراحل ثلاث :

١) المرحلة الاولى : وتبدأ باحتلال فلسطين من قبل بريطانيه ووضعها تحت الانتداب . وقد اخذت بريطانيه آنذاك تفتح في فلسطين بعض الطرق المعبــدة لأهداف عسكرية، ولم تقم الطرق المعبدة الا على نطاق ضيق بين المدن الرئيسية والقرى الكبيرة .

٢) المرحلة الثانية : وتبدأ منذ وقوع الحرب العالمية الثانية حتى عام ١٩٤٨ . وقد اضطرت بريطانيه فتح عدة طرق بين المدن والقرى والمستعمرات وتوسيع شبكة المواصلات لأهداف عسكرية حيث كانت بريطانيه تضـــع في فلسطين قوات احتياطية كبيرة للمحافظة على منطقة الشرق الاوسط .

٣) المرحلة الثالثة : وتبدأ باغتصاب فلسطين من قبل الاسرائيليين وتمتـد حتى الآن وهي من أنشط المراحل حيث وسعت دولة اسرائيل المغتصبة شبكة المواصلات الداخلية لأهداف استراتيجية واقتصادية ، لتتمكن من تحريك قواتها بسهولة للدفاع عن حدودها الواسعة مع البلدان العربية .

ويمكن تصنيف الطرق بصورة عامة في فلسطين الى :

أ — الطرق العريضة : وهي التي تصل المدن الكبيرة ببعضها بعضاً . واهمها طريق حيفا — تل ابيب يافا وطريق تل ابيب — القدس. وتكثر كثافة السير في هذه الطرق .

ب — طرق المواصلات من الدرجة الثانية: تربط المدن الكبيرة بالمستعمرات والقرى وهي على كثافة عالية في اواسط فلسطين وشمالها .

جـ – طرق المواصلات من الدرجة الثالثة : تربط القرى والمستعمرات ببعضها بعضاً . ومعظمها صالح في جميع فصول السنة وقد فرش اكثر من ٨٠ ٪ منها بالاسفلت .

بلغ طول شبكة المواصلات البرية في فلسطين قبل وقوعها بيد الاسرائيليين ١٤٦١ كيلومتراً من الطرق المزفتة و ٤٢٥ من الطرق المعبدة وغير المزفتة . وفي عشر السنوات الاخيرة انشأت اسرائيل اكثر من ١٧٦٠ كيلومتراً مزفتاً جديداً ، اهمها طريق بئر السبع – ايلات الذي يبلغ طوله ٢٤٠ كيلومتراً ، مما كان له اثر في زيادة كمية النقل البري بواسطة الطرق ، وارتفاعه من ٣٣٠ مليون طن / كيلو متري عام ١٩٥٠ الى ٦٠٠ مليون طن / كيلومتري عام ١٩٥٨ . ويبلغ طول شبكة الطرق البرية (المعبدة) في اسرائيل ٣١٣٨ كيلومتراً ولا يدخل ضمنها الطرق المعبدة داخل المدن والقرى والاماكن المأهولة .

ويبلغ عدد العمال الذين يعملون في النقل البري على الطرق حوالي ٢٠ الف عامل يضاف اليهم عشرة آلاف عامل يعملون في المرائب بصورة دائمة .

وفي اسرائيل ثلاث شركات تعاونية لنقل الركاب داخل المدن وخارجها وهي :

– ايجد وتملك ١٢٠٠ سيارة باص .
– دان وتملك ٥٠٠ سيارة باص .
– هامر كاشير وتملك ١٥٠ سيارة باص .

يمكن ان نقول من الناحية الاقتصادية ان اسرائيل تعتبر بين اوائل الدول في العالم بالنسبة لكثافة الطرق وجودتها وسرعة النقل وقلة التكاليف ، الا انها تشكل عبئاً كبيراً على ميزانية الدولة لصيانتها ، كما ان حمايتها عسكريا في حالة وقوع عمليات حربية ، (وخاصة الطرق الطولانية والموازية للجبهات العربية) يشكل عبئاً كبيراً وتضطر اسرائيل وضع ما لا يقل عن ١٥ – ٢٠٪ من قواتها لحماية خطوط مواصلاتها . (انظر مخطط رقم ٤) .

المواصلات على السكك الحديدية : عقدتها الرئيسية في حيفا (كانت سابقاً اللد) . الطول =٦٨٨كم تسير عليه قاطرات الديزل التي تشكل العدد الأكبر من القاطرات .

الطرق البرية في فلسطين المحتلة

مخطط رقم ٤

البحر الابيض المتوسط

الناقورة
نهاريا
عكا
حيفا
صفد
الناصرة
طبريا
زخرون يعقوب
ناتانيا
طولكرم
نابلس
تل أبيب
يافا
القدس
عمان
غزة
بئر السبع
ديمونة
سدوم

مخطط طرق المواصلات البرية
المقياس ١/١٠٠٠٠٠٠

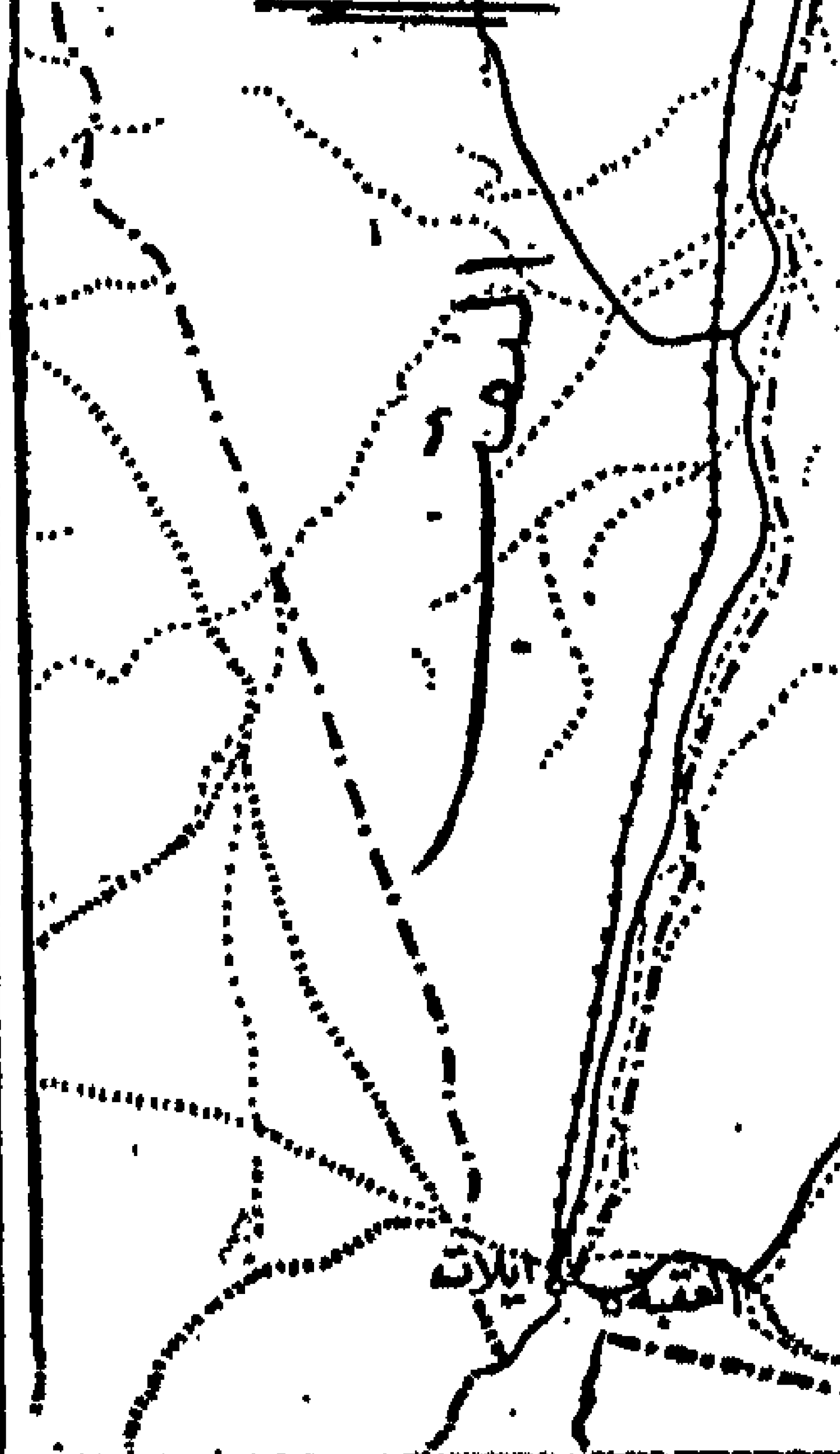
الاصطلاحات

- خط حديدي عريض
- خط حديدي ضيق
- مشروع خط حديدي
- خط مترو تحت الارض
- طريق رئيسي
- طريق ثانوي
- مسلك رئيسي
- نهر
- مسيل ماء

جدول باطوال اهم الطرق

يافا – عكا	١٢٥٫٥	كيلو	
" – العفولة	٩٢٫٥	"	
" – باب الواد	=	٢٩	"
" – غزة	=	٧٩	"
" – حيفا	=	١٠٣	"
" – اللد	=	٢٣	"
" – المجدل	=	٥٦	"
" – نابلس	=	٧٣	"
" – ناتانيا	=	٤٥	"
" – الناصرة	=	١١١	"
" – الرملة	=	١٨	"
" – طبريا	=	١٤١	"
" – طولكرم	=	٤٠	"
" – القدس	=	٦٢	"

تكملة خارطة فلسطين



كل الخطوط العاملة هي ذات عرض ٤ أقدام و ٨,٥ إنش. اهم الخطوط تخرج من ميناء حيفا ومصفاتها ومن مراكزها الصناعية والخطوط التي تخرج من بئر السبع الى الشمال . وحتى العام ١٩٤٩ لم يكن للنقل على السكك الحديدية في اسرائيل اهمية تذكر، فقد كانت القطارات التي خلفتها بريطانيه شبه بالية ولم يكن يوجد سوى (٥٠) كيلومتراً من السكك الحديدية على الخطوط الرئيسية و (٩٠) كيلومتراً على الخطوط الفرعية .

وقد اهتمت اسرائيل لضرورات اقتصادية وعسكرية بالخطوط الحديدية فانشأت شبكة جديدة بلغ طولها عام ١٩٥٩، ٤٦٠ كلم تسير عليها عربات ركاب حمولة ٦٥٠٠ راكب ، وعربات شحن حمولتها ٤٠ الف طن، وكل قاطراتها تسير على الديزل. ويعود الفضل في تقوية هذا الفرع من فروع النقل للتعويضات الالمانية الغربيــة .

ان اهم خط حديدي انشىء مؤخراً هو خط ديمونا – بئر السبع. ويعتبر من اهم الخطوط لأنه يؤمن الاتصال مع المناجم المعدنية في الجنوب . وقد وضعت اسرائيل في برنامج العشر سنوات الذي سينتهي عام ١٩٧٠ هذه المشاريع :

١ – انشاء خط حديدي يصل شمال النقب ويربطه مع ايلات وسدوم.

٢ – تحسين الخطوط الموجودة حالياً وتوسيعها .

٣ – بناء خط حديدي يصل شمال البلاد بجنوبها عن طريق تل ابيب .

٤ – توسيع شبكة الخطوط الفرعية للوصل بين المؤسسات الصناعية مــع الخطوط الهامة .

لقد ارتفع مستوى النقل في اسرائيل ارتفاعاً كبيراً . فبينما كان عام ١٩٥٠ بحمولة (٤٠) الف طن نراه يرتفع عام ١٩٥٨ الى ٢٤٠ الف طن ومقدر له ان يرتفع الى ضعف هذا العدد عام ١٩٧٠ .

وتعاني اسرائيل كمعظم دول العالم عجزاً مالياً في ميزانية السكك الحديدية بسبب قلة عدد المسافرين وعدم وضع سياسة صحيحة لنقل المنتوجات بواسطة القطارات .

المواصلات الجوية : تتمتع اسرائيل بأهمية وقوعها تحت شبكة جوية عالمية. ويعتبر مطار اللـّد مطاراً عالمياً تهبط فيه الطائرات المسافرة بين القارات الثلاث اوروبه وآسيه وافريقيه .

وتقسّم الخطوط الجوية في اسرائيل الى قسمين :

– الخطوط الجوية الداخلية : وتشرف عليها شركة (اركياع) .

– الخطوط الجوية الخارجية : وتشرف عليها شركة (ال – عال). وفي اسرائيل عدد كبير من فروع شركات الطيران الاجنبية . وأهم المطارات فيها :

– مطار اللد ومساحة ساحة الهبوط فيه ٣٠ الف متر مربع، وطول مدرجه ١٧٧٠ متر وتجري فيه باستمرار تحسينات وتوسيعات كبيرة .

– مطار ايلات وطول مدرجه ١٥٠٠ متر . هذا عدا المطارات الحربية والمطارات الصغيرة المنتشرة في أماكن عديدة من اسرائيل .

المواصلات البحرية : ساعدت التعويضات الالمانية على توسيع شبكة المواصلات البحرية الاسرائيلية وزودتها بالبواخر والقطع البحرية . كانت اسرائيل تملك عام ١٩٤٨ (٤) سفن تجارية حمولتها (٦١٥٧) طناً فقط ، وبعد المساعدات الالمانية ارتفع عدد سفنها عام ١٩٥٧ الى (٣٢) باخرة حمولتها (١٩٣) الف طن، ثم ارتفع عام ١٩٥٨ الى (٣٨) باخرة. بلغ عدد العاملين في البحار عام ١٩٦٤ اكثر من ٤٥٠٠ بحار من بينهم (٦٠٠) ضابط – هذا عدا عن الاسطول الحربي.

وعملت اسرائيل على زيادة حمولة اسطولها حيث جعلته قادراً في نهاية العام ١٩٦٥ على حمولة اكثر من ٦٠٠ الف طن وسيصبح عدده (٩٥) باخرة .

التجارة في اسرائيل

ان الظروف الاقتصادية والعسكرية والسياسية في اسرائيل جعلتها تبني تخطيطها التجاري على اساس اتباع منهج اقتصادي واضح الخطوط ، وخاصة فيما

يتعلق بالنقد الاجنبي والتعامل مع الدول، لا على أساس التكافؤ والمصلحة المتبادلة، بل على أساس ان يكون الميزان التجاري في مصلحة اسرائيل ، مع أخذ السوق الداخلية بعين الاعتبار باعتبارها المجال الحيوي لتطوير تجارتها ودعمها اقتصادياً وعسكرياً تمشياً مع خطتها الرامية لمضاعفة عدد السكان باستمرار. وقد ادركت اسرائيل ان التجارة الخارجية هي التعبير المادي لطاقتها المادية والانتاجية الداخلية ومصدر جلب العملات الاجنبية الضرورية لتمويل عمليات الاستيراد والتنمية الاقتصادية والعسكرية .

ان تخطيط اسرائيل التجاري يعتبر ان تطوير الصناعة فيها سيمكنها من تصدير منتجات صناعية تجعلها أقدر على الثبات في مواجهة الأزمات ، كما يهدف الى الاعتماد على تصدير المنتوجات الزراعية التي تخضع لسياسة عدم الاعتماد على التقلبات الطبيعية .

ومجمل القول ان تجارة اسرائيل لا يمكن ان تستقر على حال من الاحوال باعتبار ان السوق الداخلي يخضع لتقلبات الاسواق الخارجية، وهذه غير مستقرة ايضاً لعدة عوامل ، اهمها ان اسرائيل لا تستطيع الوقوف امام مزاحمة البضائع الاوربية ، كما ان اسواقها العالمية محدودة .

اعتمدت اسرائيل في السابق على اسواق اوروبه وبعض دول اميركه اللاتينية وتركيه في تصدير منتوجاتها. وقد أحدثت معركة سيناء في اسرائيل تبدلاً ملحوظاً ، فقد حققت كسباً اقتصادياً (وهذا الأهم) حيث فتحت امامها خليج العقبة ، واخذت البضائع الاسرائيلية تغزو اسواق افريقيه وبلدان الشرق الاقصى عن طريق ميناء ايلات . وانشأت عام ١٩٥٩ عدة شركات تجارية وعقدت عشرات المعاهدات التجارية مع دول لم تكن من قبل ذات صلة تجارية بها ، وخاصة في افريقيه ، مثل بورمه وغانه وغينيه ونيجيريه والحبشة وغيرهم.

بالرغم من كل الجهود لم ترتفع الصادرات الاسرائيلية ارتفاعاً كبيراً لعدة اسباب :

١ – حرمان اسرائيل من الاسواق العربية والمجاورة لها .

٢ – عدم تثبيت اسواقها في افريقيه بصورة مضمونة .

٣ – منافسة الصناعة الاوروبية لاسرائيل .

٤ – ارتفاع تكاليف الانتاج الاسرائيلي بسبب ارتفاع اجرة اليد العاملة وكون معظم المواد الخام من الخارج .

٥ – ان الاستهلاك في اسرائيل يلتهم معظم الانتاج الداخلي .

صادرات اسرائيل : في السنوات الاولى من قيام اسرائيل اعتمدت على تصدير الحمضيات وبعض المنتوجات الزراعية ثم اعتمدت على التصدير الصناعي بعد تقوية صناعتها التي لا تزال تعاني المنافسة . ولا تزال الصادرات الزراعية تحتل المكانة الأولى وقد كانت قيمة الصادرات الاسرائيلية عام ١٩٤٨ (٢٩،٦٨) مليون دولار ومن المنتظر ان ترتفع عام ١٩٧٠ الى (٢٥٠) مليون دولار .

واهم الصادرات الزراعية لاسرائيل الحمضيات التي تصدر لاسواق اوروبه وخاصة بريطانيه والمانيه وفرنسه . ومن صادراتها الصناعية : المواد الكيماوية وتبلغ قيمتها ٨ ملايين دولار تقريباً القسم الاكبر منها عقاقير طبية . وتصدر اسرائيل السيارات والاطارات وقطع التبديل وتبلغ قيمتها ٥،٧ مليون دولار ثم مواد البناء والمنتوجات الصناعية والزراعية والمنسوجات وغيرها .

الاستيراد : بالرغم من تقدم اسرائيل الصناعي والزراعي ظل خط ارتفاع الاستيراد يزداد باستمرار . فبينما كانت قيمة الاستيراد في اسرائيل عام ١٩٤٩ هي ٢٥٣،١ مليون دولار نراه يرتفع الى ٤٣٤ مليون دولار عام ١٩٥٨ . وتأتي اميركه في الدرجة الاولى بين الدول المصدرة لاسرائيل والمانيه الغربية في الدرجة الثانية وبريطانيه في الدرجة الثالثة . ومعدل قيمة استيراد اسرائيل سنوياً في خمس السنوات الاخيرة من هذه الدول على الترتيب نفسه :

٨٥ مليون دولار استيراد من اميركه .

٤٠ مليون دولار استيراد من المانيه الغربية .

٢٠ مليون دولار استيراد من انجلتره .

انواع الاستيراد : بالرغم من التقدم الزراعي في اسرائيل فهي لا تزال بلداً مستورداً للمنتوجات الزراعية ومواد الاستهلاك . وتستورد اسرائيل حالياً من اميركه اكثر المواد الغذائية وخاصة الحبوب والقمح والسكر والزبدة والجبنة . وتستورد المحروقات سنوياً بمعدل ١،٥ مليون طن، والمواد الخام اللازمة لصناعة النسيج والبلاستيك والاطارات وغيرها .

العجز التجاري : ان ميزان اسرائيل التجاري في عجز دائم وتحاول تغطية هذا العجز بالطرق التالية :

- الصادرات الاسرائيلية وتغطي ٣٥٪ من هذا العجز .
- التعويضات الالمانية وتغطي ٣٠ ٪ .
- فائض المواد الغذائية الاميركية ويغطي ٣٠ ٪ .

وغني عن القول ان مثل هذه التغطية تستند على أسس غير طبيعية لانها لا تعتمد على قدرة اسرائيل الاقتصادية بل تعتمد على طاقات غيرها ، وهذه لن يكتب لها الاستمرار .

الانشاء والتعمير في اسرائيل

ان عمليات الانشاء والتعمير هي من العمليات المعقدة والمرتبطة ارتباطاً مباشراً أو غير مباشر بعدة أمور، منها ما هو اقتصادي او عسكري أو سياسي أو اجتماعي ، لذا فقد اخذت مكاناً بارزاً في خط التنمية الاقتصادية والتوسع العسكري . فقد أدركت اسرائيل في تخطيطها ان قوتها الاقتصادية والعسكرية تعتمد على بناء المصانع والمعامل وتشييد قنوات الري وتنفيذ مشاريع الاسكان

الواسعة التي تهدف الى بنـــاء المدن والمستعمرات الدفاعية وغيرها ، وخصصت اعتمادات كبيرة لتنفيذ هذه المشاريع .

ويشمل التخطيط الانشائي في اسرائيل العناصر التالية :

١ — برنامج الاسكان على أساس احصاء القدرة السكنية لاسرائيل في وضعها الحالي واحصاء السكان الذين ستسلم اليهم مساكن جديدة على ضوء بناء المرحلة الثانية لاسرائيل والتي تنتهي عام ١٩٧٠ .

٢ — برمجة مواد البناء : كانت اسرائيل قبل العام ١٩٤٨ تعاني نقصاً كبيراً في المواد البنائيـة الرئيسية (كالحديد والاسمنت والاخشاب) ، والفرعيـة (كالتمديدات الصحية والزجاج) أما الآن فقد ظهرت في اسرائيل صناعـات بنائية تستحق الانتباه وتجعلها في وضع الاكتفاء الذاتي بفضل وجود اكثر من ٥٠ معملاً لصناعة مواد البناء و ٢١ معملاً للصناعات الكهربائية و ١١ معملاً للزجاج وعشرات المعـامل للانابيب والتمديدات الصحية وقساطل الاترنيت وغيرهـا .

٣ — نشر المكننة في عمليات البناء : ان استعمال الآلة في عمليـات الانشاء والتعمير تلعب دوراً هاماً في سرعة التنفيذ والاقتصاد باليد العاملة وقـد أدى نشر المكننة الجزئية في عمليات البنـاء توفير مـا لا يقل عن ٣٠ — ٤٠ ٪ من مصاريف اليد العاملة كما واثر ذلك في تخفيض كلفة المشاريـع في مجالات البناء المختلفة .

٤ — تخطيط اقتصادي وعسكري لعمليات البناء في المدن الكبيرة وانشاء المستعمرات على الحدود وفي المناطق الصناعية ، وقد روعي في هذا التخطيط ان يكون منسجماً مع الجمع بين تأمين راحة المواطن الاسرائيلي وضمان الدفاع عن هذا المسكن على مستوى البيت والحي ثم المدينة ككل وتأمين ذلك يكون بصرف ما لا يقل عن ١٥ — ٢٠ ٪ من كلفة انشاء كل مشروع سكني بهدف الدفاع .

هذا وقد انشئت مؤسسات ودوائر ومكاتب دراسات محلية وعالمية لتنفيذ خطط الانشاء والتعمير في اسرائيل وتتبع هذه الفاعليات اسلوب التخصص .

ان مشاريع الانشاء والتعمير في اسرائيل متعددة الجوانب ولا يسعنا المجال هنا لدراستها دراسة كاملة، ويكفي لاعطاء فكرة ان نتكلم عن بعض مشاريع الري فيها باعتبارها تلعب دوراً حاسماً في تقدم اسرائيل الانشائي والعمراني .

١ – مشروع تحويل مجرى نهر الاردن : كما أشرنا سابقاً يعتبر هذا المشروع الركيزة الأساسية التي يستند اليهـــا الاقتصاد الاسرائيلي وهو الذي سيخلق الظروف الموضوعية لتأمين حياة خمسة ملايين يهودي ، كما انه سيحيي أراضي النقب حيث ستخترق قنواته فلسطين من أقصاها الشمالي الى جنوبها. ويرمي هذا المشروع مع غيره من مشاريع الري الاخرى التي سيتم انجازها في المرحلة الثانية من بناء اسرائيل سنة ١٩٧٠ الى استثمار (٣) ملايين دونم من المساحات الزراعية المروية. وقد انتهى العمل في معظم هذه المشاريع .

٢ – مشروع اليركون النقب : ويتألف من شبكة ضخمة من الانابيب تشكل فرعين : الاولى : اليركون – النقب (الممر الشرقي) . والثانية : اليركون – النقب (الممر الغربي) .

وقطر الاولى ١٧٠ سم تنقل ١٠٠ مليون متر مكعب من المياه، من ينابيع اليركون ومنابع رأس العين، الى النقب الجنوبي، والانابيب الثانية تنقل ١٠٠ مليون متر مكعب من مياه اليركون ومصارف تل أبيب وغيرها بعـــد ان تصفى في دان الى النقب ويبلغ قطرها ١٨٠ سم. وكافة الانابيب المستعملة في هذا المشروع الضخم هي من الاسمنت المسلح الذي يتحمل ضغطاً عالياً من انتاج المصانع المحلية في عسقلان . ان اليركون منخفض عن سطح النقب بما يعادل ١٢٠ متراً، لذلك تستعمل طريقة الضخ لرفع المياه الى سهول النقب .

٣ – مشروع الجليل الغربي (مرج ابن عامر) : يؤمّن هذا المشروع سنوياً ١٥٠ مليون مــتر مكعب من الميـــاه لارواء منطقة الجليل الغربي ووادي

(زيولون) ومرج ابن عامر ويزوّد حيفا وعكا بالميـاه . يستند هذا المشروع على نقل المياه ضمن انابيب قطرها ١٢٠ سم. واهم موارده المائية : الينابيـع والسيول والمياه المتجمعة بطريقة الضخ ومياه المصارف المصفاة من حيفا . وهنـاك عدة مشاريـع منها مشروع ظبريه – بيسان ومشروع الحولة للري وغير ذلك .

بعد ان تكلمنا عن القطاعات الاقتصادية الاساسية في اسرائيل ودرسناهـا بايجاز من حيث الكم والكيف نورد فيما يلي لوحة موجزة من توزيـع اليد العاملة والمستخدمين في مختلف القطاعات الاقتصادية .

	القطـــاع	عدد العمال او المستخدمين
١	الزراعة ، الاحراش ، الصيد	١١٨و٨٠٠
٢	الصناعة	٢٢١و٦٠٠
٣	الانشاء والاشغال العامة	٨٢و٨٠٠
٤	الكهرباء المائية والحرارية	١٧و٠٠٠
٥	التجارة والبنوك	١٠٥و٨٠٠
٦	النقل والتخزين والمواصلات	٥٤و٠٠٠
٧	الخدمات الحكومية والخدمات العامة والاعمال الخاصة	٦٦و٥٠٠
	المجموع	٦٦٦و٥٠٠

الفصل الرابع

التقسيمات الادارية في فلسطين المحتلة

استند الصهيونيون بعد استيلائهم على الجزء الأكبر من فلسطين عام ١٩٤٨ على التقسيمات الادارية نفسها التي شكلها البريطانيون منذ احتلالهم لفلسطين. وليس ذلك بغريب لان هذه التقسيمات بشكلها البريطاني والصهيوني كانت تهدف للغاية نفسها، وهي تقسيم البلاد الى مناطق عسكرية تتفق وخطة الدفاع عنها من شمالها الى جنوبها ، مع الاخذ بعين الاعتبار الجوار العربي المعادي وما يسببه من تهديدات مستمرة لقوات الاحتلال البريطانية سابقاً والصهيونية لاحقاً ، حيث كان المنطلق لهذه التقسيمات الادارية منطلقاً عسكرياً اكثر منه اقتصادياً او ادارياً ، ودليلنا على ذلك انسجام هذه التقسيمات مع المخطط الدفاعي وتوزيع قوات الجيش الاسرائيلي في الجزء المغتصب من فلسطين ، بنفس الطريقة والاسلوب الذي سلكه البريطانيون مع تغييرات جزئية فرضتها الظروف الموضوعية والزمنية التي تتفق وقوة اسرائيل الحالية .

قسم الصهيونيون ارضنا المحتلة بعد النكبة الى ست مناطق (راجع المخطط رقم ٥) وهي :

١ — منطقة القدس : لواء القدس سابقاً .

٢ — المنطقة الشمالية : ويتبعها الضواحي التالية : زافات — كينيرت — يزرعيل — عكا . وكان يقابلها في السابق لواء الجليل .

فلسطين

مخطط رقم «٥»

التقسيمات الادارية في فلسطين المحتلة

+ + + + حدود دولية
—•—•— حدود المناطق
...... حدود النواحي

المناطق ستة وهي:

١ـ المنطقة الشمالية
٢ـ منطقة حيفا
٣ـ المنطقة الوسطى
٤ـ منطقة تل ابيب
٥ـ منطقة القدس
٦ـ المنطقة الجنوبية

سنة ١٩٦٧

تكملة المنطقة «بئر السبع» الجنوبية

البحر الابيض المتوسط
الضفة الغربية
صفد
«١» عكا
حيفا
طبريا
العفولة
«٢» الخضيرة
نتانيا
«٣»
بتاح تكفا
«٤» تل ابيب
يافا
الرملة
رحبوت
القدس
«٥»
عسقلان
بئر السبع
٦

٣ – منطقة حيفا : ويتبعها ضاحية حيفا وضاحية الخضيرة وكانت تعرف سابقاً بلواء حيفا .

٤ – المنطقة الوسطى : ويتبعها ضواحي: هاشارون – بتاح تكفا – الرملة – رحبوت .

٥ – منطقة تل ابيب : كان يقابلها لواء يافا .

٦ – المنطقة الجنوبية : ويتبعها ضاحيتي عسقلان وبئر السبع . كانت تسمى سابقاً ، لواء غزة .

من هذه التقسيمات يظهر لنا ابقاء التقسيمات مع تعديل التقسيمات الفرعية وهي الضواحي ، وكانت سابقاً تقسم الى اقضية والقضاء يضم مجموعة من القرى. وباعتبار ان لواء نابلس ظل بيد العرب الفلسطينيين فقد استعاض عنه الصهيونيون بلواء آخر سموه المنطقة الوسطى وتضم اربع نواحي كما ذكر آنفاً .

وعمد الصهيونيون الى طمس اسماء اكثر القرى العربية والاستعاضة عنها بتقسيمات عبرية ، وقد رافق ذلك عملية جوهرية تناولت اجراء حركات جذرية في نقل السكان وتوزيعهم بشكل خاص في المناطق الصناعية من فلسطين . وعلى سبيل المثال اصبح سكان تل ابيب وحدها عام ١٩٦٦ اكثر من ٤٠٠ ألف نسمة، وتضم مع ضواحيها اكثر من ٦٠ ٪ من فاعليات اسرائيل الاقتصادية . وفي احصائية عام ١٩٦٣ ذكرت اهم مراكز تجمعات سكان اسرائيل وكانت على النحو التالي :

– تل ابيب/يافا	٣٩٤،٤٠٠ نسمة
– حيفا	١٩٥،٤٠٠ »
– القدس	١٨١،١٠٠ »
– رامات جان	٩٧،٩٠٠ »

– بتاح تكفا	٦٢,٧٠٠ نسمة
– حولون	٥٩,٦٠٠ »
– بئر السبع	٥٨,٣٠٠ »
– بني براك	٥٤,١٠٠ »

الا ان هذه اللوحة تبدلت بشكل ملحوظ عام ١٩٦٦ وارتفع سكان منطقة تل ابيب وحدها لأكثر من ٧٧٥الف نسمة . وفي الجدول التالي (جدول توزيع السكان في اسرائيل عام ١٩٦٦ في المناطق والضواحي) يظهر توزيع السكان الريفيين والمدنيين في مختلف مناطق الارض المحتلة .

يلاحظ في هذا الجدول :

١ – ان سياسة الاسكان اليهودية عمدت الى ابعاد المواطنين العرب الفلسطينيين عن المدن حيث ابقت القسم الاكبر منهم في القرى الداخلية، فمن مجموع ٤٩٢,٥٠٧ نسمة يقطنون الارياف في الارض المحتلة نلاحظ وجود ٢١٢,٨١٣ سكان غير يهود معظمهم من العرب .

٢ – في المدن يسكن فقط ٧٣٥٧٢ فرداً غير يهودي من مجموع ٢,٠١٨,٠٧٠ فرداً هم سكان المدن .

٣ – يبلغ سكان المدن اربعة اضعاف سكان الارياف وهذا يعود لعدة اسباب:

– ان التصنيع في اسرائيل وضخامة المشاريع وخاصة العسكرية تمتص الجزء الاكبر من السكان .

– معظم المصانع العسكرية والمدنية شيدت قرب المدن الكبيرة كحيفا وتل ابيب وهذه سيئة اقتصادية وعسكرية .

ان معظم حدود اسرائيل مع الدول العربية هي ريفية، وهذه نقطة تشكل ضعفاً عسكرياً وتبقي الجهاز العسكري اليهودي في وضع متأهب للدفاع عن

توزيـع السكان في اسرائيل عام ١٩٦٦ في المناطق والضواحي

اسم المنطقة والناحية	سكان الارياف			سكان المـدن			المجموع العام
	غير اليهود	اليهود	المجموع	غير اليهود	اليهود	المجموع	
اسرائيـل	٢١٢٨١٣	٢٩٤٦٧٩	٥٠٧٤٩٢	٧٣٥٧٢	١٩٤٤٤٩٨	٢٠١٨٠٧٠	٢٦٥٢٥٦٢
١) منطقة القدس	١٩٩٢	١٣٢٦٩	١٥٢٦١	٢٦٣١	١٩٨٤١٩	٢٠١٠٥٠	٢١٦٣١١
٢) المنطقة الشمالية	١١٨٦٣٠	٨٥٢٠٩	٢٠٣٨٣٩	٤٦٠٦١	١٤٧١٨٩	١٩٣١٥٠	٣٩٦٩٨٩
ـ ضاحية زافات	٣٢٠١	٢٢٢١٠	٢٥٤١١	٦٦	٢٧٦٣٤	٢٧٧٠٠	٥٣١١١
ـ ضاحية كنيرت	٨٨٨٤	١٥٠٨٩	٢٣٩٧٣	١٣٧	٢٣٢٦٣	٢٣٤٠٠	٤٧٣٧٣
ـ ضاحية يزراعيل	٣٣٣٠٣	٣٢٣٢٧	٦٥٦٣٠	٢٨١٨٠	٥٠٥٢٠	٧٨٧٠٠	١٤٤٣٣٠
ـ ضاحية عكا	٧٣٢٤٢	١٥٥٨٣	٨٨٨٢٥	١٧٦٧٨	٤٥٦٧٢	٦٣٣٥٠	١٥٢١٧٥
٣) منطقة حيفا	٤٤٦٩٧	١٤١٦٩	٦٨٨٦٦	١١٩٠١	٣٣٧٣٥٩	٣٤٩٢٦٠	٤١٨١٣٦
ـ ضاحية حيفا	٩٩٦٨	٦٠٧١	١٦٠٣٩	١١٥٧٨	٢٨٣٤٦٢	٢٩٥٠٤٠	٣١١٠٧٩
ـ ضاحية الخضيرة	٣٤٧٢٩	١٨٠٩٨	٥٢٨٢٧	٣٢٣	٥٣٨٩٧	٥٤٢٢٠	١٠٧٠٤٧
٤) المنطقة الوسطى	٣٦٤٧٣	١٠٠٦٢٠	١٢٧٠٩٣	٥٢٩٢	٣٢٧٥١٨	٣٣٢٨١٠	٤٥٩٩٠٣
ـ ضاحية اهاشارون	٢٠٤٠٦	٤٤٩٥٨	٦٥٣٦٤	٥٥	٥٢٣٤٥	٥٢٤٠٠	١١٧٧٦٤
ـ ضاحية بتاح تكفا	٥٣٩١	١٥٠٠٣	٢٠٣٩٤	٣٠٢	١٣٤١٨٧	١٣٤٤٨٠	١٥٤٨٧٤
ـ ضاحية الرملة	٥٨٨	١٨٠٤٧	١٨٦٣٥	٤٦٢٥	٥١٢٠٥	٥٥٨٣٠	٧٤٤٦٥
ـ ضاحية رحبوت	٨٨	٢٢٦١٢	٢٢٧٠٠	٣١٠	٨٩٧٩٠	٩٠١٠٠	١١٢٨٠٠
٥) منطقة تل ابيب	٢٤	٣٧٩٧	٣٨٢١	٦٩٧٩	٧٦٤٩٧١	٧٧١٩٥٠	٧٧٥٧٧١
٦) المنطقة الجنوبية	٢٠٩٧٨	٦٧٦٣٤	٨٨٦١٢	٧٢٧	١٦٩١٢٣	١٦٩٨٥٠	٢٥٨٤٦٢
ـ ضاحية عسقلان	١٣٠	٤٣٧٨٦	٤٣٩١٦	٢٣٦	٦٨٨٦٤	٦٩١٠٠	١١٣٠١٦
ـ ضاحية بئر السبع	٢٠٨٤٨	٢٣٨٤٨	٤٤٦٩٦	٤٩١	١٠٠٢٥٩	١٠٠٧٥٠	١٤٥٤٤٦

ملاحظـــة :

وفقا لاخر نشرة احصائية في اسرائيل : بلغت زيادة السكان في اسرائيل في نهايـة العام ١٩٦٦ حوالي ٥٦ الف نسمة ، وبهذا اصبح مجموع السكان العام ٢٦٥٧٠٠٠ بما فيهم ٣١٦١٠٠ نسمة من الاقليات .

البلاد ، وهذا يمتص جزءاً كبيراً من فاعلياتها الاقتصادية ويجبرها على توزيع قسم كبير من قواتها على الحدود ، ومثل هذا الوضع جعلها تفكر باقامة خطوط دفاعية ثابتة منها ما عرف بمشروع خط دافيد .

٤ – ان اسرائيل ستبقى تابعاً زراعياً مهما تطور قطاعها الزراعي لان امكاناتها الزراعية ستظل محدودة ، أضف الى ذلك ان كلفة الانتاج الزراعي هي مرتفعة لقلة اليد العاملة الريفية نسبياً والتي تقل من عام الى عام ، فبينما كان القطاع الزراعي عام ١٩٦٠ يمتص ١و١٧٪ من مجموع اليد العاملة نراه يهبط عام ١٩٦٣ الى ٩و١٣٪ لصالح القطاع الصناعي الذي ارتفع خلال المدة المذكورة من ٢و٢٣٪ الى ٩و٢٥٪ .

٥ – ونتيجة لهذا الوضع والعلاقة المتناقضة من توزيع السكان في المدن والريف وتأثير ذلك في قطاعي الزراعة والصناعة بصورة خاصة ، ساعد هذا الوضع ويساعد على خلق ازمات اسرائيل الاقتصادية المتلاحقة ، وقد زاد من حدتها :

– تزايد عدد السكان من ٦٥٠٠٠٠ عام ١٩٤٨ الى ٢٦٠٠٠٠٠ شخص عام ١٩٦٧ ، هذا بجانب استقرار المهاجرين الجدد في مساكن خاصة بعد ان أوجدت لهم الحكومة الوظائف ، ويوجد ايضاً بينهم من استفاد من الخدمات الاجتماعية التي جعلتهم يشغلون عبئاً ثقيلاً على ميزان المساعدات .

– ازدياد نسبة الاستهلاك عن نسبة زيادة الانتاج القومي التي تزيد سنوياً بمعدل ١١٪ ، وهذه الزيادة تعتبر اكبر نسبة في العالم .

– انخفض التبادل التجاري الذي يعتبر في اسرائيل مقياساً للحالة الاقتصادية الى نسبة ٣٠ ٪ في اقل من ثلاثة اشهر عام ١٩٦٧ ورافق ذلك ارتفاع عدد العاطلين عن العمل بشكل أدى الى حدوث اضطرابات واضرابات ليس من العسير ايجاد الحلول العاجلة لتلافيها اذا لم يعالج الوضع الاقتصادي التردي بالمساعدات الخارجية كالمعتاد .

التقسيمات الادارية في فلسطين (قبل النكبة)

عندما ندرس التقسيمات الادارية في فلسطين وخاصة قبل النكبة ، لا نهدف القاء نظرة على خارطة فلسطين السياسية ودراستها من الناحية الادارية ، فقط لمعرفة كيف كان المستعمرون البريطانيون يقسمون فلسطين الى ألوية وأقضية بغية السيطرة على البلاد والتحكم في ادارتها سياسياً وعسكرياً واقتصادياً ، انما نهدف الى الاحاطة بصورة مقتضبة على أهم المناطق والمدن والقرى . وهذا قد يساعد الباحث من الوجهة العسكرية على وضع خطة أولية لتوزيع قوات العودة المرتقبة ، ومن الطبيعي ان التقسيم الاداري قد لا يؤخذ منطلقاً صالحاً لتوزيع القوات حيث ان التضاريس الطبيعية وما عليها من مواقع تعرقل القوات المهاجمة او مراكز محصنة طبيعياً ، واختلافات التغطية الارضية واهمية المراكز الاستراتيجية والتعبوية ثم المحاور الرئيسية وعقد الطرق التي تتحكم بمواصلات فلسطين ، هذا وغيره هو الذي يلعب دوراً أساسياً في وضع الخطة لتوزيع القوات وفقاً لمقتضيات الهيئات الارضية والشروط الجغرافية والعسكرية المناسبة .

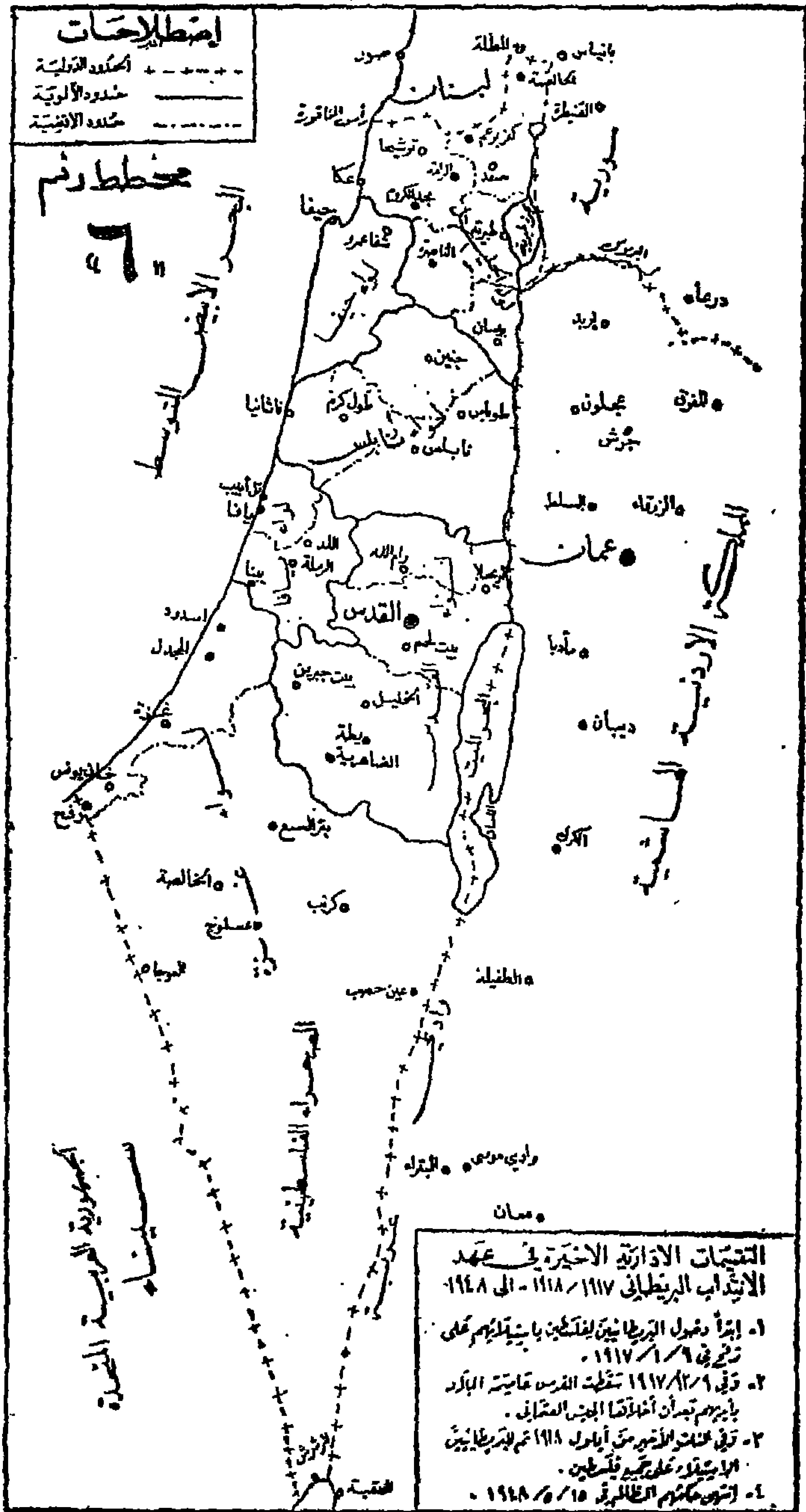
كانت فلسطين في أواخر عهد الحكم البريطاني تقسم الى ست مناطق يعرف كل منها باسم لواء – يقابله في سوريه منطقة – ويقسم اللواء الى اقسام اخرى يعرف كل منها باسم قضاء وهذا يتألف من عدة قرى . كانت ألوية فلسطين على النحو التالي بدءاً من الشمال الى الجنوب : (انظر المخطط رقم ٦).

١ – لواء الجليل : قاعدته الناصرة ويتألف من اقضية عكا وبيسان وصفد وطبريه .

٢ – لواء حيفا : ويضم قضاء حيفا .

٣ – لواء نابلس : وكان يعرف باسم (لواء السامرة) ويتألف من أقضية نابلس وجنين وطول كرم .

التقسيمات الادارية في فلسطين



المرجع كتاب فلسطين - مصطفى الدباغ

٤ ـ لواء القدس : ويتألف من أقضية القدس والخليل ورام الله .

٥ ـ لواء يافا : وكان يعرف باسم (لواء اللد) ويضم قضاءي يافا والرملة .

٦ ـ لواء غزة : ويضم قضاءي غزة وبئر السبع .

سنكتفي باعطاء لمحة موجزة عن هذه الألوية وأقضيتها وفقاً للجدول التالي، ومن يريد التوسع في هـذا الموضوع فليراجع كتاب « بلادنا فلسطين » للمؤرخ العربي الفلسطيني الاستاذ مصطفى مراد الدباغ .

توزيع السكان العرب واليهود قبل النكبة

اسم اللواء او القضاء	المساحة بالكم	عدد السكان عرب	عدد السكان يهود	عدد القرى	عدد المستعمرات	اكثف القرى سكانا	اكثف المستعمرات سكانا	ملاحظات
١) لواء الجليل								
ـ قضاء عكا	٧٩٩،٦	٦٥٢٨٠	٢٩٥٠	٥٢	١٠	ترشيحا ، بيت جن ، عين الاسد ، بركا ، غرابة	نهاريا ، عين هاميفراس ، عيلون ، عيدون ماتسوفا	كان عدد سكان عكا (١٢٣٦٠) سقطت في ٤٨/٥/١٦
ـ قضاء صفد	٦٩٦	٤٦٩٢٠	٦٧٠٠	٦٧	٢٥	الخالصة ، الجاعونـة ، الجش ، حرفيش ، الذوق التحتـا	روشبينا ، كفاربلوم ،كفار جلعاوى ، ابلت هشحرة، حاصور	كان عدد سكان صفد (١١٩٣٠) سقطت في ٤٨/٥/١٠
ـ قضاء الناصرة	٤٩٧،٥	٢٨٤٠٠	٧٦٠٠	٢٣	٢٢	صفوريــة ، كفركنـا ، المجيدل ، طرعان ، يافا	العفولة ، نهلال شحرون، رامات يشاى ، غفات ساريـد	كان عدد سكان الناصرة (١٤٢٠٠) سقطت في ٤٨/٧/١٦
ـ قضاء طبريه	٤٤٦	٢٦١٠٠	١٣١٠٠	٢٦	٢٤	لوبيا ، غورابوشوشـة ، حطين ، المغار ، المنصورة	يفنيئيــل ، اشــدوت يعقوب ، دجانيا ، كنيريت عين غيب	كان عدد سكـان طبريه (١١٤٤٠) سقطت في ٤٨/٤/١٩
ـ قضاء بيسان	٣٦٧	١٦٥٩٠	٧٠٠٠	٣٠	٢٢	البشاتوه ، الغزاويـة ، سيرين ، الحمراء ، الصفا	عين حارود ، تل يوسف، ماعون خاييم ، ميسلوت، بيت هاشيتا	كان عدد سكان بيسان (٥١٨٠) سقطت في ٤٨/٥/١٢
٢) لواء حيفا								
ـ قضاء حيفا	١٠٣١،٨	١٢٠١٢٠	١٠٤٥١٠	٥٢	٦٢	الطيرة ، اجزم ، بلـد الشيـخ ، شفاعمرو ، كفر قرع	كركـور ، الخضيـرة ، قريات يام ، قريـات موتزكين ، زحرون يعقوب	كان عدد سكان حيفا (١٢٨٨٠٠) سقطت في ٤٨/٥/٢٢
٣) لواء نابلس								
ـ قضاء جنين	٨٣٥،٢	٥٦٨٨٠		٥٨		قباطية ، عرابة ، يعبد ، اليامون ، ميثلون		كان عدد سكان جنين (٣٩٩٠) واصبح (١٤٤٠٢)

ـ قضاء نابلس	١٥٩١٦٧	٨٩٢٠٠		١٣٠		سلفيت ، برقة ، عصيرة الشمالية ، عقرباء ، لحون		كان عدد سكان نابلس (٢٣٢٥٠) واصبح (٤٥٩٨٠)
ـ قضاء طولكرم	٨٣٥٠٣	٧١٢٤٠	١٤٩٠٠			علار ، عتيل ، دير الغصون عنبتا ، شويكة	نتانيا ، تسوفيت ، ايليا شيف ، بيت هالفي ، كفار فيتكين	كان عدد سكان طولكرم (٨٠٩٠) واصبح (٢٠٦٩٠) به مدينة قلقيلية
٤) لواء القدس								
ـ قضاء رام الله	٦٨٦٦٥	٤٧٢٨٠		٦٠		سلوان ، بيرزيت ، دير ديوان ، دير عمار ، بيتونيا		كان عدد سكان رام الله (٥٠٨٠)
ـ قضاء القدس وبيت لحم	١٥٧٠٦٨	١٤٧٧٥٠	١٠٠٢٠٠	١٠٠	١٢	ابو ديس ، بيت ساحور ، حزما ، عين كارم ، بيت حنينا	قريات عنابيم ، معالي هاهاميشا ، شيخونت ، بيلتسون ، رامات راحل	كان عدد سكان القدس (١٥٧٠٨٠) سقط معظمها
ـ قضاء الخليل	٢٠٧٦	٨٩٥٧٠	٨٠	٨٣		يطة ، حلحول ، الظاهرية، بيت اولا ، ادنا		كان عدد سكان الخليل ٢٤٥٦٠
٥) لواء يافا								
ـ قضاء يافا	٣٣٥٠٣	١٠٩٧٠٠	٢٦٤١٠٠	٢٥	٣٢	سلمة ، العباسية ، يازور بيت دجن ، السامرية	تل ابيب ، بتاح تكفا ، كفار سافا ، جفت عايم ، رعننا	كان عدد سكان يافا (٦٦٣١٠) سقطت في ١٩٤٨/٥/١٣
ـ قضاء الرملة	٨٧٠٤٢	٩٧٨٥٠	٢٩٤٢٠	٥٤	٢٦	يبنا ، القباب ، المغار ، القبيبة ، صرفند ، العمار	رشون لصيون ، رحوبوت نيس صيونا ، غبعتبرينر نعاني	كان عدد سكان الرملة (١٥١٦٠) سقطت في ٤٨/٧/١٢
٦) لواء غزة								
ـ قضاء غزة	١١١٦٥	١٣٤٢٩٠	٢٨٩٠	٥٤	١٧	رفح ، اسدود ، دمرة ، حمامة ، جباليا	عين نفنة ، بيار تعبية ، كفار واربرغ ، بتسارون، نقبا	كان عدد سكان غزة (٣٤١٧٠)
ـ قضاء بئر السبع	١٢٥٧٧		١٥٠				تل حنان ، شخنون اونو، ديمونة ، مسلول تفراح	سقط القضاء في ايدي اليهود

ان القاء نظرة شاملة على الجدول الآنف الذكر ومقارنته بالجدول السابق الذي يبين توزيع السكان في الارض المحتلة عام ١٩٦٦ في المناطق والضواحي يجعلنا نستخلص النتائج التالية :

١) كان العرب يملكون أهم المدن والقرى في فلسطين ويشكلون النسبة العظمى من السكان .

– ان ٦٠٪ من اليهود الذين يعيشون حالياً في فلسطين هم من جنسيات مختلفة ولدوا خارج فلسطين وتدفقوا بمئات الالوف لفلسطين بعد عام ١٩٤٨ من اكثر من ١٠٠ بلد .

٢) حتى عام ١٩١٧ كان اكثر من ٩٠٪ من سكان فلسطين عرباً ولم يكن في فلسطين في ذلك الوقت اكثر من ٥٦,٠٠٠ يهودي . واقل من ٥ ٪ من سكان فلسطين كانوا من اليهود الفلسطينيين المواطنين .

٣) كان عرب فلسطين يملكون في ذلك الوقت ٩٧,٥ ٪ من الاراضي بينما لم يكن في حوزة اليهود الا ٢,٥٪ من الاراضي ، وخلال ثلاثين عاماً من النفوذ البريطاني في فلسطين لم يستطع اليهود ان يتملكوا سوى ٣,٥ ٪ من ارض فلسطين .

٤) ان معظم هذه الاراضي نقلت ملكيتها للهيئات الصهيونية بتواطؤ وتشجيع الحكومة البريطانية ، ولم يبعها ملاكها العرب كما يدعي المغرضون والطاعنون بوطنية ابناء فلسطين ، ومع ذلك لم يكن في حوزة الصهيونيين اكثر من ٦ ٪ من مجموع مساحة اراضي فلسطين عندما نقلت بريطانيه قضية فلسطين الى الامم المتحدة عام ١٩٤٧ .

٥) استطاع اليهود بمساعدة البريطانيين الذين ابقوا الفلاح العربي الفلسطيني آنذاك على حافة اليأس والقنوط تحت وطأة الضرائب والديون ، ان يمتلكوا قبل النكبة حوالي ١,٥ مليون دونم من مجموع مساحة فلسطين البالغة ٢٧ مليون دونم .

٦) والجدير بالذكر ان الاراضي التي استولى عليها اليهود قبل النكبة كانت تمتاز علاوة عن خصوبتها بالمواقع الاستراتيجية الهامة ، المخطط مسبقاً للاستيلاء عليها وفقاً لخطة تهدف الى تطويق أهم المدن العربية في فلسطين والسيطرة على المواقع القريبة من اماكن الثروات الطبيعية الهامة والنقاط الدفاعية المشرفة ، والامثلة على ذلك كثيرة، منها: تطويق مدينة يافا العربية بالاستيلاء على اراضيها الجنوبية وبناء المستعمرات حولها . انشاء مستعمرات منطقة الحولة لتنفيذ مشروع التجفيف والسيطرة على منابع المياه . انشاء مستعمرات منطقة البحر الميت لاستغلال ثرواته الضخمة . انشاء مستعمرات محصنة على الحدود ، منها مشمار هيردن (كعوش) على الحدود السورية، ومعناها بالعبرية حارسة الاردن وتشرف هذه المستعمرة على جسر بنات يعقوب .

دراسة نموذجية لمدينة حيفا (عامة)

الموقع : تقع مدينة حيفا على امتداد ساحل البحر الابيض المتوسط في القسم الشمالي من ساحل فلسطين ، وهي اكبر مدينة في الشمال وثاني مدينة كبيرة في الأرض المحتلة .

المساحة : ٥٤٣٠٥ دونمات .

السكان : حتى عام ١٩٣١ كان العرب يشكلون اكثرية سكان المدينة حيث كان عدد العرب ٣٤٥٦٠ نسمة (ما يعادل ٦٨و٤ ٪) ، وعدد اليهود ١٥و٩٢٣ نسمة (ما يعادل ٣١و٦ ٪) .

المجموع : ٥٠و٤٨٣ .

الا ان السياسة البريطانية التي كانت تشجع اليهود للاستيلاء على حيفا ليصبحوا اكثرية قلبت الصورة المذكورة حيث كان السكان عام ١٩٤٥ على الوجه التالي :

عرب ٦٢و٨٠٠ نسمة اي ٤٨و٧ ٪ .

يهود ٦٦,٠٠٠ نسمة اي ٥١و٣ ٪ .

المجموع : ١٢٨و٨٠٠ نسمة .

وفي احصاء ١٩٦٦ أصبح يسكن حيفا وضواحيها القريبة (٣١١و٠٧٩) نسمة منهم ٢٨٩و٥٣٣ من اليهود و (٢١,٥٤٦) من العرب وبعض الاقليات كالبهائيين .

شعار المدينة : سفينة شراعية من العصور الوسطى رسم في اعلاها مدخل ميناء حيفا بين حاجزين من الامواج .

ابعادها : عن أهم المدن والمواقع : تبعد حيفا عن الأماكن الآتية بما ذكر من الكيلومترات :

عكا (٢٣) — العفولة (٤٥) — بيروت (١٥٤) — غزة (١٧٧) عن طريق وهلما — جنين (٥١) — جسر المجامع (٩٢) عن طريق طبريه — اللجون (٣٤) — مستعمرة نهاريا (٣١) — الحدود اللبنانية (٤٣) — الناصرة (٣٨) — صفد (٧٧) — سمخ (٨٢) — طبريه (٧١) — يافا (١٠٢) — القدس (١٥٣) عن طريق وهلما و (١٦١) عن طريق اللجون .

المميزات : تعتبر حيفا مركزاً اقتصادياً هاماً تأتي أهميته وطاقاته الصناعية في الدرجة الثانية بعد تل ابيب ، وتحتل حيفا الدرجة الاولى من حيث المواصلات الخارجية والداخلية، وفيها أقام اليهود العديد من المؤسسات الصناعية والثقافية . ان بناء الميناء الجديد فيها وتمديد خطوط النفط وتوسيع محطات سكة الحديد ومصفيات البترول، كل ذلك اعطاها أهمية اقتصادية واستراتيجية لاسرائيل، وخاصة قسمها الشمالي. وتعتبر منطقة الميناء مركز الثقل في حياة حيفا الاقتصادية والتجارية ، وهذا الميناء يمتد الى مسافات كبيرة على ساحل البحر . (راجع موضوع الميناء) .

أهم مرافق ومراكز المدينة : الميناء ، وسيدرس بالتفصيل في موضوع (ميناء حيفا) :

١ – طريق الاستقلال : من هـذا الشارع الذي كان يسمى قبل النكبة بشارع الملوك تتوزع عقد المواصلات الرئيسية للتجارة وفيـه تقع محطة سكة الحديد العربية، وهي قرب بناء البريد المركزي في الشارع الفرعي المواجه، ونادي البحارة والمتحف البحري .

٢ – المدينة القديمة : تقع في منطقة الميناء . هدم معظمها بعد ان طرد اهلها العرب واحتلها المغتصبون وفتح فيها الشارع الجديد ، فبقي فيها بعض الكنائس والمسجد الكبير .

٣ – محطة سكة الحديد الشرقية : تقع في الطرف الشرقي للمينـاء . يتفرع منها خط سكة الحديد الذي يمر ببتراعيل (زرعين) وغور الاردن . وفي سنة ١٩١٨ مدد البريطانيون سكة حديـد جديدة امتـدت من مصر ثم سارت على امتداد ساحل فلسطين وتفرعت الى اهم المدن والمراكز ، ومنها الخضيرة والـلد وتل ابيب .

٤ – المطاحن الكبرى : تقع في مكان مواجه لمحطة سكة الحديد . بناهـا البارون روتشيلد وفي جانبها يقع معمل الفطير وخزانات الحبوب .

٥ – مصانع شيمن : يقع باتجـاه شارع حيرم قرب سكة الحديد وتعتـبر هذه المصانع اكبر المؤسسات في البلاد لانتـاج الزيوت ومشتقاتهـا والصابون ومعجون الاسنان ... الخ .

٦ – هدار هاكرمل : تقع على بعد كيلومترين من المينـــاء بصعود ٨٠ كيلومتراً من طريق شارع الاستقلال . وتطل من اعلى ارتفاعاتها (٢٠٠ م) على خليج حيفا والجبال المحيطة ويعتبر شارع هرتسل هو الشارع الرئيسي فيها وبني فيها مكاتب شركة الكيرن كايمت والمكابي والتخنيون والكثـير من المؤسسات والابنية الدينية والتجارية والمعاهد الثقافية .

٧ – جسر شل : بني موازياً لشارع الناصرة وسمي بهذا الاسم تبعاً لشركة شل التي بنته ، ويصل القسم الهام من المدينة بالمخازن الرئيسية لشركة شل . ويمر هذا الجسر الهام فوق طريق الناصرة وفوق خط سكة الحديد . فوق هذا الجسر تمر طريق موصلة الى شركة الكهرباء ثم الى ميناء كيشون والمطار .

٨ – مصفاة تكرير البترول ، والتي شاع اسمها بـ (الريفاينري) على بضع كيلومترات شمال حيفا ، من اضخم معامل الشرق الاوسط لتكرير البترول ، كانت ملكاً لشركة البترول الانكلو – ايرانية . توقفت المصفاة عن العمل عام ١٩٤٨ ، ثم بدأت العمل بعد قيام دولة اسرائيل بطاقة ٢٥ ٪ مما كانت عليه قبل النكبة وتقوم حالياً بتكرير ١،٥ مليون طن من الوقود سنوياً ويوزع هذا الوقود على جميع انحاء اسرائيل عن طريق شبكة انابيب .

اهم مداخل ومخارج المدينة : من النبي شانان الى الميناء بطريق يبلغ طوله خمسة كيلومترات بصعود ٢٠٠ متر .

– من النبي شانان الى هدار ها كارمل ثلاثة كيلومترات بصعود ١٣٠ متر ، حيث يصل المرء الى وادي رشميا ويدخل الى شارع الابطال .

– من الميناء الى بيت جاليم كيلومترين يتجه المرء من طريق الاستقلال الى الكولونية الالمانية ، ثم الى طريق الخضيرة – تل ابيب .

– من الميناء الى مغارة الياهو ثلاثة كيلومترات حيث يسير المرء في طريقي التحفي وتل ابيب .

اهم القرى والمستعمرات : كان ينضم لحيفا قبل النكبة ٥٢ قرية عربية و ٦٢ مستعمرة و ١١ عشيرة . غير ان سياسة الاسكان الاسرائيلية التي ترتكز على اساس اذابة القرى العربية عمدت الى طمس معظم القرى العربية وقلب اسماءها الى اسماء عبرية ، يضاف الى ذلك بناء العديد من المستعمرات في منطقة حيفا حيث ارتفع عدد المستعمرات الى (١٠٣) .

ومن اهم قرى حيفا : الطيرة (٥٢٧٠ نسمة) وهي اولى قرى قضاء حيفا . اجزم كان يسكنها (٢٩٧٠نسمة) ومساحتها (٩١) دونماً، اعبلين(١٦٦٠نسمة). بلد الشيخ (٤١٢٠ نسمة).جبع (١١٤٠ نسمة).دالية الكرمل (٢٠٦٠ نسمه). شفاعمرو (٣٦٣٠ نسمة). عين غزال (٢١٨٠ نسمة). الطنطورة(١٤٩٠نسمة).

ومن اهم المستعمرات : زخرون يعقوب (٣٠٠٠نسمة) . الخضيرة (١٥٠٠٠ نسمة) . عتليت (٤٠٠٠ نسمة) ، كركور (٢٢٢٠٠ نسمة) . نيشر (١٧٥٠ نسمة) ، باردس حنا (٤٤٩٥ نسمة) . (احصاء ١٩٥٠) .

دراسة نموذجية لميناء حيفا (عامة)

الموقع : يقع ميناء حيفا في منتصف الساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط ويمتاز بموقعه الجغرافي والاستراتيجي حيث بني ضمن خليج طبيعي تهدأ المياه فيه ويصلح للجوء السفن وحمايتها من العواصف . بدأ العمل في بناء هذا الميناء عام ١٩٢٩ وانتهى عام ١٩٣٣ .

الأهمية :

أ — من الناحية الصناعية : يساعد موقع الميناء على نقل وتركيز الصناعة الثقيلة لاسرائيل حيث انشأت اسرائيل معظم صناعاتها الثقيلة والحربية في المناطق المجاورة لحيفا .

ب — من ناحية الموقع: يرتبط الميناء بشبكة مواصلات برية وحديدية كثيفة وسهلة الاتصال مع باقي اجزاء فلسطين .

جـ — من الوجهة الجغرافية : ان الطبيعة حبته بغور عميق مما يساعد السفن بمختلف اوزانها للجوء اليه في اي وقت من اوقات السنة .

د — من الناحية العسكرية : يمتاز بموقع استراتيجي هام محاط بمرتفعات

تساعد على الدفاع عنه كما وان موقعه المتوسط على الساحل جعله صالحاً لبناء اكبر قاعدة حربية بحرية في اسرائيل .

الأقسام الرئيسية للميناء : تقسم المنطقة المائية للميناء ابتداء من الحاجز الكبير له الى :

١ – الرصيف الرئيسي وطوله ٤٣٧ م وعمقه ٩,٢٠ من المتر ويستعمل للبضائع .

٢ – رصيف الشحن وطوله ٢٥٧م وعمقه ١١م ويستعمل لشحن وتفريغ البضائع .

٣ – رصيف الركاب وطوله ١٥٠م وعمقه ١١م .

٤ – حوض التفريغ وطوله ٢٩٠م وعمقه ٨,٨٥م ويستعمل لرسو السفن بانتظار دورها للتفريغ .

٥ – حوض البترول وهو على الحاجز الصغير وطوله ٤٢٠م وعمقه ٩,٨٠م ويستعمل لشحن وتفريغ البترول .

٦ – رصيف الفنار الشرقي وطوله ٢٤٨م وعمقه ٤م ويستعمل للسفن الخفيفة

٧ – رصيف الفنار الغربي وطوله ٢٧٥م وعمقه اقل من ٤م ويستعمل للزوارق الخفيفة .

٨ – رصيف الصيد وطوله ٤٠م وعمقه ٤م ويستعمل لسفن الصيد .

٩ – رصيف الجرارات وطوله ٤٣م وعمقه ٥,٦م ويستعمل لخزن البضائع .

١٠ – رصيف الصيد في كيشون وطوله ٢٠٠م وعمقه ٤م وهو المرسى الجديد لسفن الصيد ، وقد جرت مؤخراً توسيعات وتحسينات في هذا القسم من الميناء حيث اصبح ميناء ثانوياً .

اهم المنشآت والمستودعات : ان المنشآت والمستودعات في ميناء حيفا آخذة في الازدياد الا ان توسيعها وزيادة عددها يعطي للميناء سيئة عسكرية عند قصفه جواً او بحراً، وهذا ماشعرت به السلطات الاسرائيلية مؤخراً فاضطرت لتوقيف حركة التوسيع وتخفيف الضغط اصالح موانىء ثانوية اخرى. وفيما يلي اهم المنشآت والمستودعات للميناء :

١) ١٧ مستودعاً كبيراً للبضائع بنيت على مساحة من الارض مقدارها ٤٧٠٠٠م٢ امامها ساحة مكشوفة مساحتها ٧١٠٠٠م٢. نشرت هذه المستودعات في مختلف انحاء الميناء بجانب الارصفة المختلفة .

٢) ١٦ مستودعاً للبترول المكرر الى جوار البترول في داخل منطقة الميناء الرئيسي وتستوعب هذه الصهاريج ٩٠٠٠٠٠ برميل وقد انشىء الى جوارها صهاريج مطمورة تقدر سعتها بنصف الكمية المذكورة .

٣) ٣٤ مستودعاً للبترول الخام الى جوار ميناء البترول خارج منطقة الميناء وتستوعب ٣٠٢٠٠٠٠٠ برميل وهي تابعة لمعامل تكرير البترول .

٤) مباني ادارة الميناء وتقع بجانب البوابة الرئيسية للميناء المعروفة سابقاً باسم بوابة نمرة (١٠) .

٥) قسم بوليس الميناء يقع على الجانب الغربي من البوابة رقم (١٠) ويضم عدداً كبيراً من افراد البوليس للقيام بأعمال الأمن واطفاء الحريق ومنع التهريب، ويتبع هذا القسم عدداً من زوارق خفر السواحل والانقاذ واطفاء الحريق .

يضاف الى ذلك عدداً كبيراً من الأبنية منها : بناء نادي التجارة ، مكتب العمل ، مكتب الجمارك ، المستشفى ، منطقة الحجر الصحي ... الخ .

جرى مؤخراً توسيع الميناء وذلك باقامة المنشآت التالية :

١ – اطالة الرصيف الرئيسي للميناء بمقدار ٥٢٨م .

٢ – بناء حوض جديد للاصلاح وصيانة جميع السفن في اسرائيل، وفيه قسم لبناء السفن ذات حمولة ٤٥ الف طن .

٣ – محطة توليد كهرباء بقوة ٧٥ الف كيلوات تقع بالقرب من حيفا .

اهم مراكز الخدمات في الميناء ومنشآتها: في ميناء حيفا ثلاثة احواض (ترسانات) لاصلاح السفن وصيانتها بالاضافة للحوض الجديد الذي ذكر آنفا والحوض العائم وهي :

١) ترسانة هاياما الرئيسية وتقع بين حوض كيشون وحوض ميناء حيفا .

٢) ترسانة عوجن وهي مرسى رئيسي في داخل منطقة الميناء .

٣) ترسانة ممجان على ساحل بات جليم وتقع خلف الحاجز الرئيسي .

٤) الحوض العائم وتبلغ حمولته ٧٥٠٠ طن ويصلح لتركيب غيارات السفن والقيام بأعمال اللحامات والاصلاحات، عرضه من الخارج ١٥٨م ومن الداخل ١٤٢م وعمقه في الارتفاع ٧م .

٥) مراكز تعبئة وتفريغ البترول بواسطة حوض التعبئة المزودة بأربعة خراطيم طاقتها ٥٠٠ طن في الساعة . وحوض التفريغ المزود بثلاثة خراطيم غائصة طاقتها ٧٠٠طن في الساعة وكل خرطوم يمتد من الساحل الى مسافة ١١٨١م داخل البحر في الاتجاه الشمالي الشرقي من مدخل الميناء .

٦) عنابر داغون الحديثة للحبوب وهي ممكننة ومزودة بأجهزة اوتوماتيكية لسحب الحبوب وتنظيفها ووزنها وتعبئتها في اكياس وشحنها في عربات السكك الحديدية والسيارات بمعدل ٢٠٠ طن في الساعة .

٧) اجهزة خزن وتفريغ الاتربة المعدنية (بوتاس ، فوسفات ، اسمدة) تقع في ميناء كيشون وقدرتها ألف طن في الساعة .

اهم الآلات الرافعة والمعدات التي تعمل في الميناء : تزداد هـذه المعدات

والآلات سنوياً وتستبدل بين فترة وأخرى بأحدث الاجهزة وهناك خطة تهدف الى مكننة العمل كلياً في ميناء حيفا ستنتهي عام ١٩٧٠ .وأهم موجودات الميناء حالياً : آلة رافعة حمولة ١٠٠ طن ، آلة رافعة حمولة ٥٠ طن ، ثلاث رافعات حمولة ٥ أطنان ، رافعتان حمولة ٣ أطنان ، ٢٩ آلة رافعة حمولة ٣ — ٣٠ طناً ، ٩٤ آلة حفر لتطهير حوض الميناء ، ١٫٢ ناقلة لنقل البضائع من السفن الى البر ، ٦١ جراراً بحرياً ، ٨٥٠ عربة قاطرة ، ١٠ آلاف سقالة متحركة بعجلات لنقل البضائع من الرصيف الى المستودعات (مصدرها عام ١٩٦٠) .

اجهزة الارشاد والاتصال في الميناء : تؤمن الاتصال بحراً وبراً وجواً :

١ — الفنارات البحرية : اثنان منها على طرفي حاجزي الامواج، الاول نوره اخضر وهو على طرف الحاجز الرئيسي، والثاني نوره احمر وهو على طرف الحاجز الآخر . وهذان الفناران يرشدان السفن لدخول حوض الميناء الرئيسي .

٢ — فنار ستلامارس : بني على سطح دير ستلامارس الكائن على قمة جبل الكرمل ، وهـذا الفنار يرشد السفن الماخرة عباب البحر وتصل اشعتـة حتى مسافة ٤٠ ميلاً بحرياً .

٣ — وفي منطقة الخليج خـارج الميناء يوجد عدد كبير من الانوار العائمة على براميل تجنب السفن الداخلة للميناء من الارتطام بالصخور والحواجز .

واهم اجهزة الاتصال اللاسلكي :

١) جهاز الرادار البحري : يقع على رأس قمـة جبل الكرمل مهمته تزويد ادارة الميناء باقتراب السفن والغواصات من الميناء ويصل مداه حتى ١٧ كم .

٢) محطة الاذاعة البحرية : تقع فوق برج ادارة الميناء وتقوم بشكل دائم بمهمة الاتصال بين الميناء والسفن وخاصة سفن الاسطول التجاري الاسرائيلي .

دراسة نموذجية لمطار اللد (عامة)

وصف عام : يقع على بعد ٣ كم من اللد وهو مطـار دولي تهبط فيه جميع انواع الطائرات المدنية والعسكرية .

– مساحته كبيرة وتشكل مستطيلا يمتد من الشرق الى الغرب بطول وعرض (٧ × ٥) كم .

– مساحة المهابط المرصوفة وعددها اربعة تبلغ عشرة آلاف متر مربع .

– يبلغ طول المهبط الرئيسي ٣٢٦٠ م وطول المهبط المتقاطع معه ٢٨٣٠ م.

– المطار مزود بأقوى وأحدث اجهزة الرادار واللاسلكي والاضاءة الارضية .

– وفي عـام ١٩٥٨ اعتبر مطـاراً عالميا ومركزا للمعلومـات عن الطيران واصبح بامكانه الاتصال بجميع مطارات العالم للحصول على المعلومـات بشكل متبادل .

– انشىء فيه مؤخرا مدرجـا حديثـا طوله ٣ كم وعرضه ٦٠ م لاستقبال الطائرات النفاثة الحديثة .

– اعيد رصف مدارجه القديمة بشكل يسمح لهبوط اضخم الطائرات وذلك بازالة الاسفلت والاستعاضة عنه بمادة اكثر صلابة .

اهم منشآت المطار :

١ – كلية هندسة الطيران التابعة لوزارة المواصلات ، يتخرج منها فنيون في ميكانيك الطيران .

٢ – ورشات تركيب واصلاح الطائرات وتشغل جزءاً كبـيراً من ارض المطار وتقوم باعادة تركيب اجزاء عديدة من طائرات مختلفة منها : فوكتور ، هارفرد ، ستير ، داكوتا .

٣ – مصنع صنع طائرات نفاثة صغيرة .

٤ – ابنية ادارات المطار ومولد الكهرباء واللاسلكي ، وغيرها .

دراسة عسكرية أولية لطريق يافا ـــ القدس

من تل ابيب ـــ يافا الى القدس

وصف عام : المسافة : السفر بالقطار ٧٨ كم ، وبالسيارة ٧٥ كم .

تبدأ الرحلة بالسيارة من محطة السفر المركزية بالقرب من طريق هاشارون التي تمتد بمحاذاة المحطة الى الجنوب ثم تمر بطريق يافا—تل ابيب، ويستمر الطريق من هناك حتى الوصول الى طريق هرتزل وتسير من هذا الطريق (الى اليسار) حتى منطقة ابو كبير وتخترقها .

النقاط الهامة على الطريق :

ـــ على مسافة ٩ كم : مفرق طرق بيت دغون . طريق حيفا الى اليسار وطريق بئر السبع الى اليمين . على مرتفع قريب تطل قرية بيت دجن العربية كما تشاهد أساسات قلعة معن (التي تقع على منتصف الطريق بين الرملة واللد).

ـــ على مسافة ١٠ كم : مستعمرة شغرير: بعيدة قليلاً عن الطريق بالقرب من سكة الحديد .

ـــ على مسافة ١/٢ ١٠ كم: السافرية: مستعمرة وسط بيارات البرتقال يسكنها المهاجرون من الاتحاد السوفياتي .

ـــ على مسافة ١٢ كم : صرفند : وهو معسكر بريطاني قديم ويحل به الآن جنود اسرائيليون . في المنطقة نفسها قرية صرفند العمار العربية . بالقرب من الصرفند محطة تجارب زراعية .

ـــ على مسافة ٨/١٠ ١٨ كم : مركز بوليس .

– على مسافة ١٩ كم : الرملة . سكانها ٢٦،٦٠٠ نسمة معظمهم من المهاجرين الرومان والبلغار مع أقلية عربية .

– على مسافة ١/٢ ٢٠ كم : مفرق الى مستعمرة مشهار ايالون .

– على مسافة ١/٢ ٣١ كم الى اليمين : مستعمرة مشهار دافيد .

– على مسافة ٣٢ كم : مفرق طرق وتبدأ الطريق هنا بالعبور خلال تلال اليهودية . تعلو الطريق وتهبط وتعبر ودياناً قاحلة ابتدأت تنمو بها الاشجار . الى اليسار وباتجاه شمالي شرقي طريق فرعي يؤدي الى ناشون وهي مستعمرة قريبة جداً من الحدود الاردنية . وعلى مسافة قريبة من المفرق يرتفع نصب ابيض كبير بناه اليهود تخليداً لذكرى المحاربين والمتبرعين الذين فتحوا هذا الطريق بين الصخور في ظلمات الليل وذلك من أجل فك الحصار العربي عن القدس .

– على مسافة ٣٢ كم الى اليمين : تل الشهار وهي كبوتس .

– على مسافة ٣٤ كم الى اليمين : مستعمرة تسيلافون .

على مسافة ١/٢ ٣٤ كم الى اليسار : بعيداً وبين التلال وبالقرب من الحدود الاردنية في اللطرون كبوتس هارل .

– على مسافة ٣٦ كم الى اليمين : طريق يؤدي الى قرية كفار عورية وهي مستعمرة .

– على مسافة ١/٢ ٣٦ كم الى اليسار : قرية عمالية تعز .

– على مسافة ٣٨ كم الى اليمين : بعيداً عن الطريق مستعمرة تاروم .

– على مسافة ٤٢ كم : مفرق . طريق فرعي (الى اليمين باتجاه جنوب غربي) الى بئر السبع .

الطريق يتجه الآن نحو الشمال مرتفعاً باستمرار .

- على مسافة ٤٣ كم الى اليسار : مستعمرة اشتاول ويسكنها مهاجرون يمنيون وهناك طريق من هذه المستعمرة طوله ٢٢ كم باتجاه شرقي الى مستعمرة موتزا مارا بمستعمرات رامات رازيل ودير قمر وجبعات يريم وقرية صوبا ومنها يمكن مشاهدة القسطل .

- على مسافة ٤٤ كم الى اليمين : مستعمرة بيت مير . مهاجرون يمنيون .

- على مسافة ٤٥ كم الى اليسار : مستعمرة مسيلات زيون. مهاجرون يمنيون.

- على مسافة ٤٧ كم : مفرق طرق شهار هجاي (او باب الواد) . الى اليسار طريق مغلق بالاسلاك الشائكة يؤدي الى اللطرون في الاردن .

- على مسافة ٥٠ كم الى اليمين : قرية عمال هاجشاما .

- على مسافة ٥٤ كم الى اليمين : قرية عمال شوفا .

- على مسافة ٥٥ كم الى اليسار : ممر يؤدي الى مستعمرة نيف ايلان وهى كبوتس .

- على مسافة ٥٧ كم الى اليمين : وعلى مرتفع يمكن مشاهدة القسطل .

- على مسافة ٥٨ كم : مركز بوليس .

- على مسافة ١/٢ ٥٨ كم الى اليمين : قرية ابو غوش العربية .

- على مسافة ١/٢ ٥٨ كم الى اليسار : كنيسة نوتردام .

- على مسافة ١/٢ ٥٨ كم الى اليسار : طريق يصعد نحو كبوتس معال هاهاحيت بالقرب من الحدود الاردنية .

- على مسافة ١/٢ ٦٠ كم الى اليسار : طريق يؤدي الى كريات انافيم وهي مستعمرة مبنية على مرتفع ويقابلها كبوتس معال هاهاحيت . وعلى تل في هذه

المنطقة أقيم نصب تذكاري الى تخليد ذكرى أفراد احدى وحدات البالماخ الذين قتلوا في المعارك مع العرب .

– على مسافة ١/٢ ٦١ كم الى اليسار : مستعمرة بيت تاكوفا .

– على مسافة ٦٤ كم : يمر الطريق بوسط قرية موتزا . الى اليمين وعلى قمة مرتفع صغير تقوم قرية موتزا اليث (أو موتزا العالية) .

– على مسافة ٦٨ كم الى اليسار : في الوادي قرية كولونيا العربيـــة التي تحيط بها الاشجار الباسقة .

– على مسافة ٧٣ كم : أعلى منطقة في الطريق ومن هنـــا يمكن مشاهدة القدس وضواحيها . الى اليسار قرية لفتا العربية . الى اليسار كذلك وفي اتجاه شمال شرقي يمكن مشاهدة مسجد النبي صموئيل (في الاراضي الاردنية) .

– على مسافة ٧٤ كم الى اليمين : قبل دخول القدس ما زال طريق روماني قديم بموازاة الطريق الجديدة .

– على مسافة ١/٢ ٧٥ كم الى اليمين : يمر الطريق خلال ضاحيـــة القدس الصناعية جبعات شاؤول . يمكن هنا مشاهدة بقايا قرية دير ياسين العربيـة . بعد قليل والى اليسار ضاحية روحيما .

طريق من جبعات شاؤول الى عين كارم (طوله ٩ كم) باتجاه جنوب غربي واسمه طريق هرتزل وذلك الى يمين طريق يافا – القدس . هـذا الطريق يقطع ضواحي القدس . الى اليسار تل « رام » التاريخي . الى يسار هذا الطريق وعلى قمة تل رام بني قصر عظيم واسمه « قصر الأمة » وقد بني من الحجر الوردي . يحتوي هذا القصر على ١٦ قاعة محاضرات وقاعة تتسع لحوالي ٧٠٠ شخص ، ومكتبة تحتوي على ارشيفات صهيون ، ومكان اجتماع يتسع لحوالي ٣,٥٠٠ شخصاً ، ومطعم . في الخارج وفي وسط غابة ضخمة بني مدرج كبير يتسع لعشرة آلاف شخص ، ومسرحه يتسع لألف ممثل في نفس الوقت . بالاضافة الى

كل ذلك هناك مساحات واسعة من الأرض مخصصة للمعارض الدولية . وقد عقد الكثير من المؤتمرات الدولية الكبرى في رحاب هذا القصر .

– على مسافة ٧٥ كم : القدس .

دراسة عسكرية أولية لطريق حيفا – تل ابيب / يافا
من حيفا الى تل ابيب / يافا

وصف عام

طريق رئيسي على السهل الساحلي جوار الشاطىء وللخط الحديدي لمسافة (٦١و٥ كم) (٣٨ ميل) وحتى مفترق الطرق عندما يتفرع الى طريقين احدهما وطوله (٩٧و٥) كم (٣/٤ ٦٠ ميل) يستمر بموازاة الساحل الى نتانيا والثاني وطوله (١٠١و٥ كم) (٦٣ ميل) يتجه الى مستعمرة بتاح تكفا في الداخل . سيجري تمديد هذا الفرع في المستقبل القريب حتى مجدل جاد (عسقلان) كما سيجري ايصاله مع طريق النقب الصحراوي التي توصل حتى ايلات على البحر الأحمر .

النقاط الهامة على الطريق :

– على مسافة ٦ كم الى اليمين : بات جاليم ومسبح خيـاط (المعروف بالعزيزية) .

– على مسافة ٦ كم الى اليسار : مركز ضخم لاستقبال المهاجرين الجـدد عند وصولهم لميناء حيفا .

– على مسافة ١/٢ ٦ كم الى اليسار : على قمة جبل الكرمل دير الكرمليت ومستشفى ستيلا ماريس .

– على مسافة ٧ كم الى اليسار : شكمونه (تل السمك) .

– على مسافة ٩ كم الى اليمين : طريق يؤدي الى «هاهوتريم» او «شاميريث» وهي مستعمرة ساحلية أسسها المهاجرون سنة ١٩٤٨ .

– على مسافة ١٢ كم الى اليسار : طريق متصل مع جبل الكرمل يؤدي الى طيرة الكرمل وهي من اهم ضواحي مدينة حيفا أسسها المهاجرون سنة ١٩٤٩ مكان قرية الطيرة العربية . عدد سكانها ١٢و٧٠٠ نسمة .

– على مسافة ١٥ كم الى اليمين : طريق يؤدي الى « مجاديم » وقد أسسها المهاجرون المغاربة سنة ١٩٤٩ .

– على مسافة ١٧ كم: مفرق طرق. الى اليسار : طريق طوله ١٩ كم يمر خلال كبوتس «بيت اورن» «ونشر » . هذا الطريق يقطع جبل الكرمل ويتصل مع طرق حيفا – طبريه، وحيفا – العفولة .

– الى اليمين : مركز بوليس ثم طريق آخر يؤدي بعد ٤ ١/٢ كم الى «مابيليم» « ونيف يام» . بعد ٥٠٠ متر الى اليمين طريق يؤدي الى قلعة « عتليت » وهي مواجهة للبحر ومبنية على مرتفع صخري . المنطقة عسكرية هنا .

– على مسافة ١٨ كم الى اليسار : طريق صغير يؤدي الى « نيرعتسبون » وبعد ٣ كم الى مستعمرة «يانين اورد» .

– على مسافة ٢١ كم الى اليمين : عين هاكارميل .

– على مسافة ٢٢ كم الى اليمين : على الشاطىء «جيفا هاكارميل »

– على مسافة ٢٣ ١/٢ كم الى اليمين : زروفة .

– على مسافة ٢٤ كم الى اليمين : مستعمرة هابونيم.

– على مسافة ٢٥ كم الى اليسار : مستعمرة كفار لام وبقايا قلعة كفارلت الصليبية .

– على مسافة ٢٦ كم الى اليمين : عين اياله .

– على مسافة ٢٩ كم : مفرق وطريق فرعي يؤدي الى « فـاشوليم » والطنطورة .

– على مسافة ٣٠ كم : الفريدس وطريق فرعي يؤدي يساراً الى «يوكنيم» ومن ثم الى الناصرة وطبريه ويمينا الى زخرون يعقوب والخضيرة عن طريق بنيامينا .

(بعد ذلك وصف للطريق المؤدي من زخرون يعقوب الى الخضيرة)

– على مسافة ٣٢ كم : مستعمرة «صيان تسفي».

– على مسافة ٣٣كم : كبوتز « ماجان مشيل » ويمر بالقرب منهـا جدول نهر الدفل .

– على مسافة ٣٦ كم : الطريق يقطع خط سكة حديد حيفا – الخضيرة .
– على مسافة ٣٧ ١/٢ كم : بيت حنانيا.

– على مسافة ٣٩ ١/٢ كم الى اليسار : مركز بوليس وطريق جانبي يمكن الوصول منه الى بنيامينا بعد ٢ كم .

– على مسافة ٤١ ١/٢كم : كراج ومحطة بنزين ومفرق يؤدي الى سيزاريا (قيصرية) .

– على مسافة ٤٥ كم : خليج «هفتسي باه» ثم يقطع الطريق نهر الخضيرة .
– على مسافة ٤٦ ١/٢ كم : نيف هاييم، ثم يقطع الطريق سكة الحديد .

– على مسافة ٤٩ كم : الخضيرة وسكانها ٢٨و٩٠٠ نسمة على مفرق طرق هام يمر في وسطها نهر الخضيرة (نهر المفجر) . بعد الخضيرة الى اليسار طريق يوصل لطرق حيفا – طبريه ، وحيفا – العفولة . يوجد هناك مركز بوليس .

– على مسافة ٤٩ ١/٢كم الى اليسار : كفار برانديس ومستعمرة «هريف ليث».

— على مسافة ٥٠ كم : « حيبات زيون » والى اليسار مستعمرة ثانية .

— على مسافة ½٥٠ كم : « كفار هروة » . يبرز هنا كنيس قبته تسيطر على الوادي .

— على مسافة ٥٤ كم : مستعمرة الباشيف ويسكنها مهاجرون يمنيون .

— على مسافة ٥٥ كم : مفرق وطريق يؤدي الى بيت ياناي .

— على مسافة ٥٧ كم : معبروت . وهي مستعمرة مبنية على تل يمر تحته نهر صغير يصب في نهر الكسندر .

— على مسافة ½٥٧ كم : مستعمرة مشمار هاشارون .

— على مسافة ٥٨ كم : مفرق.طريق يؤدي الى بيت يتسحاق (بعد½٣كم).

— على مسافة ٥٩ كم : مفرق.طريق يؤدي الى بيت هاليفي (بعد ٣ كم) .

— على مسافة ½٦١ كم : مفرق ومركز بوليس.طريق الخضيرة — ماجيدو يتصل بهذا الطريق . على المفرق ينقسم الطريق الى قسمين يؤدي كل منها الى تل ابيب، واحد الى اليمين وطوله ٣٦ كم عن طريق نتانيا ، والثـاني الى اليسار وطوله ٤٠ كم عن طريق بتاح تكفا .

من طريق نتانيا

(٦٥ كم حيفا — نتانيا و ٣٦ كم نتانيا — تل ابيب)

نتانيا مدينة سياحية يسكنها (٥٢,٤٠٠) نسمة . يزرع حولها أراض كثيرة بالحمضيات وبها صناعات كثيرة مثل الفواكه والخضار المجففة والسمك والمدابغ والبضائع الجلدية والمطاطية والفلين واجهزة الراديو وغيرهـا . وهناك مصنـع للبنسلين — هذا بالاضافة الى صناعة الماس . توجد طريق (كورنيش) طولها ٤ كم بمحاذاة الشاطىء وتصل « حدار آم » بالقرب من «ابي هزيل» و « هافاتسيليت» وحشرون (حصرون) .

ومن نتانيا وباتجاه الجنوب يستمر الطريق (من ناحية اليمين) الى تل ابيب وهو بمحاذاة الشاطىء وسكة الحديد طوال الوقت .

– على مسافة ٦٦و٢ كم الى اليمين : مستعمرة « راحال تيومكين » .

– على مسافة ٧٢ كم : الطريق يمر فوق نهر الفلق .

– على مسافة ٧٢و٢ كم الى اليمين : مستعمرة اوايم .

– على مسافة ٧٤ ١/٢ كم الى اليسار : ياكوم ، وهي كبوتس .

– على مسافة ٧٦ كم الى اليمين : كبوتس جاش .

– على مسافة ٧٨ كم الى اليمين: في وسط مجموعة من التلال كبوتس شفايم.

– على مسافة ٨٠ كم الى اليسار : مستعمرة « ريشبون » .

– على مسافة ٨١ كم الى اليسار : كفار رشف من ضواحي هرتسليا وأصلها قرية عربية (عدد سكانها ١٫٠٠٠ نسمة) . هنا وعلى قمة الجبل الذي يشرف على الساحل يرتفع مسجد ومزار سيدنا علي .

– على مسافة ٨٢ كم الى اليسار : مستعمرة « كفار شمر ياهو » – مركز للسياحة والنقاهة .

– على مسافة ٨٤ كم : يبدأ الطريق بالمرور بالمناطق الصناعية والمأهولة وكلما اقترب الطريق من تل ابيب كلما ازدادت كثافة البناء والسكان .

– على مسافة ٨٤كم الى اليسار : طريق فرعي يؤدي الى هرتسليا ويتفرع بدوره الى طريقين احدهما الى اليسار وهو فرعي ويوصل الى طريق حيفا – تل ابيب ، (عن طريق بتـــاح تكفا) والثاني – الى اليمين – هو طريق فرعي آخر الى تل ابيب .

– على مسافة ٩٢ كم : يمكن مشاهدة شركة الكهرباء « ريدنغ » .

– على مسافة ٩٣ كم الى اليسار : قبل عبور نهر اليركون يوجد ممر ضيق يؤدي الى تل القصيل . اليركون هو (نهر العوجه) .

– على مسافة ٩٤ كم : بعد عبور حدود الشيخ مونس يصبح المرء عند حدود مدينة تل ابيب .

– على مسافة ٩٥كم الى اليمين: مركز شرطة ومدينة الوزارات الاسرائيلية واسمها « هكيريات » وهي مبنية داخل حدائق بها طرق كثيرة واشجار . وقد بنيت المدينة الحكومية مكان المستعمرة الألمانية سارونا .

عن طريق بتاح تكفا

– على مسافة ٦١ ١/٢ كم: على المفرق «بيت له» وكان مركز ضخم لاستقبال المهاجرين، مقفل الآن .

– على مسافة ٦٢ كم : مستعمرة نورديه .

– على مسافة ٦٤ كم الى اليسار : طريق فرعي يؤدي الى « بارديسيا » و «تسورموشي » و « نحواليم » .

– على مسافة ٦٥ كم الى اليمين : وعلى بعد ١٠٠٠ يارد قرية الاطفال « هادايم » .

– على مسافة ٦٥٫٣ كم الى اليمين : مستعمرة تل تزور .

– على مسافة ٦٥٫٣ كم الى اليسار : طريق فرعي يؤدي الى مستعمرة كاديم .

– على مسافة ٦٧ كم : طريق الى اليمين ، مستعمرة نثر .

– على مسافة ٦٧ كم : مستعمرة ايفن يهودا سكانها ٢٠٠٠ نسمة .

– على مسافة ٦٨ كم : طريق الى اليمين يؤدي الى مستعمرة «بيت يبهوشونا» .

– على مسافة ٦٩ كم : طريق الى اليمين يؤدي الى تل موند حيث السجن المركزي في اسرائيل في حصن صغير كان أصلاً مركزاً للشرطة الانجليزية . بعده بحوالي كم واحد كفارهس .

– على مسافة ٧٠ كم الى اليمين : مستعمرة تل يتسحاق .

– على مسافة ٧٢ كم الى اليمين : مركز شرطة .

– على مسافة ١/٢ ٧٤ كم : طريق الى اليمين يؤدي الى بني زيون .

– على مسافة ٧٦ كم الى اليمين : مستعمرة بصرة .

– على مسافة ٧٧ كم : طريق الى اليسار الى مستعمرة غان حاييم .

– على مسافة ١/٢ ٧٨ كم : مفرق طرق : الى اليمين تجد طريق نتانيا تل ابيب والى اليسار طريق فرعي يؤدي الى بعض المستعمرات . ومن المفرق نفسه يوجد طريق فرعي آخر يؤدي الى كفار سابا (عدد سكانها ٢٠٨٠٠ نسمة).

– على مسافة ٨٠ كم الى اليسار : مستعمرة كفار حلال .

– على مسافة ٨٢ كم : طريق الى اليسار يؤدي الى مستعمرة راحات « هاسهافيم » .

– على مسافة ٨٣ كم: قرية روماتيم سكانها ٤٠٠٠ نسمة ، وهي على جانبي الطريق .

– على مسافة ٨٤ كم الى اليمين : مستعمرة هادار .

– على مسافة ٨٥ كم الى اليسار : مستعمرة يركونا .

– على مسافة ٨٧ كم : يقطع الطريق خط السكة الحديدية بين تل ابيب وروش هايان . مركز بوليس ومفرق طرق. الى اليمين طريق فرعي محطة السكة في روش هايان حيث نهاية الخط الحديدي بين حيفا والقدس عن طريق اللد (بالقرب من حدود الأردن). هذا المكان اقيم على انقاض قرية رأس العين العربية .

– على مسافة ½ ۸۷ كم : بتاح تكفا حيث توجد محطة للقطارات وفنادق ومحطة بنزين . سكانها (٦٦٫٦٠٠ نسمة) .

– على مسافة ۸۸ كم الى اليسار : بلدة جيفات هاشيلوث. مدرسة زراعية، مصنع احذية ومعامل اسمنت .

– على مسافة ½ ۹۲كم : بني براق بلـدة سكانهـا ٥٧٫٠٠٠ على جانبي الطريق .

– على مسافة ٩٤ كم : رامـات غان مدينة سكانها ١٠٠٫٠٠٠ مبنية على هضبة توجد فيها مصانع للفواكه المحفوظة والعصير والنسيج والشكولاته والادوية والساعات والورق والطباعة ومدارس كثيرة .

بعد ذلك يمر الطريق في مزارع التفاح والبيارات ثم يقطع جسر المصرارة ، (بركة سباحة الى اليمين) ثم يصل الى تل ابيب .

الفصل الخامس

التخطيط العسكري الاسرائيلي

سأتبع في عرض هذه الدراسة نهجاً عسكرياً من حيث التسلسل في انتقاء نقاط البحث وطريقة عرضها مراعياً امكانية فهمها بسهولة من قبل العسكريين والمدنيين على حدّ سواء . فقد أصبحت المفاهيم والتعابير العسكرية بالنسبة لجماهير شعبنا مألوفة تقرأ يومياً في الصحف والكتب والمجلات . وعلة ذلك ان اسرائيل وتحدياتها الوقحة وما يبيته الاستعمار من مؤامرات وخطط تهدف القضاء على منجزاتنا الاقتصادية وتراثنا الفكري وتقاليد شعبنا المجيد، رفع من مستوى الوعي العسكري والتفكير الجدي في القضاء على الخطر الاسرائيلي الذي يهدد كيان أمتنا العربية .

التخطيط العسكري : هو تحديد عمل المشاريع العسكرية ورسم السياسة الدفاعية أو الهجومية مع الخصم ، وهو وسيلة تضمن حسن استخدام الجيش ومعداته واسلحته ومؤنه بطريقة علمية وعملية ، وهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً مع التخطيط الاقتصادي . وينسجم التخطيط العسكري مع الانظمة الاجتماعية والسياسية التي تتبعها الامم . وعلى هذا الأساس بنت الصهيونية العالمية مفهومها واصبح التخطيط العسكري الاسرائيلي والعقيدة الصهيونية صنوان لا ينفصلان، وتبني اسرائيل تخطيطها العسكري على أساس ان الحرب مع العرب هو الطريق الوحيد لتنفيذ مطامعها الاقتصادية واستمرار سياستها التوسعية لبناء دولة اسرائيل العظمى من الفرات الى النيل .

وقد بنت الصهيونية العـــالمية ، متمثلة باسرائيل ، استراتيجيتها الخاصة المرتكزة على أساس التحليل العميق والواقعي للعناصر السياسية والاقتصادية والعسكرية، وربطت هذه الاستراتيجية مع مدى تطور آفاق اقتصادها وزيادة عدد سكانها باعتبار ان الانسان هو العنصر الحاسم في كل عملية حربية . ويؤمن الصهيونيون ان تفوقهم في العلم العسكري والتقدم التكنيكي علىالعرب سيضمنان لهم الغلبة والنصر .

مبادىء الحرب الاسرائيلية : لقد وضعت مبادىء عديدة للحرب وارتأت كل أمة من الامم مبادىء خاصة بها ، وفي رأينا ان هذه المبادىء وان اختلفت من حيث الشكل فهناك قاسم مشترك يجمعها من حيث المحتوى ، وما اختلاف هذه المبادىء سواء في الشكل او المحتوى الا وليد الظروف الموضوعية والحسية والتاريخية التي تحيط بكل أمة من الامم .

اعتبرت الولايات المتحدة مبادىء الحرب تسعة وهي:متابعة الهدف الموحد، التعرض ، الحشد ، الاقتصاد بالقوى والحركة ، المفاجأة ، الامن ، وحدة القيادة والبساطة .

وقد أشار كلوزوتيز الى خمسة مبادىء وهي : الحشد ، الاحتياط ، المبادأة، المطاردة والمفاجأة .

اما الاتحاد السوفييتي فقد تبنى بشكل عام المبادىء الخمسة التي وضعها فوللر وهذه هي : الأمن ، المفاجأة ، الحركة ، الحشد ، وحدة القيادة .

وتبنى الانكليز مبادىء سبعة يجمعهـا (قولك تاه حاتم) وهي : تحشد ، هجوم ، حركة ، اقتصاد بالقوة ، أمن ، تدابير ادارية ، ومواصلات .

أما اسرائيل فقد تبنت ثلاثة مبادىء أساسية وهي : المناورة ، المرونة ، والسرعة في الادراك والقرار والتنفيذ .

ومن هذه المبادىء يتبين ان المفاجأة هي المبدأ الأساسي الذي تعتمد عليه

اسرائيل في جميع عملياتها الحربية. وقد رأينا ان جميع عملياتها، العسكرية منها والسياسية ، تتميز بالمفاجأة في المكان والزمان .

ولما ان كانت سياسة الأمر الواقع هي الطريق الوحيد المقنع لكسب الرأي العام المحلي والعالمي نرى ان سرعة التنفيذ في العمليات العسكرية واستثمار الفوز هما سمتان بارزتان في كل عملية عسكرية اسرائيلية .

ان دولة اسرائيل تعتمد على مبادىء الحرب الأساسية التي اختطتها لنفسها واختارتها من بين المبادىء المتعارف عليها عالمياً غير ان هـــذه المبادىء دعمت بأفكار ومذاهب تنبع من واقع شعبها ، وأهمها :

– الاعتقاد بأن الهزيمة في اسرائيل تعني زوالها من الوجود وعلى هـــذا الأساس تزرع الصهيونية العالمية في نفوس ابنائها بأن اسرائيل لن تحارب الا مرة واحدة .

– تعتبر ان تاريخها العسكري الحديث هو امتداد لتاريخها القديم في ارض فلسطين زمن سليمان وداود وموسى وشاول، وعلى ضوء ذلك يتلقى العسكريون اليهود دروس التاريخ العسكري بموازاة مع الدروس الحربية المستقاة من التاريخ العسكري القديم والحديث .

– تنشر اسرائيل بين ابنائها المقاتلين تعاليم الدين اليهودي وتربط ذلـــك بالناحية المعنوية حتى تخلق جندياً مؤمناً بأن مصيره رهن ببقاء اسرائيل والحفاظ على الديانة اليهودية .

الخطوط العامة للاستراتيجية الاسرائيلية
(في الهجوم والدفاع)

تدرك اسرائيل بأن قوتها العسكرية مهما تضاعفت لن تتمكن من كسب المباراة في تعبئة القوى المقـاتلة وسباق التسلح مع العرب نظراً لان امكاناتهـا

ستبقى محدودة ، لهذا ربطت استراتيجيتهاوخططها مع قوى الاستعمار التي لها مصالح واطماع مباشرة في منطقة الشرق الأوسط وخاصـــة الولايات المتحدة والمانيه الغربية بمساعدة بريطانيه وفرنسه ، وقد جرى اتفـاق ثلاثي جديد بين الولايات المتحدة والمانيه الغربيـة واسرائيل مرتكز على الأسس الاستراتيجية الهجومية الواسعة النطاق في منطقة البحر الأبيض المتوسط والشرق الأوسط . واتفق كذلك على الوسائل التي تكفل اسهام المانيه الغربيـة بصورة خاصة في مهام تخطيط هذه الاستراتيجية. وطلب مؤخراً الى الاكاديمية العسكرية الالمانية الغربية باجراء دراسة لضمان سلامة الجناح الجنوبي من منظمة حلف الاطلسي . ان الهدف الأساسي لهذه الاستراتيجية هو تغطية المنطقة العربية بعمليات‌عسكرية في حال وقوع معـــارك بين العرب واسرائيل . تتمركز الدراسات الالمانية الغربية – الاسرائيلية – الاميركية ، على ان يكون هناك توحيـــد للاسلحة والوسائل الحربية . ان هذا الاتفاق في جوهره يعني ادخال اسرائيل بارتباطات حلف الاطلسي واعطائها واجبات عسكرية بصورة غير معلنة .

من الدروس التي تعلمناها أثر العـدوان الثلاثي على مصر ومن الاحـــلاف العسكرية الظاهر منها وغير الظاهر ، ومن القواعد الحربية التي زرعها الاستعمار في منطقة الشرق الاوسط ، ومن المؤامرات التي تحاك هنا وهناك ، من كل ذلك يجب ان ندرك ، بأن كل خطة عسـكرية أو سياسية ، وكل تخريب اقتصادي أو اجتماعي في بلادنا تقف وراءه اسرائيل وحليفتها الامبريالية العالمية بزعامـة الولايات المتحدة ، هادفة من ذلك ضرب كل حركة تحررية أو ثورة اجتماعيـة تؤدي الى نشر التقدم والازدهار في وطننا العربي الكبير .

ان الاستراتيجية الاسرائيلية تطمح الى تحقيق البرامج التالية :

١) انشاء قوة بشرية كبيرة لتتمكن من تكوين جيش لا يقل تعداده عن المليون جندي مزود بأحدث وسائل الحرب والتكنيك .

٢) الانتهاء من بناء القاعدة المادية الاقتصـادية وذلك عن طريق تنفيـذ

مشروع العشر سنوات الذي ينتهي عام ١٩٧٠ ، لان تحقيق هذا البرنامج يجعلها اقوى دولة صناعية في منطقة الشرق الاوسط .

٣) ان تقف اسرائيل على قاعدة أرضية ثابتة ومتناسقة العمق والاتساع، لا كما هي الآن عبارة عن شريط من الارض تخترقه من الوسط الضفة الغربية (فلسطين غير المحتلة) مما يسهل على القوات العربية تقسيمها وتمزيقها في اللحظة المناسبة اذا ما كانت هناك نية الهجوم للقوات العربية .

وتعمل اسرائيل حالياً على تعمير النقب وتقوية ميناء ايلات لتتجنب عملية التمزيق أو الشطر وعدم اتاحة الفرصة للقوات الاردنية والمصرية للالتفاف في حالة وقوع الحرب .

وتعاني الاستراتيجية الاسرائيلية مشاكل وصعوبات جمة تعود لعدة عوامل ، اهمها :

١ — نقص العمق في اراضيها فلو نظرنا الى العمق الضيق والواقع بين طولكرم ونتانيا والذي يشبه عنق الزجاجة لرأينا ان أهم طرق المواصلات الرئيسية التي تصل شمال البلاد بجنوبها تقع في هذا الممر (أنظر مخطط المواصلات رقم ٢) على مرمى المدفعية العربية . والأخطر من ذلك ، بالنسبة لاسرائيل ، ان المدينة الصناعية الأولى في اسرائيل ، وهي تل ابيب تقع على هذه الارض الضيقة مما يجعلها عرضة كذلك لهذه النيران المتمركزة على الحدود الاردنية الاسرائيلية .

لقد أدرك العسكريون الاسرائيليون هذه الخطورة التي أوجزها رئيس الاركان الاسرائيلي السابق بما يلي :

« ان شكل أرض اسرائيل لا يضم سوى مجموعة من السيئات اذ انه لا يسمح الا بالالتفاف على جناح العدو » . وهذا الوضع يقيد حركات القوات

الاسرائيلية البرية ويجعلها أسيرة لهذا الشكل الوحيد في مناوراتها الحربية عند دخولها في حرب مع العرب .

٢ – ان تقيد اسرائيل بهذا الشكل الوحيد في المناورة دفعها الى تبني خطة الهجوم ، اذ كيف يمكن لاسرائيل ان تعتمد على الدفاع طالما ان وسطها معرض للقطع والتدمير في اللحظة التي تريدها القوات العربية المهاجمة .

٣ – ان الانسحاب أو التراجع للضرورات العسكرية لا يمكن الاعتماد عليه نظراً لضيق الارض واعطاء فرصة للقوات المهاجمة للتغلغل داخل اسرائيل .

نستنتج من ذلك ان اسرائيل تؤمن بحتمية الحرب مع العرب وتعتمد على الحرب الصاعقة السريعة لان اطالة زمن الحرب ليس في صالحها لعدة عوامل أهمها : صعوبة اتصالها مع العالم الخارجي للاستمرار في عمليات التموين اذ ان المنفذ الوحيد لها هو البحر وهو كذلك ليس مضموناً اذا ما تفوقت القوات الجوية والبحرية العربية .

ان الاستراتيجية الاسرائيلية تتسم بطابع الهجوم لان ظروف اسرائيل الموضوعية ، وخاصة الموقع الجغرافي العسكري لا يساعدها على تحقيق النصر في حالة الاعتماد على الدفاع .

ان اسرائيل تعتمد على المبدأ القائل « خير وسيلة الدفاع هو الهجوم » وستحاول بكل استطاعتها ضرب كل جيش عربي على انفراد مستغلة الخلافات والمشاحنات بين الدول العربية ومهيئة الظروف التي تمكنها من تحقيق هذه الخطة .

ان اسرائيل لا تبني استراتيجيتها على أساس الصمود (الى ان يأتي الفرج) وراء تحصيناتها في حدودها المترامية الأطراف والتي تبلغ نيف وألف كيلومتر ، بل تبنيها على أساس ضرب عدوها بعيداً عن اراضيها . ان هذا الوضع (على الرغم من محاسنه) أثـّر في ضعف خطتها الدفاعية وخاصة في المنطقة الوسطى من فلسطين .

بنى الجيش الاسرائيلي خططه العسكرية على أساس القتـــال في الخطوط الخارجية بينما الجيوش العربية ستقاتل على الخطوط الداخلية في المعارك المقبلة . ان هذه الخطط تفرضها الظروف الموضوعية وخاصة الموقع الجغرافي العسكري وشكل الحدود بين اسرائيل والدول العربية المحيطة بها. (انظر المخطط رقم ٨)

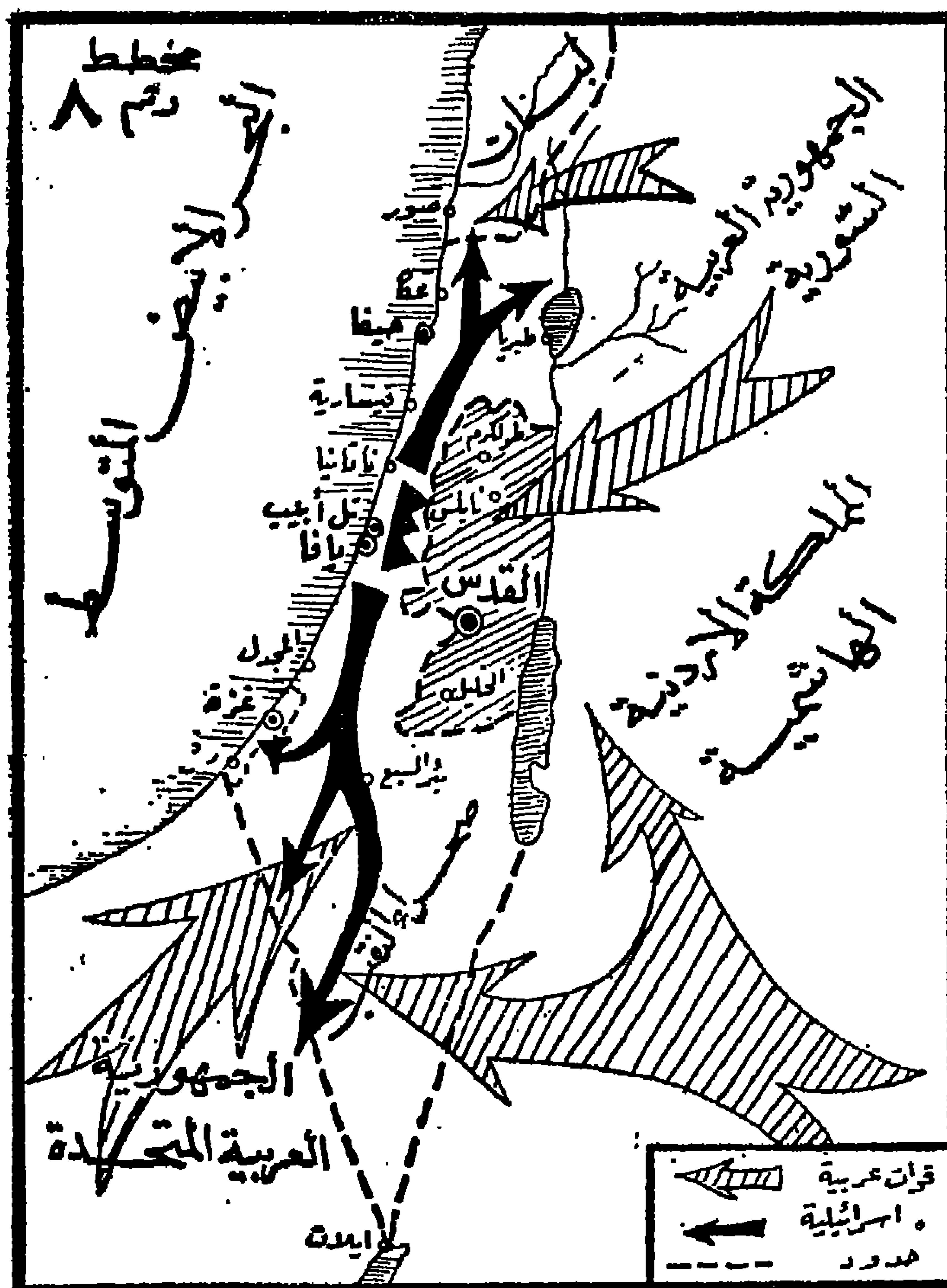
ولن تستطيع اسرائيل تجميد قواتها المقاتلة الرئيسية الضاربة على جزء من حدودها حيث يقوى الاحتمال لان ينفذ منها الهجوم ولهذا فان اسرائيل نراها دوماً تكثف قوتها الضاربة وتمركزها في مكان يساعدها على التقدم الى أي قطاع من قطاعات الحدود وذلك بعد ان يتبين لها محور الهجوم عليهـــا . أما محاور الهجوم الاسرائيلية على الجبهات العربية فانها مقيـــدة بشكل ارض فلسطين الطولاني وبذلك يتحدد هجومها بمحورين طولانيين أحدهما نحو الجبهة السورية اللبنانية في الشمال، وثانيهما نحو الجمهورية العربية المتحدة وغزة وسيناء في الجنوب (انظر المخطط رقم ٨) .

وتحمي اسرائيل حدودها بخطوطها الدفاعية المكوّنة من مستعمرات وقرى الحدود التي يزيد عددها عن الألف، ترتبط بعضهـــا مع بعض بشبكة كثيفة من المواصلات البرية التي تربطها بالقرى الخلفية والمدن لتشكل معها خطاً دفاعيـــاً عميقـــاً .

الخصائص العامة لتكتيك القوات الاسرائيلية

من مناورات القوات الاسرائيلية السنوية ومن العمليات العدوانية المتكررة على الحدود العربية ومن العدوان الثلاثي على مصر أمكن التوصل لمعرفة الخصائص العامة لتكتيك القوات الاسرائيلية التي يمكن تلخيصها بما يلي :

١) ان العمليات الليلية هي الطابع المميز للقوات الاسرائيلية حيث تستفيد من مزايا الليل الكثيرة، وأهمها الظلام الذي يعتبر ستاراً ناجحاً ، والمفاجأة ، ثم تجنب نيران المدفعية وغير ذلك . وقد اولى الجيش الاسرائيلي لتدريب القتال


مخطط رقم ٨
البحر الأبيض المتوسط
لبنان
الجمهورية العربية السورية
المملكة الأردنية الهاشمية
الجمهورية العربية المتحدة
صور
عكا
حيفا
طبريا
قيسارية
ناتانيا
تل أبيب
يافا
طولكرم
اللد
القدس
الخليل
المجدل
غزة
بئر السبع
ايلات
قوات عربية
اسرائيلية
حدود

الليلي أهمية كبيرة مكنته من النجاح في معظم العمليات التي قام بها ضد العرب.

٢) يتبع العدو اسلوب التطويق للمواقع التي يهاجمها حيث يفاجىء القوات المدافعة بالهجوم على مؤخرتها وأجنحتها مما يسهل عليه اقتحام الموقع وخاصة اذا لم يراع المدافع تنظيم خططه الدفاعية على اساس استعمال النيران من جميع الجهـات .

٣) في المراحل الأولى للمعركة يضع العدو في خطته نصب عينيه عزل المدافعين وذلك بقطع مواصلاتهم البرية والسلكية واللاسلكية مستعملاً لهذه الغاية الالغام وقنابل الهاون . ان اتباع هذه الطريقة يعزل المدافعين عن مراكز القيادات وقوى الاحتياط ويمنعها أو يؤخرها من التدخل في الوقت المناسب .

٤) كثيراً ما يسلك العدو أساليب الخداع بطرق متنوعة منها: القيام بعمليات قتال خادعة موهماً الخصم بالهجوم على مواقع مختلفة علاوة على الموقع المقصود . تجمع قوات الهجوم امام منطقة بعيدة نسبياً عن هدفها المقصود وتوجيه اهتمام المدافعين الى هذه المنطقة ، ثم ينقل قواته بسرعة لمهاجمة الهدف المقصود (ان كثرة الطرق وتوافر الآليات تساعد الجيش الاسرائيلي على القيـام بمثل هـذه العمليات الخادعة) .

٥) استخدام الطيران في عمليات مفاجأة ليلية ونهارية لضرب المواقع ومنع وصول النجدات . في الليل بصورة خاصة ، تلقي الطائرات قنابل مضيئة لتحديد مواقع الهجوم عند الاقتحام مما يسهل على المهاجم تمييز الاهداف والوصول اليها.

٦) واخيراً وليس آخراً ، ينظم العدو خطـة الهجوم بدقة وعناية فائقتين معطيا الاوامر بصورة مفصلة ومزودا المهاجمين بالمخططات والمعلومات الدقيقة مبينـا امـاكن الاسلحة وطرق مواصلات المدافع التي تصل منها النجدة . ان تحقيق ذلك لا يتم الا بعمليات استطلاع دقيقة قبل القيام بالهجوم على الهدف . كل ذلك يؤدي الى انهاء العملية بأقل خسائر ممكنة وبسرعة قبل ان تتدخل قوات الاحتياط في المعركة .

التخطيط العسكري للقرى والمستعمرات الامامية في اسرائيل

انشئت المستعمرات والقرى الامامية في اسرائيل لمهام اقتصادية وعسكرية ولتؤدي عملاً زراعياً وآخراً استراتيجياً دفاعياً، وتسكنها عائلات يهودية فلاحية تتمتع بالروح العسكرية واشراك ابنائها رجالاً ونساءً في الدفاع . وان هذه المستعمرات والقرى الامامية تقوم بمهام المخافر الامامية لاسرائيل وهي اشبه بجرس الانذار وتشكل بمجموعها نسق التغطية الاولى تدعمها القوات العسكرية المتمركزة قريباً منها ، فاذا كانت القوة الضاربة الرئيسية التي تشكل قلب الجيش الاسرائيلي تتمركز وراء الحدود لتقوم بمهمة الامن الاستراتيجي للدولة فان المستعمرات والقرى الامامية يقع عليها عبء الامن المحلي والدفاع والقيام بمهام تعبوية واستراتيجية وفقاً لامكاناتها ومواقعها .

نظّمت المستعمرات والقرى الدفاعية الامامية على اساس نقاط استناد تشكل بمجموعها جزءاً من الخطة الدفاعية . وتتعاون اكثر هذه القرى والمستعمرات بالنار وبشكل تستطيع به الواحدة ان تدعم الاخرى بمدافع الهاون والرشاشات والاسلحة المضادة للدبابات .

ان تنظيم الدفاع فيها بني على الأسس التالية :

١ — ان كل مستعمرة او قرية امامية تشكل نقطة دفاع متماسكة مع النقاط القريبة منها، وهي محصنة تحصيناً قوياً وقادرة على الصمود امام الهجمات مدة من الزمن لا تقل عن ٢٤ ساعة حتى وصول النجدات اليها في اسوأ الأحوال .

٢) كل مستعمرة او قرية أمامية تحاط بالألغام والأسلاك الشائكة وقادرة على الدفاع عن نفسها من جميع الجهات .

٣) الاكتفاء الذاتي من حيث السلاح والذخائر والتموين .

٤) تبنى المستعمرات او القرية بشكل دائري . تقام البيوت على المحيط ثم

تليها المزارع . اما المرافق العامة (مراكز صحية ومدارس ومستودعات...الخ) فتقام في الوسط . (راجع المخطط رقم ٧) .

٥) تحمى المستعمرة او القرية بخطين دفاعيين ينشأ الأول أمام البيوت والثاني ينشأ أمام المزارع وتحفر خنادق مواصلات بين هذين الخطين .

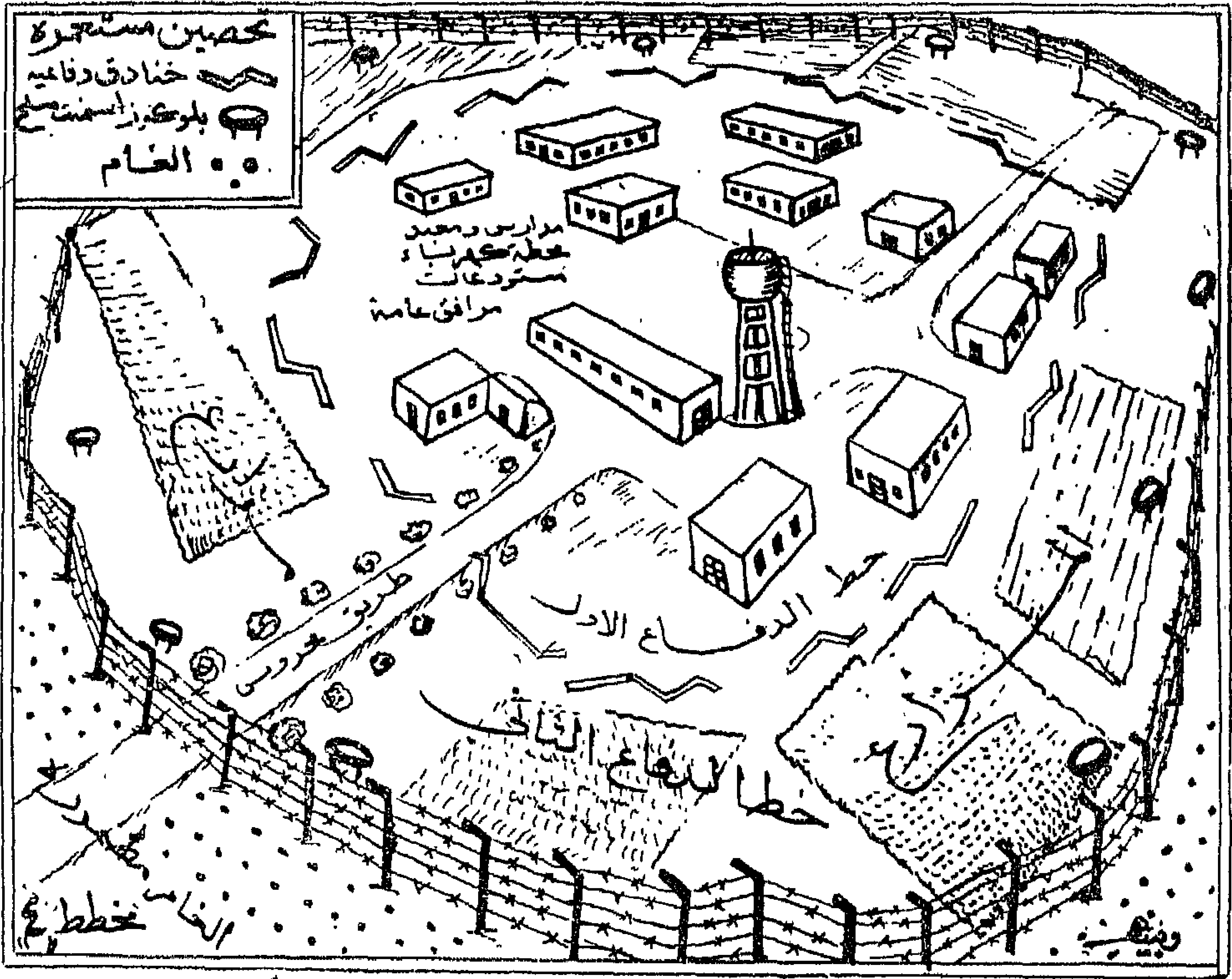
٦) كل عائلة تسكن في وحدة سكنية ولها مزرعتها تقع عليها مسؤولية الدفاع عن القطاع الذي يقع امام بيتها ومزرعتها ، مشكّلة بذلك تقاطع نيران بين القطاعات المتجاورة ، ومؤمّنة دفاعاً دائرياً متماسكاً من جميع الجهات. تحاط هذه المستعمرات بالأسلاك الشائكة والألغام .

ان المهمة الأساسية لهذه المستعمرات والقرى الأمامية هي كسر حدة هجوم القوات العربية المهاجمة ليسهل تعيين اتجاه محاور هجومها الرئيسية حتى تتمكن القوات الاسرائيلية من تجميع قواتها وتوجيه الضربة في المكان والزمان المناسبين .

وتفيد هذه المستعمرات والقرى الأمامية الجيش الاسرائيلي في حالة الهجوم في استعمالها قواعداً لحشد القوات والتموين وحماية خطوط المواصلات ودعم المؤخرات .

الاستراتيجية الاسرائيلية وتأثيرها على الجبهات العربية : بعد ان تمكنا من اخذ صورة مقتضبة عن الاستراتيجية الاسرائيلية الهجومية والدفاعية يمكننا الآن ان ندرس تأثيرها على جبهاتنا وحدودنا الطويلة مع اسرائيل لأن مسألة الحدود تعتبر المسألة الأولى لدولة اسرائيل وجيشها . ولا يسعنا المجال دراسة هذه المسألة دراسة مفصلة حفظاً لأمننا العسكري وخاصة في الأمور التي تتعلق بخطوط دفاعنا . من هذه الزاوية سنطرق الموضوع بايجاز مبتدئين بالحدود السورية .

١ — الحدود السورية : يبلغ طولها خمسة وسبعين كيلومتراً وتعتبر عمليات الهجوم فيها لكلا الطرفين صعبة جداً . ونحب ان نطمئن ابناء شعبنا ان الجبهة


خنادق دفاعيه
اللغام
مدارس ومعهد
محطة كهرباء
مستودعات
مرافق عامة
خط الدفاع الاول
خط الدفاع الثاني

مخطط رقم «٧»

السورية تعتبر اقوي جبهة عربية مع اسرائيل وذلك بفضل تحصيناتها القوية التي تضاهي تحصينات اسرائيل من حيث القوة والتوزيع بالعمق والتعاون بمختلف صنوف الأسلحة . وقد وصفها الجنرال الافرنسي (كاربانتييه) الذي زار جبهة اسرائيل بأنها « خط ماجينو الشرق الأوسط » والجنرال المذكور هو من كبار ضباط القيادة العليا لقوات حلف الأطلسي .

٢ — الحدود الأردنية : يزيد طولها عن ٦٠٠ كيلومتراً وتدخل في قلب اسرائيل وهي انسب مكان من الوجهة العسكرية يمكن الاستناد عليها كقاعدة انطلاق وخاصة المنطقة الممتدة بين جنين والقدس والمشرفة على المنطقة الحيوية في اسرائيل من حيث كثافة السكان وتمركز معظم فاعلياتها الاقتصادية من معامل ومنشآت وطرق وغير ذلك .

ان هذه الحدود تتيح للقوات العربية وخاصة الجيش الأردني الميزات والخصائص التالية :

أ — حرية الحشد والمناورة في الضفة الغربية .

ب — استخدام عدة محاور للعمليات الحربية .

ج — الاتصال المباشر مع جيش الجمهورية العربية السورية في الشمال وبجيش الجمهورية العربية المتحدة والسعودية في الجنوب ويتلاقى معهما الجيش العراقي .

د — امكانية التعاون وتنسيق العمليات الحربية مع الجيوش المذكورة .

هـ — وجود محاور عرضانية وطولانية تسهل حرية المناورة ، منها : محور (جنين — نابلس — رام الله — القدس) العرضاني الذي يسهل التقاء الجيوش العربية بعضها ببعض . ومحور (نابلس — طولكرم) الطولاني والذي ينتهي في ارض العدو عند مستعمرة نتانيا على البحر (المسافة بين طولكرم ونتانيا ١٢ كلم) ان مثل هذا الوضع العسكري الممتاز يجعل جبهات الدول العربية مع اسرائيل — جبهة واحدة متراصة — تحيط باسرائيل أبتداء من رأس الناقورة حتى خليج العقبة .

٣) الحدود المصرية : ان القسم الجنوبي من اسرائيل يشكل رأس حربة رأسها الحاد ينتهي بميناء ايلات جنوباً . ومن الشرق تلامس الحدود الاردنية ، ومن الغرب الحدود المصرية حيث تتكسر شفرتها بالحدود على شريط ضيق من ساحل فلسطين الجنوبي ضاماً منطقة غزة ورفح وتحضن هذه الحدود أراضي النقب .

ان هذه الحدود المنغمسة في صحراء سيناء تشكل موقعاً عسكرياً يصعب الدفاع عنه . ويلعب التفوق الجوي دوراً هاماً ، اذ ان السيادة الجوية في هذه المنطقة الصحراوية المكشوفة هي التي ستقرر المصير . والدفاع عن مواصلاتها بالنسبة لاسرائيل أمر ليس بالسهل ، وخاصة الطريق الواصل بين بئر السبع وايلات والذي يبلغ طوله اكثر من مئتي كيلومتر ماراً عبر صحراء قاحلة . ان السيطرة على هذه الطريق وتخريبه من قبل القوات العربية يقطع المؤن والامدادات العسكرية عن ميناء ايلات .

ان كثافة المستعمرات وقرى الحدود في النقب تعتبر ضعيفة اذا ما قورنت بحدود القسم الشمالي من فلسطين ، الا ان اسرائيل أعطت لهذه المنطقة اهمية كبرى في مشروع العشر سنوات الذي ينهي بناء المرحلة الثانية من اسرائيل .

نقاط القوة والضعف في التخطيط العسكري الاسرائيلي

هناك سيئات ومحاسن فرضتها الظروف الموضوعية لاسرائيل وهي المتعلقة بالأرض والسكان والامكانات المادية المحدودة ، وأخرى فرضتها الظروف الاجتماعية والتقلبات الاقتصادية ، وهي وان كانت متعلقة بالأولى ، الا انها وليدة النظام الاجتماعي السائد في اسرائيل .

نقاط الضعف : يمكننا تحديد المساوىء لنضع ايدينا على نقاط الضعف في التخطيط الاسرائيلي بما يلي :

أ – عوامل موضوعية :

١ – الأرض : ان شكل الأرض المحتلة من فلسطين وامتدادها على الساحل بشكل طولاني يضاف الى ذلك صغر مساحتها وقلة عرض اقسامها الوسطى حيث يبلغ البعد في بعض المناطق بين خط الهدنة الى البحر اقل من ١٥ كم ، كل ذلك يعطي للقوات العربية المهاجمة امكانية الهجوم والاندفاع السريع نحو الأرض المحتلة من الشرق ، وفصل شمالها عن جنوبها نظراً لخطورة تحقيق هذه الامكانية ، فقد اعدت القوات اليهودية خطة دفاعية للرد على مثل هذه العمليات وكاجراء سلبي دمجت بعض مشاريعها الاقتصادية بالخطة الدفاعية العسكرية ، وذلك بالاستفادة من قنوات الري التي تشق سهول اسرائيل من شمالها الى جنوبها ، مشكلة حاجزاً مائياً يمكنه تفجير وغمر السهول المحيطة ببعض المدن والاماكن الاستراتيجية وعرقلة الهجوم المدرع والنقل للقوات المهاجمة .

٢ – ان قلب إسرائيل وهي مدينة تل ابيب ، تقع تحت مرمى المدفعية الثقيلة والصواريخ القصيرة المدى ، كما وان عزل ميناء ايلات ممكن في اللحظة التي يتطلبها موقف القوات العربية .

٣ – ان موقع اسرائيل بين دول عربية معادية وقرب مدنها الكبيرة ومرافقها الهامة للمطارات العسكرية العربية ، هذا الوضع الذي يمكّن الطيران الحربي من ضرب أي هدف في اسرائيل بعد طيران دقائق محدودة ، كل ذلك زاد من مشاكلها العسكرية وخاصة تأمين الدفاع الجوي بصورة جيدة .

ب – عوامل ذاتية :

١ – الامكانية المحدودة لحجم قوات اسرائيل نتيجة لقلة عدد السكان بالنسبة للعرب ، ويشكل هذا الوضع عقدة لا يمكن للتخطيط العسكري حلها ولو اتبع ارقى أساليب التكتيك الحربي . لا شك ان حصول اسرائيل على السلاح الذري سيضعف تأثير التفوق العددي للسكان العرب كثيراً ، الا ان استعمال هذا السلاح رهن بالأوضاع الدولية التي تتحكم باستعمال هذاالسلاح .

٢) لا تتمكن اسرائيل من حشد قوات كبيرة بصورة دائمة على حدودها لأن ذلك سيكون على حساب خراب اقتصادها، الامر الذي سيجبرها على اتباع سياسة التحرش المرحلي مع العرب حتى تظهر انها دولة قوية وقادرة على الحياة والصمود امام قوة العرب التي ستتضاعف عندما توحد خططها العسكرية وتتطور قيادتها العسكرية وتنتقل من سياسة الدفاع الى سياسة الهجوم.

جـ – عوامل اقتصادية :

١) مهما حاولت اسرائيل من تطوير اقتصادها الصناعي والزراعي فانها ستبقى عاجزة عن التفوق على البلاد العربية كلها وذلك نتيجة لقلة عدد نفوسها وصغر مساحتها وضعف ثروتها الطبيعية ، مع ما يرافق الاقتصاد الاسرائيلي من هزات متلاحقة . ففي سنة ١٩٦٥ بلغت زيادة الانتاج القومي في اسرائيل ٧٪ ، وفي السنة السابقة ١٩٦٦ لم تكن ثمة زيادة ، بل بالعكس غدا الانتاج القومي في هبوط مستمر . وكان النشاط الاقتصادي في نهاية تلك السنة اقل منه قبل سنتين . وأدى الهبوط في النشاط الاقتصادي الزراعي حتى نهاية ١٩٦٦ الى وجود ما معدله ٧٠ ألف عاطل عن العمل يؤلفون ٥و٧٪ من الطاقة العمالية . وعند ادخال عدد العاطلين عن العمل في الحقول الاقتصادية الأخرى ، وخاصة الصناعة ، يرتفع عدد العاطلين في مطلع عام ١٩٦٧ الى ١٠٠ ألف عاطل .

٢ – الارتفاع المستمر لغلاء المعيشة الذي يشكل معضلة اساسية يصعب حلها، وقد حاولت السلطات الاسرائيلية ايجاد الحلول عن طريق زيادةالاجور ، فقد زيدت في سنة ١٩٦٥ بمعدل ٢٠٪ دون ان تقترن بها زيادة الانتاج ، مما ادى الى اخراج دولة اسرائيل من المنافسة في الاسواق العالمية ، وكانت تعتبر سنة ١٩٦٤ هي السنة الحاسمة بالنسبة لاقتصاد اسرائيل ، ولا يزال تأثيرها سارياً ، وقد بدأت الازمة عندما ازداد الفرق في موازنة المدفوعات فجأة بقيمة ١٦٠ مليون دولار .

من هنا نرى ان الاقتصاد الاسرائيلي في مختلف قطاعاته يعاني ازمات

متلاحقة وهذا يؤثر من قريب او بعيد بالتخطيط العسكري الاسرائيلي ، حيث ان الاقتصاد يعتبر العمود الفقري للحرب بالنسبة لبلد كاسرائيل تعتمد اعتماداً كلياً على الموارد الخارجية المالية منها والمادية كمواد الخام والمعادن . ومع ان اسرائيل تتلقى سنوياً سيلاً من المعونات الخارجية الا انها تضغط لتصرف اكثر من ٥٠٪ من ميزانيتها العامة للجيش ، عدا عن المصاريف الكبيرة التي تصرف لأعمال الدفاع والتحصين ، وغير ذلك من النشاطات التي لها علاقة غير مباشرة بالمجهود الحربي .

نقاط القوة في التخطيط العسكري الاسرائيلي : ولتلافي نقاط الضعف التي اوردناها سابقاً عمدت اسرائيل الى تقوية جيشها بدءاً من القيادة حتى القواعد، وذلك باتخاذ الخطوات والاجراءات التالية، في مجالات القيادة والتنظيم والتدريب :

١ – تتكوّن القيادة العامة للجيش الاسرائيلي وقيادات القطاعات باستمرار في جميع مستوياتها من الضباط الشباب الذين لا تتجاوز اعمارهم الاربعين عاماً .

٢ – يتمتع هؤلاء القادة بالروح المعنوية العالية والقدرة البدنية ويشترط على كل ضابط انهاء احدى دورتين وهما دورة المغاوير او دورة المظليين .

٣ – ان معظم ضباط الجيش الاسرائيلي اكتسبوا خبرة عملية في القتال ، حيث شاركوا في معارك ١٩٤٨ وفي السويس ومعارك الحدود التي تدبرها القيادة العسكرية والسياسية باستمرار على النطاقين البري والجوي . وتحدث مثل هذه المعارك بكثرة على الحدودالسورية الاسرائيلية . وفي الاحصاء الاخير لمركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية بلغت حوادث خرق الحدود من قبل اسرائيل على الحدود العربية منذ النكبة حتى عام ١٩٦٤ : (٦٣١٦١) حادثاً ومعركة ، (٤٤٢١٠) على الحدود العربية السورية و(١٤٩٠٣) على الحدود الاردنية و٢١١٢ على حدود ج.ع.م و١٩٣٦ على حدود لبنان) ومعظم هذه الحوادث والمعارك تحمل طابع العمل العسكري المخطط له مسبقاً . ومن الطبيعي ان مثل هذه الاعتداءات وتكرار العمليات الهجومية من قبل اليهود يكسب قادتهم في جميع

المستويات خبرة قتالية كبيرة ويذكي فيهم روح الهجوم والاندفاع المستمرين .

٤) ان التبدلات الاجتماعية والانقلابات العسكرية في بعض الدول العربية اثرت على تدريب جيوشها على مستوى الضباط وصف الضباط والجنود نظراً لامتصاص جزء كبير من العمل العسكري لصالح العمل السياسي او الاجتماعي ، بينما الجيش الاسرائيلي منصرف كلياً للتدريب، الا ان التبدل الجذري في سياسة تدريب وتسليح اكبر الجيوش العربية في مصر وسوريه والعراق الذي جرى في السنوات الاخيرة، وتبنيها العقيدة العسكرية الشرقية تدريباً وتسليحاً، رفع من سوية هذه الجيوش وأبقاها في المرتبة الأولى بين جيوش منطقة الشرق الأوسط . وهذا يعني ان هذه الجيوش الثلاثة قادرة وحدها على سحق اسرائيل وتصفية القضية الفلسطينية .

٥ — المعنويات : تتوافر لدى افراد الجيش الاسرائيلي اهم عوامل رفع الروح المعنوية وهي وجود القيادة القوية والتسليح الجيد والتدريب المستمر والمتطور والانتصارات العسكرية (بمساعدة المستعمرين) ووضوح العقيدة العسكرية والسياسية المرتبطتين بالعقيدة الدينية . ومع ذلك تبقى هذه المعنويات عرضة للهزات نتيجة لتأثرها بوضع اسرائيل الاقتصادي والمعنوي الذي اخذ مؤخراً يتصف بطابع التدهور والانحلال ، ولا ينقذه من هذا الوضع المتردي الا تدخل الدول الاستعمارية الكبرى التي تمد اسرائيل بالقوة والمال والسلاح لتمكينها من الاستمرار بمهمتها الاساسية كحارس امامي لمصالحها وقاعدة عدوانية في قلب الوطن العربي تفت في عضده وتحاول تأخير كل نمو وتقدم في هذا البلد او ذاك .

٦ — التنظيم والتعبئة العامة : ان التنظيم الجيد للقوات العاملة والاحتياطية في اسرائيل ، اضف الى ذلك صغر مساحتها وتوفر خطوط المواصلات ووسائل النقل بصورة جيدة يمكّن القيادة العسكرية في اسرائيل من تعبئة ٢٥٠ ألف جندي من الرجال والنساء خلال ٤٨ ساعة ، وعندها تصبح قواتها مكوّنة

بصورة عامة من ٢٣ لواء، ثلثها ألوية مدرعة (يبلغ مجموع دباباتها حوالي الألف، بينها ٢٠٠ من طراز باتون و ٤٠٠ شيرمان و ٢٠٠ (أ. ام. اكس) و ٢٠٠ من انواع اخرى)، وطيران يبلـغ تعداده العام ٥٥٠ — ٦٠٠ طائرة بينهـا (٢٦٥ مقاتلة ، ٢٥ قاذفة، ١٥٠ تدريب، ٤٠ نقل، ٢٥ هيليوكوبتر) عدا عن اسطولها البحري وقواعدها الصاروخية ، ومع ذلك تبقى عاجزة للوقوف امـام القوات العربية اذا ما اتحدت جيوشهـا وعقدت العزم على حـل القضية الفلسطينية عن طريق الحرب .

ان المحافظة على امن الجيوش العربية وسرية تسليحهـا يحتمان عدم الخوض بتفاصيل هذه المواضيـع ، الا ان نظرة شاملة على الجدولين التاليين، وفيها تظهر قوة الطرفين من وجهة نظر الدول الغربية التي تقف الى جانب اسرائيل يتضـح لنا بأن اسرائيل ستبقى عاجزة عن اللحاق بالتسلح العربي كمية ونوعية .

اخذت المعلومات الواردة في الجدولين عن احصائيات معهـــد الدراسات الاستراتيجية في بريطانيه للعام ١٩٦٥ .

الطاقات العسكرية في البلدان العربية واسرائيل (١٩٦٥)

البلد	السكان (بالالوف)	مجموع القوات العسكرية بعد التعبئة بالآلاف	نسبة القوات المسلحة على عدد السكان	مجموع النفقات الحكومية بملايين الدولارات	الميزانية الدفاعية بملايين الدولارات	النسبة المئوية لميزانية الدفاع على الانتاج القومي
اسرائيل	٢،٥٠٠	٢٥٠	١٠	١،١٥٠	٢٧١	١٠،٣
العراق	٧،٠٠٠	٨٢	١،٢	٣٥٥	١٤٢	—
الاردن	١،٩٠٠	٦٥	٣،٤	٩٨	٥٩	١٦،٣
الكويت	٤٠٠	٥	١،٢٥	—	—	—
لبنان	١،٩٠٠	١١	٠،٥٨	١٥٦	٣١	٤،٢
ليبيه	١،٣٠٠	٥،٥	٠،٤٢	١٨٢	١٤	٢،٩
السعودية	٦،٧٥٠	٥٥	٠،٨١	٦٠٤	١٠٨	١٠،٨
سوريه	٥،٥٠٠	٨١	١،٥	—	٩٠	١١،٠
ج. ع. م.	٢٨،٠٠٠	١٩٥	٠،٧٠	٢،٤٩٥	٤٠٠	٩،١
الجمهورية اليمنية	٥،٢٥٠	٢٣	٠،٥٢	—	—	—
الجزائر	١٠،٨٠٠	٤٥	٠،٤٢	—	١٠٠	—
المغرب	٤،٠٠٠	١٩،٥	٠،٤٩	—	١١،٤	١،٤
اتحاد الجنوب العربي	٨٧٥	١٠	١،١٥	٢٤	—	—
المجموع	٧٣،٦٧٥	٥٩٧،٠		٣،٩١٤	٩٥٥،٤	

جدول القوات الارضية والجوية للعرب واسرائيل (١٩٦٥)

البلـد	مجموع القوات العسكريـة (بعد التعبئة)	عدد الدبابات العاملـة *	مجموع القوات الجوية (القاذفات)	مجموع القوات الجوية (المقاتلة) +	الميزانية الدفاعية (بملايين الدولارات)
اسرائيـل	٢٥٠،٠٠٠	٦٠٠	١٢٠	٨٠ — ١٠٠	٢٧١
الجزائـر	٤٥،٠٠٠	٢٠٠	١٢	٦٠	١٠٠
العـراق	٨٢،٠٠٠	٣٢٠	١٢	٧٥	١٤٢
الاردن	٦٥،٠٠٠	١٣٢	—	١٢	٩٥
الكويـت	٥،٠٠٠	٢٤	—	٩	—
لبنـان	١١،٠٠٠	—	٣	٥	٣١
ليبيـه	٥،٥٠٠	—	—	—	١٤
المغـرب	٦٠،٠٠٠	١٠٠	—	١٤	٩٣
السعودية	٥٥،٠٠٠	—	٦	١٢	١٠٦
سوريـه	٨١،٠٠٠	٣٥٠	٦	٩٨	٩٠
تونس	١٦،٠٠٠	—	—	—	١١
ج. ع. م.	١٩٥،٠٠٠	١،٠٠٠	—	—	٤٠٠
الجمهورية اليمنية	٢٣،٠٠٠	٨٠	—	٣٠	—
المجمـوع	٦٤٣،٥٠٠	٢،٢٠٦	٣٩	٣١٥	١،٠٨٢

* (دبابات ثقيلة ومتوسطة نقط **JC-3, T-54, T-34** ، سنتوريون **AMX-30, M-48, M-47** وشيرمان الاسرائيلية **M-4**)

+ هذا يشمل بعض القاذفات التي يمكـن استعمالها كمقاتـلات ايضـا .

القوات العربية والاسرائيلية حتـى اوائـل عـام ١٩٦٧

— لا يدخل في هذا الجدول الاسلحة العديدة التي وردت مؤخرا للدول العربية واسرائيل (الاردن وحدها اصبح مجموع طيرانها اكثر من ١٠٠ طائرة بين مقاتلة ومقنبلة) .

– لم تأخذ الاحصاءات الغربية بعين الاعتبـــار قوات منظمات الشباب العسكرية والحرس القومي والفتوة التي عمّت بعض البـــلدان العربية وخاصة سوريه ومصر .

وآخر احصاء عسكري عربي اسرائيلي لأوائل سنة ١٩٦٧ ورد في دراسة عسكرية فرنسية نشرت في المجلة الشهرية للقوات الجوية الفرنسية وأهم ما جاء في الدراسة المذكورة :

١) ان مصر قادرة على امتلاك اسلحة نووية وان على اسرائيل ان تملـــك صواريخ لتأمين التوازن .

٢) اذا ما نشب قتال على نطاق ما حدث عام ١٩٤٨ في الشرق الاوسط فستكون له عواقب وخيمة جداً على اقتصاديات المنطقة كلها .

٣) ان الوضع خلال ٥–١٠ سنوات سيكون مختلفاً على الأرجح، فمصر قادرة على امتلاك صواريخ ذات رؤوس نووية وسيكون من مصلحة اسرائيل ان تملك صواريخ لتأمين التوازن .

٤) ان اسرائيل قادرة على امتلاك سلاح نووي خلال بضع سنوات اذا ما اتخذت حكومتها قراراً بهذا الشأن . لكن اتخاذ مثل هـذا القرار قـد استبعد بالنظر الى تهديد الرئيس عبد الناصر بشن حرب وقائية .

٥) ان القيادة العسكرية المصرية تملك ١٠٠ صاروخ من الانواع التالية :
– (الظافر) وهو صاروخ من مرحلة واحـــدة يطلق من الارض الى الارض ويسير بالوقود السائل ويبلغ مداه ٣٦٠ كم ويستطيع حمل شحنة متفجرات وزنها ٤٥٠ كلغ . (القاهر) وهو كالصاروخ الاول ولكن مداه يبلغ ٦٠٠ كم ووزن شحنته ٥٠٠ كلغ . (الرائد) وهو صاروخ من مرحلتين يطلق من الارض الى الارض ويسير بالوقود السائل وينطلق الى مسافة ٧٠٠ كلم ، لكن وزن شحنته العسكرية غير معروفة .

٦) لدى اسرائيل ٤٠٠ طائرة وألف دبابة مقابل ألف طائرة و ٢٨٠٠ دبابة تملكها الجيوش العربية مجتمعة .

٧) ان المشكلة العسكرية الجوية بالنسبة لاسرائيل هي عدم وجود مساحة كافية للتراجع اذ ان البحر يقع وراءها ، غير ان وجود قوة جوية حديثة جداً لدى اسرائيل سيمكنها من مواجهة هجمات جوية تقليدية الا ان هـذه القوة الجوية ستكون عاجزة تمامـاً عن الوقوف في وجه الصواريخ الموجهة التي تسعى مصر الى التزود بها .

٨) توزيع المستعمرات والقرى المحصنة على طول الحدود الاسرائيلية وعلى خطوط المواصلات والمراكز الاستراتيجية والتعبوية الهامة، وتبلغ حوالي ١٠٠٠ مستعمرة وقرية معظمها محصنة تحصيناً عالياً، بحيث تصبح المستعمرة أشبه بنقطة استناد أو قلعة محاطة بالاسلاك الشائكة والالغام، ويمكن الدفاع عنها دائرياً ومن جميع الجهات . ان هذه المستعمرات تقلل من وضع قوات عسكرية على الحدود وتجعلها تتفرغ في الداخل للتدريب، عدا عن كونها مواقع دفاعية تصد الهجمات العربية وتؤثر في خطوط المواصلات للقوات العربية عند اختراقها الارض المحتلة وتساعد قوات العدو من استعمالها كنقاط حشد ومراكز هجوم .

وبعد ، اننا عندما نذكر نقاط القوة لاسرائيل لا بد لنـــا من التنقيب عن الجذور التي تمدها بالقوة والحياة والتي ترتكز على تربة الاستعمار المتفسخة والآخذة بالانهيار بفعل حتمية قوانين التطور الاجتماعي والانتقـال الحتمي من النظم الرأسمالية البالية الى النظم الاشتراكية المتطورة. وهذا ما جعل اسرائيل تفكر جدياً في قلب استراتيجيتها العسكرية عندما أخذت طلائع الدول العربيـــة المتقدمة تهدد قوتها وتضعف كيانها على الصعيدين المحلي والدولي . وقـد رافق ذلك صعود خط اعادة بناء الشعب العربي الفلسطيني واعداده لمعركة الثأر ومـا رافق ذلك من انطلاق العمل الفدائي الذي يسير الآن في مرحلته الاولى متخطياً

كل الصعاب . وتنوي اسرائيل احاطة الارض المغتصبة بسياج من الاسلاك المكهربة وتزرع الحدود بزنار من الالغام وتعزز حراسها بوحدات الفرسان الطائرة(المنقولة على طائرات الهيليوكوبتر)وغير ذلك من المبتكرات العسكرية الحديثة التي يريدون تركيزها في خط دافيد (أي على غرار خط موريس) . وفيما يلي وصفاً موجزاً لخط دافيد :

١ – اقامة سياج مزدوج على طول الحدود يزرع بين شقيه حقول الالغام والمصائد الكثيفة .

٢ – توصل جوانب السياج بالتيار الكهربائي وبجهاز مراقبة الكتروني اوتوماتيكي .

٣ – اقامة مركز خاص لقوات سلاح الفرسان الجوي (على غرار وحدات اميركه الخاصة في فيتنام) ينقلون بالهيليوكوبتر عند عمل ثغرة في السياج من قبل المتسللين أو المهاجمين .

٤ – دلت الدراسات العسكرية العملية ان تكاليف هذا الخط الذي سيصب على الحدود البرية الاسرائيلية من الشاطىء الى الشاطىء وعلى طول حدود لبنان وسوريه والاردن ومصر ، تبلغ٦٥ مليون ليرة اسرائيلية بمعدل مليون ليرة لكل ١٥ كيلومتراً .

لقد نوقش هذا المشروع في الكنيست اليهودي وانتقد من قبل كبار العسكريين الذين اعتبروه عملاً منافياً للعقيدة العسكرية اليهودية التي تعتبر ان الدفاع الفعال مصطلح قديم يرتبط بعهود الدفاع السلبي، ويبدو هذا المصطلح انه لا رجولي يتعارض مع روح الجيش الاسرائيلي الذي تزود بتعاليم الهجوم والحركة والانطلاق في المنطقة .

ان هذا الخط من الوجهة العسكرية يعتبر عملاً فاشلاً ولن يساعد على تأمين المهمة الرئيسية، وهي منع تسلل بمجموعات الفدائيين. كما وان فتح ثغرة أو ثغرات

فيه يعتبر عملاً عادياً بالنسبة لقوات مدربة، فكيف سيكون حال اسرائيل عندما تفتح يومياً عشرات الثغرات في اماكن متعددة ؟ لا شك ان ذلك سيربك اجهزتها الدفاعية ويوقعها في عمليات حشد أو استنفار قوات كبيرة من أجل عملية خادعة ترتكز على فتح عدة ثغرات للتسلل من احداها يقوم بهـــا نفر من الفدائيين .

الفصل السادس

ثورات العرب الفلسطينيين

ان النضال المسلح والجهاد الدامي المرير الذي خاضه الشعب العربي الفلسطيني سنين طويلة في أرض فلسطين ، والذي انتهى بأكبر كارثة عرفها العرب ، هذا النضال الذي خاضه الشعب العربي الفلسطيني بالعصي والحجارة وبالقليل من السلاح القديم الفاسد، يوم حرمهم الاستعمار البريطاني من تأمين او حمل الأسلحة الخفيفة للدفاع عن انفسهم من عدو كان يزداد قوة على قوة بفضل معونة الصهيونية العالمية وأصدقائها في انجلتره واميركه .

لقد حارب العرب الفلسطينيون منذ ١٩٢٠ على عدة جبهات ، حاربوا ضد الجبهة الاستعمارية العالمية المتحالفة في ارض فلسطين مع الانجليز واليهود. وحاربوا ضد الرجعية العربية ومؤامراتها في الوطن العربي . وحاربوا ضد الانتهازية والفئات العميلة في داخل فلسطين . وفي اقل من ثلاثين عاماً قاموا بست ثورات مسلحة وضعوا فيها خيرة ابنائهم وضحّوا بما هو غال وثمين، وفي نهاية المطاف كانت الحركة السابعة التي سميت زوراً وبهتاناً بحرب ١٩٤٧–١٩٤٨ بينما هي في الحقيقة المسرحية الدامية للعام ١٩٤٧ – ١٩٤٨ التي قامت بأدوارها الامبريالية العالمية والصهيونية تساندها الرجعية العربية في الداخل والخارج والتي كانت تهدف تسليم اثمن قطعة في الوطن العربي ، من حيث الموقع والاهمية العسكرية والاقتصادية والتاريخية ، وقلبه النابض .

لسنا في معرض لأن نقف على الأطلال نذكر ونتذكر ما حدث في فلسطين . ان ما يهمنا ما سيحدث ، اي ان نرصد ونحدد الطريق ، طريق التحرير المؤدي الى النصر .

ومع ذلك لا بد لنا من العودة ولو سريعاً الى الماضي وخاصة لثوراتنا التي انفجرت : سنة ١٩٢٠ – ١٩٢١ – ١٩٢٩ – ١٩٣٣ – ١٩٣٦ – ١٩٣٧ واخيراً كارثة ١٩٤٧ – ١٩٤٨ .

ان في هذه الثورات دروساً وعبراً قد تساعدنا فيما اذا استقصيناها بشكل علمي ومدروس لتقصير طريق التحرير. كما ان فيها مآسي وعبراً قد تساعدنا ايضاً اذا ما عرفنا دوافعها ومسببيها لتنظيف طريق التحرير . وهذا ما يقلص الزمن ويوصلنا الى الهدف بالقليل من الجهد والتضحيات .

١) الثورة الاولى ١٩٢٠ : اسبابها : نشر وعد بلفور الذي تعهدت بموجبه بريطانيه السماح لليهود بتكوين الوطن القومي لهم .

الخطوات العربية : تألفت عدة جمعيات عربيـة فلسطينية كانت تهدف جميعها الى الوقوف ضد تحقيق وعد بلفور والتصدي للانجليز والصهيونيين .

الاشتباك الاول : بدأ باضطرابات عام ١٩٢٠ بمناسبـة موسم النبي موسى ووقع عدد من القتلى والجرحى العرب واليهود .

٢) الثورة الثانية ١٩٢١ :وقعت عام ١٩٢١ في مدينة يافا وقد هاجم العرب بعض المستعمرات اليهودية وقتلوا اكثر من ٥٠ يهودياً وجرحوا ١٥٠ . وكان الانجليز في المعارك التي جرت يقفون الى جانب اليهود مما سبب خسارة ٥٠ قتيلاً و ٧٥ جريحاً من العرب . وكعادة الانجليز بعد كل تمرد واشتباك مسلح كانوا يشكلون لجان تحقيق تسفر عن القاء مقرراتها ومقترحاتها في سلة المهملات عندما تفضح مؤامراتهم ووقوفهم السافر الى جانب اليهود .

الاجراءات السياسية المتخذة من قبل العرب : عقدت عدة مؤتمرات كانت

مطالبها تنحصر باستنكار وعد بلفور وشجب الانتداب البريطاني والمطالبة بايقاف الهجرة اليهودية ثم اعطاء الفلسطينيين الحكم الذاتي ليتمكنوا من ايجاد وحدة بين فلسطين وسوريه، باعتبار فلسطين الجزء الجنوبي من سوريه، واخيراً وضع دستور فلسطيني يقف حائلاً دون تنفيذ الوطن القومي اليهودي .

الاجراءات المتخذة من قبل الاعداء : اصدار الكتاب الابيض عام ١٩٢٢ الذي اكدت فيه بريطانيه اصرارها على تنفيذ وعد بلفور مع اعطـاء ضمانات شكلية للعرب كما ورد في بعض الفقرات التي تنص : — بأن حكومة جلالته لا ترمي الى جعل فلسطين يهودية كما ان انجلتره انجليزية، وهي لا تفكر في افناء الشعب العربي او لغته او ثقافته — وان حكومة جلالته تريد ان تعطي قسماً كاملاً من الحكم الذاتي في فلسطين .

٣) الثورة الثالثة عام ١٩٢٩ : اشعلت شرارتها في القدس في٢٣/٩/١٩٢٩ .

الاسباب المباشرة : تحدى اليهود العرب المسلمين وأتوا الى حائط المبكى ليثبتوا ملكيته لهم زاعمين ان الحائط هو الهيكل القديم — ويشكل هذا الحائط حالياً القسم الغربي من الحرم الشريف وهو جزء مـن الحائط الخارجي لهيكـل سليمان القديم، ومن تقاليد اليهود زيارة هذا الحائط والتعبد بجواره.

الخطوات العربية : في القدس : هاجم المناضلون العرب اليهود عند الحائط وأحرقوا استرحاماتهم وقتلوا عدداً منهم .

في الخليل : هاجم المناضلون الحي اليهودي وقتلوا اكثر من ستين شخصاً .

في نابلس : هاجم المتظاهرون ثكنة البوليس واستولوا عليها. كما ثار المناضلون في كل من مدينة يافا وحيفا وبيسان وصفد. وقد حدثت عدة اشتباكات اسفرت عن وقوع عدد من القتلى والجرحى من الطرفين .

الخطوات المتخذة من قبل العدو : عينت الحكومة البريطانية لجنة تحقيق بحثت الأسباب المباشرة للاضرابات والتي كانت في جوهرها لا تخرج عن قضايا

الهجرة اليهودية والخطر الصهيوني المتزايد والتحيز الظاهر من قبل بريطانيه لصالح اليهود وعدم وضوح سياسة بريطانيه حول مستقبل العرب في فلسطين .

درست الحكومة البريطانية القضية من الناحية الفنية واوفدت الخبير العالمي جون هوب سمبسون . ومع ان هذا الخبير قدم دراسة تعتبر عادلة الى حد ما بالنسبة للعرب وخاصة فيما يتعلق بالهجرة والأراضي وتحسين وضع الفلاح العربي، اهملت بريطانيه هذه الدراسة وقدمت ما سمي بالكتاب الابيض الثاني عام ١٩٣٠ . ولا يختلف هذا الكتاب في جوهره عن الكتاب الاول بالرغم من وجود بعض عبارات التطمين والمرونة كما ورد في قضية الهجرة، اذ ينص الكتاب : — ان الحكومة ستراقب الهجرة ، وستحول دون دخول اليهود غير المشروع .

لقد رد العرب على هذا الكتاب بالعبارات التالية : ان ما ورد في الكتاب الأبيض عن حقوق العرب الاقتصادية والاجتماعية لا يضمن للعرب حقوقهم ولا مصالحهم الاقتصادية، ومع ذلك فانه اذا كان من شأنه ان يزيل بعض مخاوف العرب في الأراضي والهجرة والبطالة فلا يستطاع القول انه ازالها او ازال بعضها بسبب ما عرف من مقدرة اليهود في نشر الدعايات .

لم يرض اليهود بهذا الكتاب بالرغم من ان اكثر نصوصه كانت لصالحهم فانطلقوا في تظاهرات مطالبين بالغائه، وقدم وايزمن استقالته من رئاسة الوكالة اليهودية استنكاراً لهذا الكتاب . وتراجعت بريطانيه نتيجة لغضبة الصهيونيين ، مما دعا رئيس وزرائها مكدونالد الى توجيه رسالة لوايزمن في ١٩٣١/٢/١٧ سميت آنذاك بالكتاب الأسود .

لقد الغت بريطانيه في هذا الكتاب كل ما ورد من مادة تحمل في طياتها مضموناً لصالح العرب واستعاضت عنها بمحتويات جديدة تعطي لليهود ضمانات وتطمينات كافية لتعزيز موقفهم . واهم ما جاء في هذا الكتاب :

تعترف الحكومة البريطانية بجهود الوكالة اليهودية وتقدر قيمة الأعمال التي قام بها اليهود من اجل تحسين البلاد الانشائية والعمرانية . وتضع الحكومة

البريطانية على مسؤولياتها وجوب تسهيل الهجرة اليهودية واستملاكهم للاراضي الزراعية الصالحة . وتعترف الحكومة البريطانية بالاجراءات التي تقوم بهـا المنظمات الصهيونية بعدم استخدام اي عامل من العرب .

٤) الثورة الرابعة ١٩٣٣ :

ابتدأت بمظاهرات شعبية في القدس وباشتباك دموي في مدينة يافا تحولت الى ثورة عربية فلسطينية كبرى .

اسبابها : نتيجة لما ورد في « الكتاب الأسود » استمرت بريطانيه في تطبيق مخططها عن طريق مساعدة اليهود وتهويد فلسطين .

الاشتباكات : في ٣٣/١٠/١٣ قامت مظاهرات عامة في القدس أدت الى اشتباك مع القوات البريطانية وسقوط عدد من الجرحى . وفي ٣٣/١٠/٢٧ قامت مظاهرات صاخبة في مدينة يافا شارك فيها وفود من سوريه وشرق الأردن تعبيراً لوحدة النضال العربي . اصطدم المتظاهرون بالقوات البريطانية وكانوا عزلا من السلاح استعملوا الحجارة والعصي امام القوات البريطانية . لقد اسفرت النتيجة عن وقوع اكثر من ٣٠ شهيداً و ٢٠٠ جريح . وفي ٢٨/ ١٠ /٣٣ قامت مظاهرات صاخبـة في جميع انحـاء فلسطين وقرر العرب الاضراب سبعة ايام احتجاجاً على اعتقال بعض القادة والزعماء .

اخذ الانجليز يتراجعون تكتيكياً ويتظاهرون بعطفهم على مطالب العرب ووعدوا بتلبية مطالبهم حول منحهم الحكم الذاتي ، مما ساعد على تهدئة حدة التوتر واضاعة اكثر من سنتين ، لتهب بعدها الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦ .

٥) الثورة الخامسة سنة ١٩٣٦ : رافق هذه الثورة الاضراب العام وسميت بالثورة العربية الفلسطينية الكبرى .

اسبابها : ارتفعت نسبة المهاجرين اليهود الجدد سنوياً من ٩٫٥٠٠ مهاجر عام

١٩٣٢ الى ٢٦،٠٠٠ مهاجر عام ١٩٣٥ . واخذت الحكومة البريطانية تشجع انتقال الاراضي العربية الى اليهود بطرق شتى، كرفع الضرائب والاغراء في بيع الاراضي والتهديد ، اضف الى ذلك اعطاءها صلاحيات واسعة لليهود وابقاء العرب تحت تسلط الحكم الارهابي، ومنع العرب من التسلح وانزال عقوبة الاعدام على كل من يقبض وبحوزته قطعة سلاح ، في الوقت الذي كانت الحكومة البريطانية تساعد اليهود على تكديس الاسلحة والتدريب عليها وغض النظر عن الشحنات المستمرة التي كانت تهرّب لليهود بحراً من اوروبه واميركه ، بمساعدة الصهيونيين المنتشرين في معظم عواصم العالم . لم تكتف بريطانيه بهذا الحد من الاستهتار والاستخفاف بأمن العرب وسلامتهم ، بل أخذت تزود معظم المستعمرات علناً بالسلاح وعمدت على تسليح كل مستعمرة كانت تنشأ حديثاً بالأسلحة والمعدات التالية :

١٠٠ بندقية ، ٥٠ مدفع هاون ٢ انش ، ١٠٠٠٠ قنبلة يدوية هجومية ودفاعية ، ٤٠٠٠٠ طلقة بندقية ، تجهيزات عسكرية تكفي ١٠٠ — ١٥٠ مقاتلاً ، ١،٥ طن متفجرات ، بالاضافة الى وسائط التفجير من الصواعق والفتائل المختلفة ، ادوات ووسائل للتحصين كالأوتاد والأسلاك الشائكة تكفي لتحصين المستعمرة .

الخطوات المتخذة من قبل العرب : تشكلت عدة مجموعات مقاتلة في كل من حيفا وجنين ونابلس وطولكرم ، وبدأت المظاهرات تنتشر في العديد من المدن والقرى، وظهرت بوادر العصيان المدني بالامتناع عن دفع الضرائب. لقد اتصفت هذه الثورة بالشمول سيما وان بعض النجدات قدمت من سوريه ولبنان والعراق وشرق الأردن . ومع ان هذه النجدات كانت ضعيفة ورمزية الا انها وضعت البذور الأولى التي انبتت فكرة وحدة النضال العربي المسلح ضد الصهيونية والاستعمار في أرض فلسطين . وشارك الموظفون العرب في الاضراب العام وقدموا مذكرات تندد بموقف السلطات البريطانية .

لقد عمّ الاضراب جميع انحاء البلاد واستمر مدة ١٧٤ يوماً ، وكان اطول

اضراب وطني في تاريخ الحركات التحررية العربية، وأثّر ذلك في اقتصاد البلاد من جراء توقف قطاعات الاقتصاد المختلفة، وانتشر الجوع والبؤس في العديد من المدن والقرى ، الا ان الشعب الفلسطيني ظلّ صامداً كالطود الشامخ بالرغم من قلة الامكانات وندرة الأسلحة والذخائر .

الاشتباكات : اتصفت الاشتباكات والمعارك في هذه الثورة بعنفها ، وقد اظهر الثوار العرب المسلحون، بأسلحة ضعيفة جداً لا تتجاوز البندقية القديمة — حتى العثملية القديمة — مع القليل من الذخائر التي لا تكفي لاستمرار المعركة اكثر من ١٥ دقيقة ، بطولات وتضحيات خارقة وسقط منهم مئات القتلى والجرحى . وقد استشهد الشيخ عز الدين القسّام المجاهد السوري البطل الذي ترك مدينته الصغيرة جبلة وأتى الى حيفا ليؤلف جماعة من الثوار بدأت بنصب الكمائن لمهاجمة القوافل البريطانية واليهودية . لقد انتقل هذا البطل مع جماعته الى اماكن قريبة من جنين تصلح لمداهمة الخصم ، الا ان القوات البريطانية حاصرته بقوات لا تقل عن سرية منقولة معززة بالمدافع والرشاشات تمكنت من تحديد الكمين، وبعد معركة قصيرة، صرف فيها الأبطال آخر طلقة من ذخيرتهم، سقط الشيخ عز الدين القسّام شهيد العروبة والواجب مع بعض رفاقه الأبطال.

وفي القطاع الأوسط من فلسطين ظهر القائد عبد الرحيم الحاج محمد وألّف جماعة أبطال بني صعب الذين استبسلوا تحت قيادته وهاجموا العديد من المستعمرات اليهودية ونصبوا الكمائن للقوات البريطانية التي كانت تفوقهم عشرات المرات من حيث العدد والسلاح . ومع ان هذا القائد القروي لم يتخرج من أي معهد عسكري ، الا ان خططه ومناوراته التي كان ينظمها مع معاونيه وينفذها أقضّت مضاجع الخصم. ان ظهور مثل هؤلاء الابطال الذين خرجوا من مدنهم وقراهم للدفاع عن أرض اجدادهم : عز الدين القسام من مدينة جبلة على الساحل السوري ، وعبد الرحيم الحاج محمد من ذنابة القرية الصغيرة في قضاء طولكرم ، وعبدالله الشاعر من صفد وغيرهم كثير قد جعلوا حتى كبار العسكريين من اعدائهم الانجليز يعترفون ببطولاتهم وقدرتهم الخارقة في الحروب

وخاصة حرب العصابات ، وخير دليل على ذلك مـا قاله الجنرال هنري متيلاند ويلسون قائد القوات البريطانية في الشرق: « ان خمسماية من الثوار العرب الذين يحاربون في الجبال لا يمكن التغلب عليهم بأقل من فرقة بريطانية كاملة السلاح»، أي بنسبة ٥٠٠ عربي الى ١٥٠٠٠ انجليزي . وهو عدد أفراد الفرقة البريطانية آنذاك . وقد قدرت القوات البريطانية التي اشتركت في معـارك فلسطين نحواً من ثمانين ألف مقاتل تحت امرة (الجنرال) ديل ثم (الجنرال) ويفل .

موقف الحكومات العربية: وجّـه بعض الملوك والأمراء العرب،بناء على رغبة بريطانيه التي استنفذت قواها في فلسطين ، نداء الى شعب فلسطين يدعونهم فيه الى وقف الثورة والاخـلاد للسكينة « حقنـاً للدماء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ، ورغبتهـا المعلنة لتحقيق العدل ، وثقوا بأننـا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم » كما جاء في بيانهم حرفياً .

تلبية لهذا النداء تألفت لجنـة عربية عليـا من رؤساء الأحزاب والتنظيمات السياسية في فلسطين . وكان من أهم نشاط هذه اللجنـة العربية العليـا تصعيد الخلافات وابراز التناقضات بين هذه الأحزاب والكتل التي لم تكن على مستوى الثورة، لأن معظمها لم يكن يمثل رغبات الشعب الفلسطيني وطموحه أصدق تمثيل، كما كانت قواعدها بين أبناء الشعب هزيلة نظراً لضعفهـا وغموض برامجها والتواء سياساتها .

موقف بريطانيه : نتيجة لنداء بعض الملوك والأمراء العرب أرسلت بريطانيه اللجنة الملكية الى فلسطين بتاريخ ١٩٣٦/١١/١١ للتحقيق في أسباب الثورة . وكعادة بريطانيه لم تعـر تحقيق اللجنة أي اهمية ، وخاصـة فيما يتعلق بالهجرة ورغبة العرب في انهاء الانتداب البريطاني واستمرار انتقـال الأراضي لليهود . وأهم ما جاء في توصيات اللجنة المذكورة، الاقتراح الرامي الى تقسيم فلسطين الى دولة يهودية ودولة عربية، ومنطقة ثالثة تشمل القدس وبيت لحم وتمتد حدودها من نقطة شمـال القدس الى نقطة جنوبي بيت لحم ، وهذه المنطقة تظـل تحت

الانتداب البريطاني على ان لا يسري عليها تصريح وعد بلفور . الا ان العرب رفضوا التقسيم شكلا وموضوعاً . وعلى أثر ذلك عقد مؤتمر بلودان في ٣٧/٩/٨ حضرته وفود شعبية من كل من مصر والعراق وسوريه ولبنان وشرق الأردن وفلسطين . وقد اتخذ المؤتمر القرارات التالية :

فلسطين جزء من الوطن العربي ، رفض ومقاومة تقسيم فلسطين وانشاء دوله يهودية فيها ، طلب الغاء الانتداب ووعد بلفور، عقد معاهدة مع بريطانيه تضمن للشعب العربي استقلاله وسيادته ، طلب وقف الهجرة وانتقال الأراضي من العرب الى اليهود .

٦ — الثورة السادسة سنة ١٩٣٧ :

الاسباب : انكشاف الاستعمار البريطاني بشكله السافر وما أقرته اللجنة الملكية لتقسيم فلسطين والاعتراف الرسمي باغتصاب جزء من الوطن العربي .

الخطوات المتخذة من قبل العرب : أخذ السكان العرب ينتظمون تحت راية الثورة ويحتلون المدن والقرى ويهاجمون الثكنات البريطانية ومراكز البوليس ليحصلوا على السلاح . وقد سيطر الثوار على القسم الأكبر من البلاد سيطرة تامة ، وساندهم في ذلك اخوان عرب من سوريه ولبنان وشرق الأردن .

احتل الثوار مدينة القدس القديمة ووضعوا المتاريس واقاموا عدة مراكز دفاعية بامكاناتهم الضعيفة تمكنت من الصمود امام جيش مدرب ومسلح بأحدث الأسلحة. وثارت مدينة الخليل وطبريه وسيطر عليها الثوار سيطرة تامة ونسف المجاهدون عشرات من المنشآت البريطانية والبيوت اليهودية .

كانت حصيلة الاصطدامات الدامية : سقوط أكثر من ألفي شهيد عربي ، اما خسارة العدو فكانت مئتي قتيل من الجنود البريطانيين ومئات الجرحى ، وبلغت خسائر اليهود خمسين قتيلا وثلاثمائة جريح . وتأتي وراء هذه الاحداث الدامية ايام سوداء في تاريخ القضية الفلسطينية تضطرم تارة وتخبو تارة أخرى تحت وطأة ويلات الحرب العالمية الثانية التي اندلعت عام ١٩٣٩ وأثرت في القضية الفلسطينية لصالح اليهود .

موقف الحكومة البريطانية : وفقاً لخطة مدبرة أعدها الاستعمار البريطاني بالاتفاق مع الصهيونية العالمية أعلنت بريطانيه عزمها على الجلاء عن ارض فلسطين. وهنا بدأت أميركه شتى المناورات والضغط الاقتصادي على الدول الاعضاء في الامم المتحدة ليصوتوا الى صالح الصهيونيين عندما أرادوا نقل القضية الفلسطينية الى أروقة الامم المتحدة، مما أدى الى خسارة العرب لقضيتهم سياسياً ثم مادياً، اذ طالبت انجلتره الامين العام للامم المتحدة بعرض القضية الفلسطينية في دورة خاصة. اجتمع مندوبو الدول الاعضاء واستمعوا للوكالة اليهودية والى وجهات نظر بعض الفئات الفلسطينية، ثم تقرر انتخاب لجنة تحقيق دولية عادت من فلسطين بعد انتهاء مهمتها وتوجهت الى جنيف وقدمت تقريرها، الذي يدعو الى تقسيم فلسطين وانشاء دولتين يهودية وعربية، ومنطقة دولية .

موقف العرب : رفض العرب قرارات هذه اللجنة على الصعيدين الرسمي والشعبي جملة وتفصيلاً . الا ان قرار التقسيم عرض على الامم المتحدة للتصويت عليه وقد تألبت دول العالم الاستعمارية على العرب مما أدى الى الموافقة على اقراره بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩ .

قامت المظاهرات الصاخبة في جميع البلاد العربية وطالبت الشعوب العربية حماية المجتمع العربي الفلسطيني من هذه المؤامرة. وفي اجتماع للجنة السياسية للجامعة العربية عقد في ١٩٤٧/١٢/٢٨ أكدت الدول العربية بلا استثناء وقوفها صفاً واحداً الى جانب شعوبها ، من اجل النضال لدفع الظلم عن اخوانهم العرب في فلسطين وتمكينهم من الدفاع عن انفسهم وتحقيق استقلال بلادهم، وقرروا كذلك اتخاذ ما هو كفيل بشراء الاسلحة وتوزيعها على الفلسطينيين ورصد الاموال اللازمة لامداد المتطوعين .

كل هذه المحاولات والمساعدات التي أتت متأخرة باءت بالفشل وأدت الى ضياع فلسطين . في الوقت الذي أصبح لدى اليهود أكثر من ٦٠ ألف مقاتل مزودين بأحدث الأسلحة في نهاية عام ١٩٤٧، يقودهم ضباط مارسوا الحرب عندما

عملوا في الفيلق اليهودي الذي قاتل في اوروبه إبان الحرب العالمية الثانية الى جانب قوات الحلفاء ، في هذا الوقت وازاء هذا الوضع تصحو الدول العربية من سباتها فتشكل جيش الانقاذ من عشرة آلاف من المتطوعين بقيادة اللواء اسماعيل صفوت ، وقد تدنى هذا العدد الى ٣٦٣٠ متطوعاً بأسلحة هزيلة وذخيرة قليلة لا تكفي أسابيع معدودات نعرضها في الجدول التالي :

الأسلحة الخفيفة	الأسلحة المساندة	مواد ومعدات التفجر
٣٣٤ مسدساً	١٤ مدفعاً متوسطاً	٦ طن ديناميت
٧٩٣٠ بندقية	٤٥ مدفع هاون ٢ انش	٣ طن بارود أسود
٤ ملايين طلقة نارية	٣٠٠٠ قنبلة مدفعية متنوعة	٥٠٠٠ صاعق عادي
٦٠ رشاشاً		١٥٠٠ صاعق كهربائي
١٢ ألف قنبلة يدوية		٣٠ مفجر قديم
		٦٠ لفة فتيل بطيء

عند صدور قرار التقسيم كان المتوافر من هذا السلاح لدى اللجنة السياسية ٧٠٠ بندقية تقريباً، قدمت سوريه منها ٥٠٠ بندقية ، ولبنان ٢٠٠ بندقية مع عدد قليل من العتاد . وكانت هذه الكمية الضئيلة هي كل ما كان موجوداً من أصل ١٠٠٠٠ بندقية و ٢٠٠٠ رشاش و ٣٠٠٠ مسدس ومقادير أخرى من الأعتدة والمتفجرات .

ويمكن لنا تقدير الموقف العسكري بعد صدور قرار التقسيم من خلاصة التقرير الذي أعده الخبراء العسكريون، وأهم ما ورد فيه :

١) ان لدى اليهود منظمات عسكرية تضم ما لا يقل عن ٦٠ الف مقاتل مجهزين بأسلحة جديدة وعتاد وافر، ولديهم معامل للذخيرة ولتصليح السلاح، كما لديهم عدد كبير من المدربين والضباط المجربين .

٢) ان سلاح العرب ضئيل وغير صالح وقديم وان عتادهم قليل . وان العرب في المناطق التي يكتظ فيها اليهود يجابهون خطراً كبيراً ويتعرضون للقسوة والفتك فور انسحاب القوات البريطانية من فلسطين .

٣) توصي اللجنة بجعل العرب الفلسطينيين الأساس في الدفاع عن بلادهم ووضعهم في وضع مماثل للوضع الذي فيه اليهود من حيث تسليحهم وتحصين مدنهم وقراهم تحصيناً فنياً ، والاستعانة بالمتطوعين القادمين من الأقطار العربية لمساعدة الفلسطينيين .

٤) وتوصي ايضاً بوجوب مرابطة الجيوش العربية النظامية على حدود فلسطين دون دخولها، وذلك لتقوية الفلسطينيين ومساعدتهم عند الضرورة ببعض العتاد والضباط وتسلل بعض الوحدات الفنية كمتطوعين للمعاونة عند مسيس الحاجة .

الفصل السابع

الثورة النموذجية للمناضلين العرب الفلسطينيين

تعتبر الثورة العربية الكبرى ١٩٣٦ – ١٩٣٩ في فلسطين التي ضمت ثورات وحوادث سنة ١٩٣٦ و ١٩٣٧ و ١٩٣٩، والتي مهدت لها ثورة البطل العربي السوري عز الدين القسّام ١٩٣٥، الثورة النموذجية التي اظهر فيها الشعب العربي الفلسطيني بطولات وتضحيات خارقة وقدم على مذابح التضحية والفداء خلال سني هذه الثورة الكبرى اكثر من ١٤ الف شهيد. ونظراً لأهمية هذه الثورة وما قدمه الثوار العرب الفلسطينيون من خبرات وتجارب في حرب العصابات بالرغم من قلة امكاناتهم المادية والعسكرية، عندما كانوا يواجهون عدوهم الذي فاقهم اضعافاً مضاعفة بالعدد والتسليح والامكانات المادية والعسكرية، يتطلب هذا الوضع دراستها عسكرياً مع شيء من التفصيل :

قوات الطرفين

القوات الصديقة : بالرغم من عدم وجود احصاءات دقيقة ورسمية، قدر المختصون بشؤون حوادث وثورات فلسطين عدد الثوار الذين اشتركوا في ثورة فلسطين الكبرى (١٩٣٦ – ١٩٣٩) بعدد يتراوح بين ٩ — ١٠ آلاف ثائر. من هذا العدد : — ٣٫٠٠٠ ثائر تفرغوا كلياً لأعمال العصابات، ١٫٠٠٠ ثائر تفرغوا للعمل الفدائي في المدن، ٦٫٠٠٠ ثائر من سكان القرى والبادية لم يتفرغوا كلياً للجهاد بل كانوا يمارسون اعمالهم الخاصة بالاضافة لقيامهم باعمال النجدة للثوار عند نشوب المعارك.

القوات المعادية : بلغ عدد القوات الحكومية نحوا من ثمانين الفاً (٤٢ الف جندي بريطاني ، و٢٠ ألف بوليس ، و١٨ ألف يهودي من حرس المستعمرات).

كانت القوات البريطانية بامرة الجنرال ديل ، ومن ثم انتقلت قيادة هذه القوات للجنرال ويفل . وقد وزعت هذه القوات في مناطق فلسطين على النحو التالي :

اسم الفرقة واللواء	اسم القائد ورتبته	مكان التمركز	ملاحظات
الفرقة الاولى ويتبعها : ـ	ميجر جنرال ارميتاج	القسم الاوسط والجنوبي من فلسطين	قيادة الفرقة في القدس
ـ لواء المشاة الاول	الزعيم مورن	منطقة القدس	
ـ لواء المشاة الثاني	اللواء كار	منطقة يافا	
ـ لواء المشاة الثالث	اللواء ماس	منطقة القدس	قوة احتياطية
الفرقة الثالثة وتضم :	ميجر جنرال هوارد	القسم الشمالي من فلسطين	قيادة الفرقة في حيفا
ـ لواء المشاة الثالث عشر	اللواء بريتمن	منطقة الناصرة	تعزز اللواء قوة من قوات حدود الاردن
ـ لواء المشاة الخامس عشر	اللواء بومان	منطقة حيفا	
ـ لواء المشاة السادس عشر	اللواء ايفنس	منطقة نابلس	

كانت القيادة العامة للقوات البريطانية في فلسطين وشرق الاردن في القدس. (انظر المخطط رقم ٩) وكان يعزز هذه القوات اسراب من الطائرات المقاتلة كان يتراوح عدد طائراتها بين ٣٠ ـ ٣٥ طائرة ، تمركز قيادتها في القدس بقيادة كومندور الطيران (هيل) . وكانت تتمركز في مدينة حيفا كتائب مدفعية الهاورز وقطعات الدفاع عن الخطوط الحديدية وثلاث كتائب مشاة منقولة .

توزيع القوات البريطانية ١٩٢٦-١٩٢٩

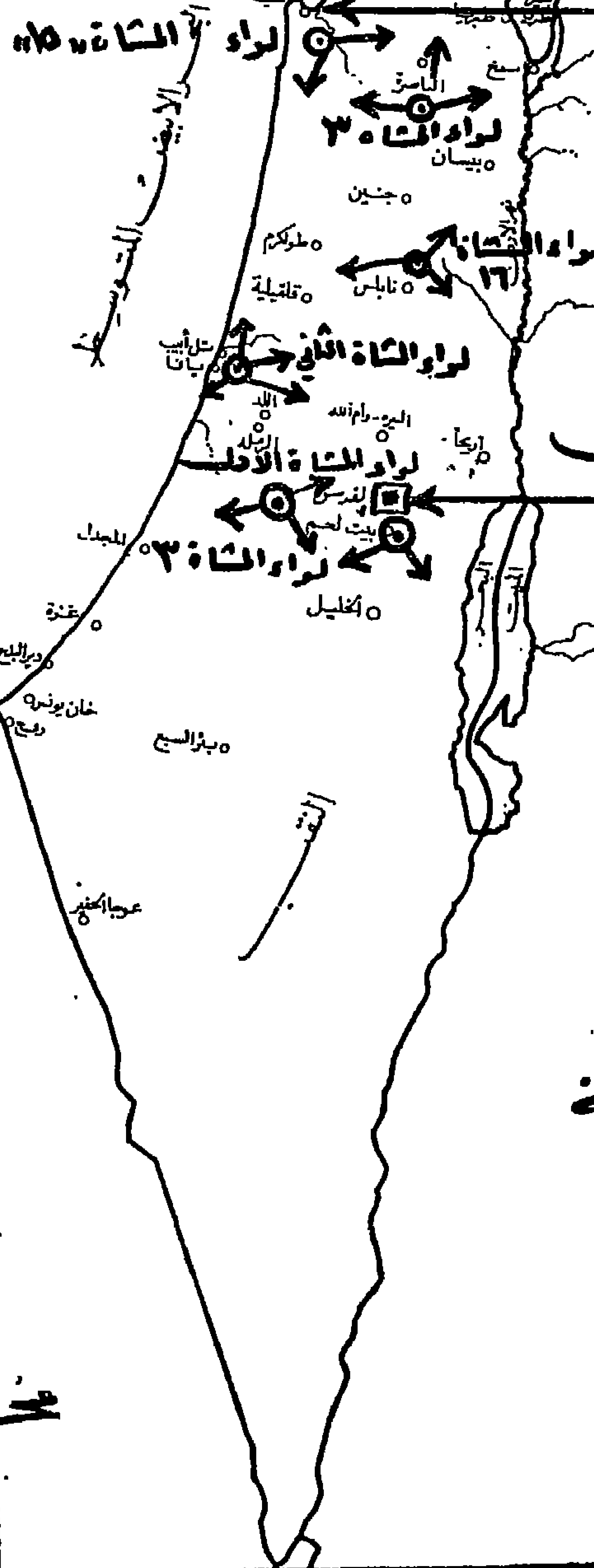
مخطط توزيع القطعات

١) فرقة "١"
- لواء مشاة ١ القدس
- " " ٢ يافا
- " " ٣ منطقة القدس

٢ الفرقة "٣"
- لواء مشاة (١٣) الناصرة
- لواء مشاة (١٥) حيفا
- لواء مشاة (١٦) نابلس

القيادة العامة لفلسطين وشرق الاردن (القدس)

كتائب مدفعية ودفاع عن الخطوط الحديدية (حيفا)



الفرقة الثالثة
مركز القيادة حيفا

الفرقة الاولى
مركز القيادة القدس

الاصطلاحات
- مركز قيادة الفرقة
- اماكن توزيع لواء
- القيادة العامة

مخطط رقم "٩"

القيادة والتنظيم

ظلت القيادة منذ اندلاع الثورة العربية الكبرى في فلسطين حتى انتهائها تعاني ضعفاً ملحوظاً يعود لعدة اسباب اهمها عدم توافر القادة العسكريين المختصين ، واستمرار المشاحنات والصدامات بين قادة الثورة التي كانت تتحول آنذاك الى اشتباكات مسلحة بينهم جرياً وراء المراكز القيادية الاولى . ومثل هذا الوضع ينعكس على التنظيم الذي كان بدائياً يتخذ اشكالاً محلية مختلفة ينظمها كل قائد حسب امكاناته المادية وعلاقاته بين اخوانه المناضلين . وفي اوائل السنة ١٩٣٨ بعد ان امتدت الثورة ، وتجمعت لدى القادة بعض التجارب اعيد تشكيل القيادة بحيث اصبح يتلاءم لحد ما مع ظروف القتال والاوضاع المحلية في البلاد . تقرر ان يكون مركز القيادة العامة في مدينة دمشق متخذة الطابع السري .

تألف مجلس القيادة العامة من القائد العام يعاونه عدد من المساعدين لادارة شعب القيادة التي اتخذت الاسلوب الافرنسي . وقد ألحق في القيادة بعض المستشارين من قدماء المجاهدين السوريين .

اختصاصات القيادة العامة :

١) زيارة القائد العام لمناطق القتال مرة او مرتين في السنة حيث يمكث حوالي الشهر متجولا في مناطق العمليات الجبلية .

٢) اعطاء الاوامر على الطبيعة اثناء الجولة والتشاور مع القادة المحليين على مشاريعهم العسكرية المقبلة .

٣) شراء الاسلحة والذخائر من خارج فلسطين وتأمينها للثوار .

٤) تأمين المساعدات المادية لكل ثائر متفرغ لشؤون القتال .

٥) الاشراف على شؤون المحاكمات للذين يخرجون على مبادىء الثورة .

٦) اصدار النشرات والبلاغات الحربية عن سير المعارك .

قيادات المنطقة : قسّمت فلسطين الى مناطق عمليات وفقاً لتقسيمات الادارة آنذاك مع ادخال شيء من التعديل، وكانت هذه المناطق تشمل: منطقة حيفا ، منطقة القدس، منطقة نابلس، منطقة الخليل، منطقة يافا ، منطقة غزة . قسّمت القيادة المنطقية مهماتها بين القيادات المحلية حيث اعطت القيادة لقادة محليين كان ينوب كل واحد منهم عن القائد العام للمنطقة بالنسبة لشؤون قيادته المحلية .

على سبيل المثال قسّمت مهمات منطقة حيفا الى خمس قيادات محلية على النحو التالي :

القيادة المحلية لجبل الكرمل ، ولقضاء عكا ، ولقضاء شفا عمرو ، ولقضاء صفد ، ولقضاء الناصرة وطبريه .

التشكيل : كانت قيادة المنطقة تتكون من القائد العام للمنطقة والمعاون و (٣ — ٥) ضباط بينهم من يقوم بادارة الشؤون الذاتية ، وآخر يقوم بشؤون العمليات والمخابرات ، وثالث يقوم بالشؤون المالية والتموينية . هذا بالاضافة الى الاختصاصيين في الالغام والمتفجرات والشؤون السياسية والاعلامية . وكانت التشكيلة السائدة بين الثوار على مستوى الفصيل الذي يضم ثلاث حضائر، ويتراوح تعداد الفصيل بين ١٥ — ٢٥ مناضلاً . وكان يرابط في كل منطقة من ١٠ — ٢٥ فصيلا مختلف التنظيم وعدد افراده غير ثابت .

الشؤون الادارية: كان اطعام الثوار يؤمَّن عن طريق سكان القرى مدفوعين بكرمهم وشعورهم بالواجب الوطني . اما السلاح فكان المناضل هو المسؤول عن تأمينه وصيانته. وعندما اصبحت امكانات القيادة العامة جيدة تمكنت من تأمين السلاح والذخيرة لعدد كبير من الثوار بدون مقابل .

الرواتب : لم يوضع نظام معين للرواتب بل اكتفت القيادة بدفع مساعدات شهرية تقدر من جنيه الى ست جنيهات لكل مناضل متفرغ ومحتاج . وكانت

تدفع بصورة عامة على النحو التالي : ٢ جنيه للجندي ، ٤ جنيهات لآمر الفصيل او الكاتب في القيادة ،٥ جنيهات للمساعد ، ٦ جنيهات للقائد . وكانت المصادر المالية تجمع من الاهلين بواسطة لجان محلية تتجول في القرى والمدن لجمع التبرعات حسب الأوضاع المالية لكل متبرع .

المقاومة الشعبية ومهماتها : جنباً الى جنب وحدات الثوار ، كانت تقاتل وحدات المقاومة الشعبية التي يشكلها قائد المنطقةمن ابناء القرى، بدون ان تقدم لهم المساعدة المالية او السلاح، اذ كانوا في معظم الأحيان يقومون هم بتأمينه. اما اعمال وحدات المقاومة فكانت تنحصر ضمن المهمات التالية :

١ – تأمين اعمال النجدة في الاماكن التي تنشب فيهـا المعارك بين الثوار والانجليز .

٢ – القيام بالاغارات على المستعمرات اليهودية ومراكز البوليس بتنسيق مع القيادات المحلية .

٣ – إشغال العدو بمعارك جانبية لتخفيف الضغط عن القيادة اثناء اندلاع معارك كبيرة .

٤ – فتح معارك الالهاء لتوزيع قوى العدو على جبهـات عديدة عندمـا كانت القيادة تنوي القيام بهجوم او عملية حربية كبيرة .

٥ – تأمين مؤخرات وحدات الثوار عند قيامهـا بالهجوم على الدوريات والمستعمرات والمعسكرات التابعة للجيش البريطاني .

٦ – تأمين نقل الذخائر والغـذاء للثوار بمختلف وسائط النقل المتوافرة ، عندما تضطر وحدات الثـوار التمركز في قواعد ثابتة في الجبال او المناطق غير السالكة .

ظروف النضال التي تعرض لها الشعب الفلسطيني اثناء الثورة: الى جانب الأزمة الاقتصادية التي عانتهـا فلسطـين طيله سنوات الثورة وانتشار البطالة

والجماعة النسبية التي انتشرت في عدد كبير من القرى، كانت الحكومة البريطانية المنتدبة تلجأ الى أشد انواع العنف والارهاب لاخماد الثورة . نذكر من الوسائل العديدة التي لجأت اليها :

– اصدار احكام الاعدام والسجن المؤبد لأقل التهم التي تثبت ان صاحبها تعامل مع الثوار .

– السجن مع الاشغال الشاقة لأبسط المخالفات ، نذكر على سبيل المثال : ٥ سنوات مع الاشغال الشاقة لحيازة ١٢ رصاصة . سنتين لحمل مدية ، ١٢ سنة لحيازة قنبلة .

– نفي رجالات اللجان القومية الى معتقلات عوجا الحفير وصرفند .

– فرض منع التجول في المدن والقرى مدة كانت تتراوح بين ١٢ – ٢٢ ساعة يومياً .

– هدم او نسف اي بناء تقتنع الحكومة انه قد اطلقت منه رصاصة. نتيجة لذلك هدمت في مدينة يافا فقط (٢٢٠) منزلاً كان يسكنها اكثر من (٤٥٠) عائلة عربية ، كما فعلت عندما هدمت المدينة القديمة في يافا المطلة على مينائها .

– فرض العقوبات والغرامات المشتركة على سكان المدن والقرى .

الاستراتيجية والتكتيك

أ – **الاستراتيجية :** لم يتمكن قادة ثورة ٣٦ – ١٩٣٩ من وضع خطوط واضحة لاستراتيجية العمل العسكري في فلسطين وذلك يعود لعدة اسباب أهمها عدم وجود قادة عسكريين اخصائيين على مستوى قيادة عمليات حربية واسعة وتطوير الثورة الكبرى ورسم مراحلها وآفاق تطورها وانتقالها من مرحلة دنيا الى مرحلة عليا .

لقد علمتنا تجارب الثورات ان كل تجربة تحريرية تمر بمراحل ثلاث يبدأ فيها

الثوار في المرحلة الاولى بتثبيت البؤرة الثورية او الخلية الحية التي تتفاعل وتأخذ بالانتشار عمقاً واتساعاً، ثم تأتي مرحلة توازن القوى، وأخيراً المرحلة النهائية التي تتمكن القيادة فيها من رفع مستوى النضال للمرحلة العليا، حيث تتجاوز قوات الثوار قوات العدو، ويبدأ بتشكيل الجيش الشعبي او جيش التحرير الذي يقوم بانزال الضربة الحاسمة وكسب الحرب. ومن الطبيعي ان كل مرحلة من هـذه المراحل تحتاج الى دراسة شاملة لقوات الطرفين والتنبؤ المسبق بمعظم الاحتمالات والاحداث المرتقبة التي على ضوئها تتمكن القيادة من تبديل او تعديل الخطة الاستراتيجية العامة .

كانت اهداف الثورة الاستراتيجية واضحة وخاصة في اطارها السياسي الذي يهدف الى منع الهجرة اليهودية اطلاقاً، واجتثاث ركائز الصهيونية، وايقاف انتقال أراضي العرب لليهود بصورة جذرية ثم انشاء حكومة عربية وطنية مسؤولة امام مجلس نيابي. ولم يكن ممكناً بأي حال من الاحوال تحقيق اي من هذه الاهداف طالما استمر وجود قوات بريطانية كبيرة في فلسطين وبقيت البلاد تحت الحكم البريطاني، ولو ان هذا الحكم كان يحمل في شكله الوصاية او الانتداب وغير ذلك من مبتكرات الدبلوماسية الغربية .

وكان طريق الثورة الشعبية الشاملة وتحويلها الى حرب تحرير وطنيـة هو الاسلوب الوحيـد الذي كان على الشعب العربي الفلسطيني (تسـانده شعوب الدول العربية المجاورة) اتباعه. إلا أن تذبذبات السياسات الداخلية وانتهازية بعض الزعماء السياسيين المحترفين في فلسطين وسقوط قسم منهم على عتبات العمالة والخيانة، مضافاً الى ذلك النطاق العربي حول فلسطين الذي كان يتألف من دول بعضها مستعمر والبعض الآخر شبه مستعمر . اما على المستوى العالمي فقد كانت القضية الفلسطينية بعيدة عن كل عطف أو تأييد .

هذه الأوضاع ساعدت على تعقيـد القضيـة الفلسطينية وخلق العقبـات والمصائب التي كانت تتراكم أمـام القيـادات المسؤولة عن وضـع الخطوط الاستراتيجية الواضحة للثورة العربية الفلسطينية سابقاً ولحرب التحرير لاحقاً .

ومجمل القول ، ان العوامل التي حالت دون وضع الاستراتيجية الواضحة للثورة العربية الكبرى في فلسطين كانت ذاتية وموضوعية . ومن المؤلم حقاً انها كانت تحمل بصورة عامة ايام الثورة الطابع المحلي ، اما اليوم فقد أصبحت حرب التحرير الفلسطينية تحمل طابعاً عربياً ازداد تعقيداً وصعوبة عن ذي قبل بالرغم من تحرر معظم الدول العربية ونمو امكاناتها البشرية والاقتصادية وقدرتها العسكرية .

ب – **التكتيك** : نظراً لعدم الوضوح التام للخطوط الاستراتيجية للثورة الكبرى ، انعكس ذلك على التكتيك الذي سلكه الثوار العرب الفلسطينيون باعتبار ان التعبئة هي جزء من الاستراتيجية ترتبط بها ارتباطاً وثيقاً وتحدد الطرق والوسائل والأساليب والأشكال المتبعة في القتال . وهذه العناصر الهامة الأخيرة لم تجد لها قاعدة صلبة في الخطة الاستراتيجية العامة . لهذا كان قادة الثورة يقعون في الخطأ التقليدي وهو الخلط بين عملية استراتيجية وأخرى تكتيكية، كأن يحكموا مثلاً على الوضع العام للثورة نتيجة لانتصارهم في معركة محلية معينة، علماً بأن مثل هذه المعركة وغيرها مرتبط بنسبة تأثيرها على مجموع الأهداف التي تحدد الخطة الاستراتيجية العامة للثورة، وقد نظمت، كما ألمحنا سابقاً، بطريقة بعيدة عن الاسلوب والتخطيط العسكري والعلمي المدروس .

نتيجة لعدم توافر الخبرة العسكرية والنقص في القادة على كل المستويات ، وعدم تكافؤ قوات الطرفين، كان ينقص الثوار العرب الفلسطينيين المرونة الزائدة واتقانها وفقاً لطبيعة الارض التي كانوا يقاتلون عليها ، يستثنى من ذلك وحدات الثوار التي قاتلت في المناطق الجبلية . يضاف الى ذلك عدم تنوع المهمات حيث اقتصرت بصورة عامة على الكمين والاغارة وعمليات التخريب على نطاق ضيق .

ان طبيعة العدو وامكاناته المادية ودرجة معنوياته وقابلية افراده للقتال – ونعني بذلك العدو المتحالف (القوات البريطانية واليهودية) – كل ذلك لعب دوراً هاماً في اعطاء تكتيك الثوار الشكل المحدود ، وفرض على قياداتهم التقيد

باستخدام أساليب معينة كانت مطابقة الى حد ما لظروفهم الخاصة والعامة وامكاناتهم المحدودة .

بالرغم من هذه الأوضاع الصعبة والامكانات المحدودة تمكن الثوار من تطبيق أهم الأسس التكتيكية، كسرعة الحركة والتنقل وتجنب التطويق واللجوء الى الحيلة والخداع واتقان عمليات الكمائن وتطبيق مبدأ المفاجأة واجراء التحركات الليلية لتفادي انكشاف وحداتهم من قبل الطيران الذي نشط في الفترة الأخيرة من الثورة .

ان أهم الأهداف التكتيكية التي كان الثوار يركزون هجماتهم واغاراتهم عليها بقصد اضعاف قوى العدو المشترك هي :

١) القوافل العسكرية البريطانية ودوريات البوليس البريطاني .

٢) الاغارة على معسكرات ومستودعات الجيش البريطاني .

٣) الهجوم المحضر على أماكن تجمع اليهود ولا سيما المستعمرات ومراكز الحراسة والمرافق الاقتصادية اليهودية .

٤) نسف أنابيب البترول التي كانت تمتد بين بيسان وحيفا وتدميرها .

٥) نسف الجسور والسكك الحديدية .

٦) تخريب الطرقات وسائر خطوط المواصلات .

٧) الاغارات على دوائر الحكومة والمصانع والمتاجر اليهودية .

٨) تخريب المحاصيل الزراعية وقطع الأشجار المثمرة في المزارع اليهودية .

٩) الهجوم على مستودعات الأسلحة للجيش البريطاني بغية الاستيلاء على الأسلحة والذخائر .

١٠) مهاجمة البنوك والمؤسسات المالية الحكومية واليهودية للحصول على الأموال اللازمة لتمويل الثورة وخاصة شراء الأسلحة والذخائر .

نماذج لمعارك ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩

لا يمكننا في هذا الكتاب إعطاء صور ونماذج تفصيلية عديدة عن المعارك المحضرة او المرتجلة التي كان يقوم بها المناضلون العرب الفلسطينيون في ثوراتهم ، وقد بلغت مئات المعارك والاشتباكات والكمائن. الا انه بالامكان اعطاء بعض النماذج لهذه المعارك التي كانت تتشابه باسلوبها وطريقة تنفيذها واهدافها ، وهي في جوهرها لم تخرج عن اطار تنظيم الكمائن لضرب قوافل القوات البريطانية او القيام باغارات سريعة على المستعمرات اليهودية والثكنات العسكرية ومراكز البوليس .

كان الثوار ينضمون الى وحدات منظمة ثابتة او مرتجلة آنية (تؤلف عند قيام النجدات) يقودهم قادة متمرسون على القتال نتيجة لخبرة اكتسبت عملياً في حقل المعركة. ومن الطبيعي ان امثال هؤلاء القادة كانت تنقصهم الخبرة العسكرية الفنية، الامر الذي كان يوقعهم في بعض الاحيان بأخطاء فادحة عند وضع الخطة، ومع ذلك اظهر بعضهم مقدرة فائقة في وضع الخطط المدروسة على مستوى الكمين او الاغارة بالرغم من عدم حصولهم حتى على الحد المتوسط من الثقافة والتدريب العسكريين .

معركة نور شمس : كمين نهاري مدبّر

قاد هذه المعركة المجاهد عبد الرحيم الحاج محمد الذي قاد عشرات المعارك في الثورة العربية الفلسطينية الكبرى (٣٦ – ١٩٣٩) بأسلوبه وطريقته الفذة في التخطيط لكل معركة وتنفيذها بجرأة ومرونة ، تلك المقدرة التي فسحت الطريق أمام هذا القائد الشجاع لقيادة الثورة الكبرى ، مدة عام انتهى بسقوطه شهيداً في آخر معركة خسرها غدراً عندما طوقته القوات البريطانية مع بعض رفاقه .

مكان المعركة : طولكرم – نابلس – نقطة نور شمس .

الوقت : الساعة ١٠ صباحاً ، يوم ٢٢ / ٦ / ١٩٣٦ .

الهدف : تدمير قافلة سيارات يهودية تحرسها قوة محمولة بريطانية .

حجم القوى :

القوات الصديقة : فصيلتان مجتمعتان من الثوار بلغ مجموعها ٥٠ مناضلاً ، مسلحين بالبنادق الحربية المتنوعة الصنع، معززين بثلاثة رشاشات خفيفة وبعض القنابل اليدوية وكمية محدودة من المتفجرات .

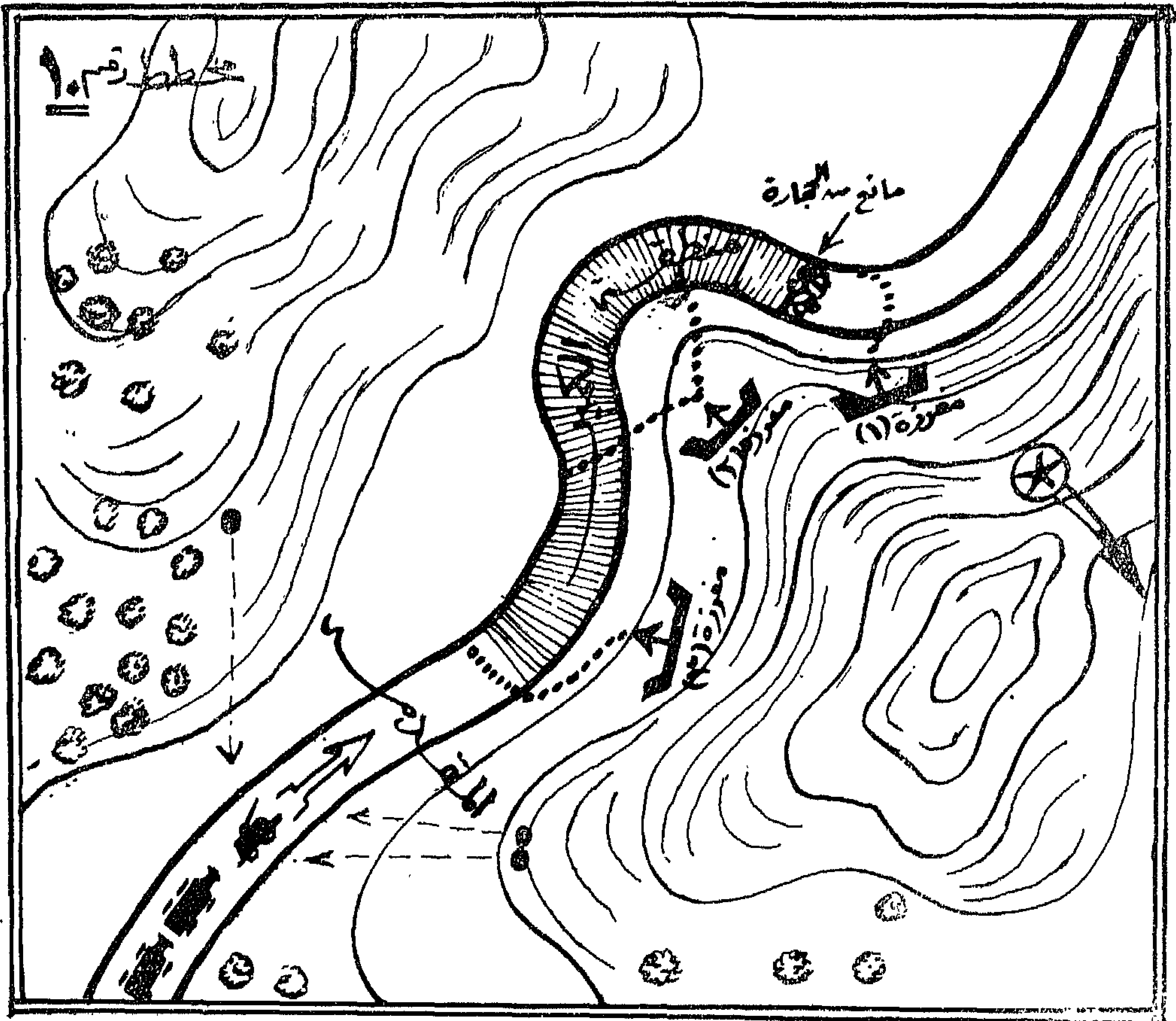
القوات العدوة : قافلة يهودية مكوّنة من ست سيارات ركاب يحرسها فصيل مشاة بريطاني منقول ومعزز بصفحتين . قدّر عدد اليهود والجنود البريطانيين بـ ١٧٠ – ٢٠٠ فرداً . عززت المعركة بثلاث طائرات حربية جاءت بناء على طلب النجدة من قبل القائد البريطاني المرافق لقوات القافلة ، وعند وصول هذه الطائرات القت قنابلها على مراكز الثوار . قدمت نجدة من البريطانيين قدّرت بفصيلين منقولين انطلقا من مدينة نابلس . تمكن الثوار من اشغال هذه النجدة ومنعها للوصول الى ارض المعركة بواسطة كمين نصب لها قرب دير شرف .

خطط وترتيب الجانبين : بعد ان فتش القائد عبد الرحيم الحاج محمد رفاقه كعادته ووزع عليهم احاديثه المشجعة شرح لهم خطة الكمين على الطبيعة وعيّن المراكز الملائمة للمفارز حيث قسّم قوته الى ثلاث مفارز وحدد لكل مفرزة اتجاه خطوط نيرانها، واسلوب حركتها لمنطقة مصيدة الكمين، ومكان التجمع بعد انهاء العملية ، وغير ذلك من الشؤون الادارية بأسلوب واضح .

وزعت قوة الثوار على الشكل التالي : (انظر المخطط رقم ١٠) .

– مقدمة الكمين : جنديان على يمين الطريق وثالث على يساره ، في نقطتين مخفيتين ومموهتين . اعطيت لهؤلاء الجنود مهمة الاستماع والمراقبة واطلاق ال[illegible] عندما تدخل آخر سيارة للقافلة ضمن منطقة الكمين . (انظر [illegible] ١٠ مؤشرة بالخطوط) .

معركة نور شمس
«كمين مدبر»



الرموز

.....	مسلك للمغاوير لأرضية القتل
	مفرزة
	سيارة ركوب
	سيارة مصفحة
	جندي راصد
	منطقة الكمين
	مانع سد الحجارة
	شجر
	مكان التجمع واتجاه الانسحاب

وزّعت قوة الثوار الى ثلاث مفارز :

المفرزة (١) مهمتها تغطية مقدمة القافلة وحصرها بالنيران من الأمام .

المفرزة (٢) مهمتها ضرب قلب القافلة بعد وقوعها في المصيدة .

المفرزة (٣) مهمتها ضرب مؤخرة القافلة .

وقد اختار القائد مكانه في مركز المفرزة (٢) .

كانت قوة العدو تسير على الطريق بمسافة ٢٥ متراً بين السيارة والأخرى ، تحرسها سيارة مصفحة وسيارتان محملتان بالجنود البريطانيين .

خطة الكمين: ان اختيار الوضع كافٍ جيداً لأن القائد وجده مناسباً لتحقيق مبدأ تغطية جميع المنافذ الممكنة واعطاء الكمين عمقاً مناسباً كما وان الحماية كانت مؤمنة في كافة مراحل الكمين .

كان مجمل الخطة الانتظار في وضع الاستعداد حتى وصول القوة المعادية الى نقطة نور شمس على المنعطف المناسب للكمين . تصطدم هذه القوة بالمانع المهيأ مسبقاً، وكان عبارة عن قطع من الحجارة (تظهر للعدو بصورة مفاجئة عندما تصل مقدمته للمنعطف) ثم تفتح نار الانذار من قبل جنود مقدمة الكمين.

سير المعركة : استمرت المعركة ٧ ساعات وكان مجمل سير حوادثها على النحو التالي :

— توقفت قافلة السيارات المحروسة عند النقطة المعينة من قبل الثوار ونزل بعض الجنود لازالة المانع من طريق القافلة .

— أعطي الانذار بالهجوم من قبل مقدمة الكمين .

— انقض الجناحان: المفرزة (١)والمفرزة(٣) على مقدمة القافلة ومؤخرتها .

— أخذت المفرزة (٢) تتقدم الى قلب القافلة بالحركة والنار وتدعم المفرزة (١) و (٢) بمفرزة الرشاشات الخفيفة التي كانت تغطي الهجوم بنيرانها الجبهية والجانبية .

— ارتبك العدو وأخذ ينشر افراده على المرتفعات المقابلة لمراكز تمركز الثوار تاركاً السيارات والذخائر تحت رحمة الثوار ، وقد بدأ القائد البريطاني يطلب النجدات حيث وصلت ثلاث طائرات حربية لسماء المعركة، اما نجدة المشاة فلم تصل لوقوعها في كمين نصبه الثوار في دير شرف كما ذكر أعلاه .

نتائج المعركة :

— خسر العدو ما يقارب الخمسين قتيلاً .

— اسقط الثوار طائرة حربية .

— دمرت ثلاث سيارات وقتل ركابها .

— كانت خسائر الثوار طفيفة لم تتجاوز ثلاث شهداء وسبعة جرحى .

معركة ابو شريتح: كمين محضّر

المكان : هضبة متوسطة الارتفاع تسمى ابو شريتح تبعد حوالي اربعة كيلومترات الى الجنوب الغربي من ترشيحا ، وتشرف على احد منعطفات طريق سحماتا — الجرف — الكابري — عكا .

الوقت : ربيع سنة ١٩٣٦ .

الهدف : ضرب قافلة تقل بعض القوات البريطانية وبرفقتها احد الضباط العرب العملاء .

حجم القوى

القوى الصديقة : ٣٥ مناضلاً من القرويين معظمهم من قريتي بجدل الكروم والبروة . اسلحتهم مختلفة الصنع والعيارات ، منها الألمانية القديمة والانجليزية والعثملية (ام رمانة) .

القوة العدوة : جنود مشاة في سيارتين يقدر عددهم بـ ٢٤ جندياً .

بعد الاشتباك الاول قدمت الى مكان المعركة عشرون سيارة أخرى .

خطط وترتيب الجانبين : ترك المناضلون مفرزة مؤلفة من خمسة رجال تمركز في النقطة (أ) يسار المرتفع المشرف على منعطف الطريق .

كلفت هذه المفرزة برصد الطريق المؤدي الى الكابري – مكان قدوم قوافل العدو .

أعطيت لها مهمة اشغال العدو والانذار عند ظهور مقدمة القافلة .

تمركزت القوة الضاربة وعددها ٣٠ مناضلاً في النقطة (ب) يمين المرتفع المذكور ، الفرجة بين المناضل والآخر ٣ – ٥ أمتار ، كان التمويه جيداً .

القافلة الاولى سيارتان في وضع عادي ، المسافة بين الأولى والثانية ١٥ متراً .

قافلة النجدة في وضع التأهب للقتال ، المسافة بين السيارة والأخرى (١٥– ٢٠) متراً .

خطة الكمين :

حصر القافلة بين النقطتين (أ) و (ب) .

اطلاق عدد من الطلقات بقصد ارباك العدو عند وقوعه في الكمين .

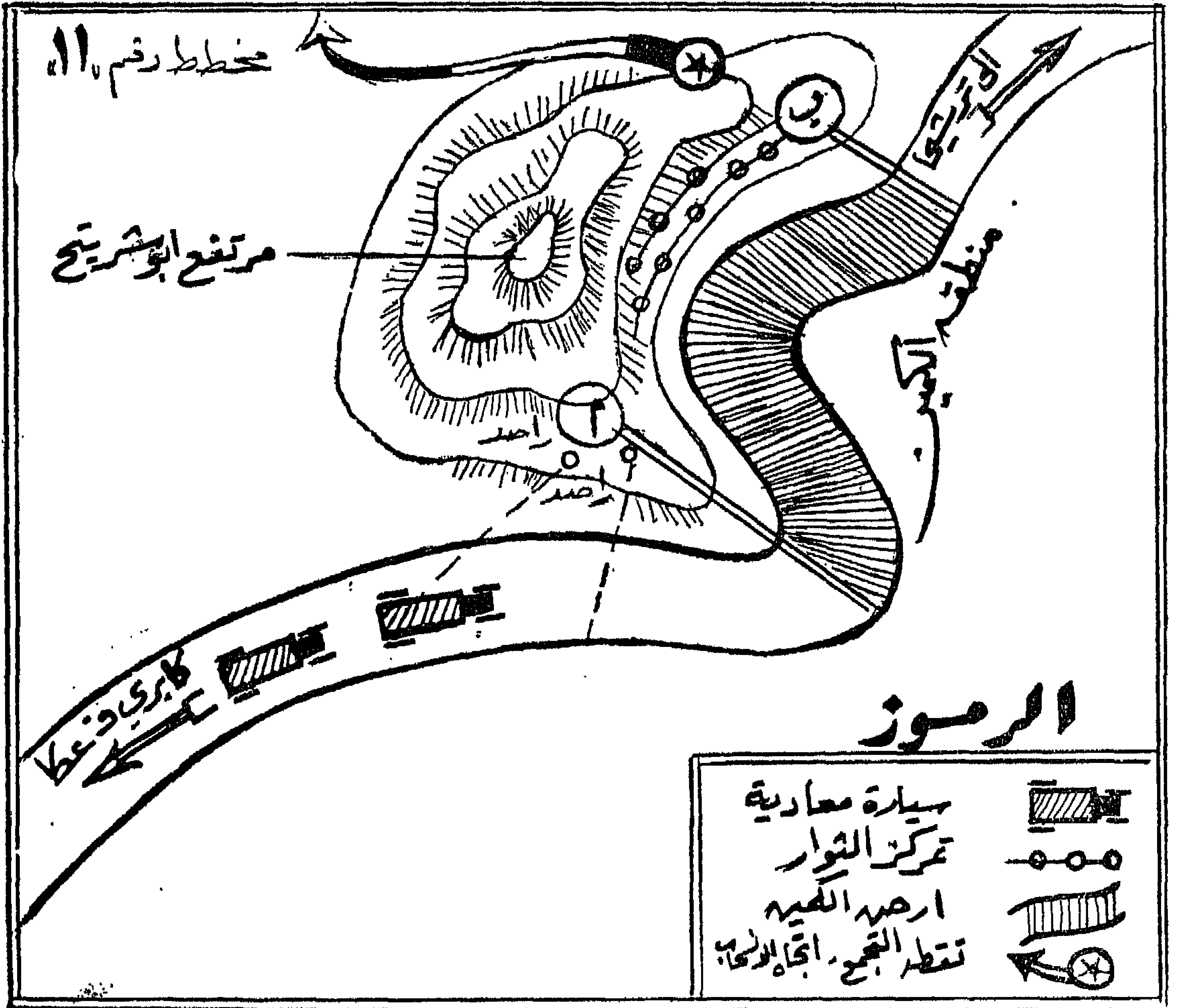
بعد توقف القافلة ينقض المناضلون المتمركزون في النقطة (ب) على السيارتين.

سير المعركة: في تمام الساعة الواحدة والنصف وصلت السيارتان الى المنعطف (انظر المخطط رقم ١١) فتركتها مفرزة الرصد الى ان اصبحتا بين النقطتين (أ) و (ب) .

اطلق احد المناضلين عياراً نارياً بغية ارباك العدو واعطاء اشارة للقوة الضاربة في (ب) .

توقفت السيارتان ونزل الجنود الانجليز منها آخذين الارض في وضع الدفاع في الجهة المقابلة للمرتفع .

معركة ابو شريتح



بدأ تبادل الطلقات النارية اكثر من ٤٥ دقيقة دون ان ينقض المناضلون على القافلة .

وصلت نجدة للعدو مؤلفة من عشرين سيارة وكان يرافق القوة الضابط العربي العميل ، وفي الوقت نفسه اخذت نجدات الثوار تتواجد حول الكمين من القرى المجاورة بحيث اصبح في ارض المعركة ما يعادل سريتين من الانجليز مقابل ١٣٠ مناضلاً .

حاول الانجليز الاستيلاء على المرتفع الذي كان يرابط عليه الثوار اكثر من مرة وكانوا يفشلون بفضل بسالة الثوار وتعزيز موقفهم بعد ان وصلتهم النجدات .

استمرت المعركة دون الوصول لمرحلة الانقضاض حتى الساعة الثامنة مساء حينما اضطرت القوات البريطانية للانسحاب خوفاً من عملية التطويق .

نتائج المعركة :

٢٠ قتيلاً من الانجليز وثلاثين جريحاً .

خسر الثوار شهيدين وجرح خمسة .

الفصل الثامن

الاعمال الفدائية ١٩٤٧ ــ ١٩٤٨

بدأ العرب الفلسطينيون يدركون بشكل جدي خطورة الموقف، وما يبيته الاستعمار البريطاني من مؤامرة كبرى تؤدي الى تسليم وطنهم للصهيونيين في اواسط ١٩٤٧ ، الامر الذي دعاهم لاتخاذ تدابير دفاعية واجراءات عملية للدفاع عن وطنهم، وذلك بتدبير المال والسلاح وطلب النجدات من الاقطار العربية المجاورة، والسعي مع الدول العربية لامدادهم بالقادة العسكريين. لقد لبى العرب اخوانهم في فلسطين وساعدوهم على تأليف قيادة الجهاد المقدس . وشارك الضباط السوريون والمصريون والعراقيون بتكوين اركان هذه القيادة وبدأوا في اعداد الخطط والبرامج وتحديد الاهداف العسكرية للعدو التي يجب ضربها، وقد بلغت نيف وثلاثة آلاف هدف ، نظّم لمعظمها اضباراتها الخاصة وأرفقت بالمستندات والخرائط العسكرية مع التفصيلات الفرعية المتعلقة بتنفيذ احتلال الهدف او تدميره وما يلزمه من الرجال والعتاد والسلاح . وبالرغم من قلة الامكانات وضعف القيادة وعدم ترابط فروعها، فقد تمكن المجاهدون من تحقيق بعض هذه الاهداف مظهرين بطولات خارقة وتضحيات جلى .

كان المجاهدون العرب القادمون من الاقطار العربية يعملون جنباً الى جنب مع اخوانهم المجاهدين الفلسطينيين . وفي خريف العام ١٩٤٧ استدعى مجلس الجامعة العربية الذي انعقد في عاليه (لبنان) لجنة من الخبراء العسكريين من الجيوش العربية، وطلب اليهم دراسة الموقف ووضع تقرير للدفاع عن فلسطين ،

فأعد العسكريون هذا التقرير . وأهم ما ورد فيه :

١ – ان يوضع عرب فلسطين في وضع مماثل لليهود من حيث تسليحهم وتدريبهم وتحصين مدنهم وقراهم تحصيناً عسكرياً فنياً، وجعلهم الأساس للدفاع عن بلادهم، لأنهم أعرف بمواقعها وطرقها ومسالكها، ولأنهم أشد تصميماً واستماتة للذود عن أهلهم وأموالهم وديارهم مع ما عرفوا به من الشجاعة والاقدام، بالاضافة الى انهم اقل نفقة من المتطوعين والجنود القادمين من خارج فلسطين، لأن الفلسطينيين يقيمون ويعيشون من انتاجهم، فحاجتهم الى النفقات، باستثناء السلاح والعتاد، اقل من غيرهم .

٢ – الاستعانة بالمتطوعين القادمين من الاقطار العربية لنجدة الفلسطينيين في الدفاع عن بلادهم .

٣ – وجوب مرابطة الجيوش العربية النظامية على حدود فلسطين دون دخولها وذلك لتقوية الفلسطينيين ومساعدتهم عند الضرورة ببعض العتاد والضباط وتسلل بعض الوحدات الفنية كمتطوعين للمعونة عند مسيس الحاجة .

ومن اهم ما ذكر في هذا التقرير تقدير قوات العدو وتقديم مقارنة لقوات الطرفين، فقد ورد فيه :

ان لدى اليهود منظمات عسكرية تضم ما لا يقل عن ٦٠ ألف مقاتل مجهزين بأسلحة جديدة وعتاد وافر ولديهم معامل للذخيرة ولتصليح السلاح، كما لديهم عدد كبير من المدربين والضباط المجربين .

اما العرب فسلاحهم ضئيل وغير صالح وقديم وعتادهم قليل، كما ان العرب في المناطق التي يكتظ فيها اليهود يجابهون خطراً كبيراً ويتعرضون للقسوة والفتك فور انسحاب القوات البريطانية من فلسطين .

ان هذا التقرير لقوات العدو الذي ذكرته اللجنة العسكرية في تقريرها المذكور قريب من الواقع جداً، فبينما كان مجموع القوات العربية التي دخلت

فلسطين في ١٥ أيار لا يتجاوز خمسة عشر ألف جندي ، بلغ مجموع القوات الاسرائيلية – وفقاً لما ورد في الوثائق اليهودية التي ضبطتها الحكومة البريطانية عندما داهمت دار الوكالة الصهيونية في اواخر عهد الانتداب – كما يلي :

١) ٢٠،٠٠٠ جندي دربوا تدريباً كاملاً وكانوا مزودين بالسلاح الكامل .

٢) ١٠،٠٠٠ جندي دربوا تدريباً كاملاً ولم يزودوا بالسلاح الكامل .

٣) ٣٠،٠٠٠ جندي لم يدربوا تدريباً كاملاً ولم يزودوا بالسلاح الكامل.

المجموع ٦٠،٠٠٠ – جندي وهؤلاء ينتمون جميعاً الى الهاجانا .

٤) ٦،٠٠٠ جندي ينتمون الى منظمة الارغون وكان بعضهم مسلحاً .

٥) ١،٠٠٠ جندي ينتمون الى منظمة شتيرن وقد عهد اليهم باعمال التخريب .

٦٧،٠٠٠ المجموع العام .

من الفقرة (١) يتبين ان المدربين تدريباً كاملاً والمزودين بالسلاح بلغوا على اقل تقدير اكثر من (٢٠) ألف جندي ، وهذا الرقم يفوق القوات العربية التي دخلت في بدء المعارك مع العدو وعددها (١٥) ألف جندي .

كان يمكن ان يستفاد من الخبرات والكوادر العسكرية الفلسطينية العربية ، وخاصة من الشبان الذين عملوا في الجيش البريطاني او البوليس الانجليزي في فلسطين . فقد كان في فلسطين عند صدور قرار التقسيم نحو (١٣) ألف شاب عربي تدربوا على القتال في صفوف الجيش البريطاني خلال الحرب العالمية الثانية، ونحو (٢٠) ألف من البوليس العربي . كان في الامكان الاستفادة من كثيرين منهم . وعندما سرح الانجليز قوة الحدود البالغ عددها نحو (٤٩٢٥) ضابطاً وجندياً كان في وسع اللجنة العسكرية تجنيد الأكثرية الساحقة من هؤلاء، سيما وانهم جميعاً تلقوا على أقل تعديل الحدّ المتوسط من التدريب العسكري

الذي يؤهلهم لأن يصبحوا جنوداً حقيقيين بعد اعطائهم دورات لا تزيد عن الشهرين أو الثلاثة .

كنا نرى عكس ذلك: محاربة هؤلاء الشبان وابعاد القسم الأكبر منهم عن العمل الوطني واتهامهم بالعمالة للانجليز ، وخاصة الذين دخلوا الجيش البريطاني، وقد حصل بعضهم على أرقى أنواع التدريب وتوصل بعضهم لرتب الضباط الأعوان والقادة . لم يدخل معظم هؤلاء الشبان الجيش البريطاني ، كما يتهمهم البعض ، حباً ببريطانيه وانتصارها في الحرب العالمية الثانية . ان الدوافع كانت اما مادية أو اجتماعية فرضتها الظروف الاقتصادية في فلسطين، مما أدى الى انتشار البطالة . وكانت دوافع بعض هؤلاء الشبان وطنية وتهدف الى اشباع روح المغامرة والتدرب على فنون القتال . واكبر دليل على ذلك ان بعضهم انضموا بعد انتهائهم من الخدمة في الجيش البريطاني ، الى صفوف المناضلين وبرهنوا على اخلاصهم وحبهم لبلادهم وقدموا خبراتهم في الوقت الذي كان وطنهم في أمس الحاجة للخبرة العسكرية . ان الذين عاصروا أحداث الحرب العالمية الثانية وأحداث ضياع فلسطين يدركون الدور الذي قام به الفيلق اليهودي الذي تمكنت الوكالة اليهودية من تهيئته للمستقبل ليصبح افراده القوة العسكرية الضاربة في فلسطين، وقد كان لها ما أرادت . ان هذا الفيلق لا يزال العمود الفقري للجيش الاسرائيلي ، خاصة انه ضم في صفوفه قادة الجيش الاسرائيلي ومنهم موشيه ديان وغيرهم .

جيش الجهاد المقدس

التنظيم — التسليح — مسرح العمليات

– **حجم القوات :** تألفت قوات الجهاد المقدس باشراف الشهيد عبد القادر الحسيني . وقد صنفت هذه القوات الى :

ـ **المجندون** : وتتكوّن منهم القوة الضاربة المتحركة ، وقد كانت الهيئة العربية العليا تؤمن لهم الراتب والسلاح .

ـ **المجاهدون المرابطون** : وتتكوّن تنظيماتهم من المجاهدين المقيمين في القرى، ويقومون باعمال الدفاع عن قراهم، وتدفع لهم بعض الاموال وتوزع عليهم الأسلحة حسب الحاجة .

كان عدد المجندين يتراوح بين ٨ — ١٠ آلاف والمجاهدون المرابطون بين ١٢ — ١٨ ألف . وقد قدّر عدد المجاهدين الذين تمكنوا من تموين أنفسهم بالمال والسلاح بثلاثين ألفاً .

ـ **التسليح** : كانت المصادر المختلفة التي اعتمد الجهاد المقدس عليها لتأمين السلاح سواء بالشراء أو التبرع ، من الدول العربية ، متعددة ، مما أدى الى عدم توحيد السلاح والعتاد ، الأمر الذي أضعف القوة النارية بالنتيجة وولّد المشاكل والصعوبات الادارية للتموين بالذخيرة وقطع التبديل ، الى جانب ضعف الجهاز الفني المختص بالتخزين والتوزيع والصيانة والتصليح . وفيما يلي قائمة بالأسلحة والعتاد التي توافرت لهذه القوات وهي متعددة النماذج والعيارات ومختلفة الصنع، فبعضها انجليزي قديم والآخر افرنسي صنع قبل الحرب العالمية الاولى . زد على ذلك بعض البنادق الالمانية والبلجيكية .. الخ :

أ ـ أسلحة خفيفة

٥٫٣٩٦ بندقية مختلفة الصنع .

٣٦٤ رشيشة — تومي وستن .

٣٠٩ مسدس مختلف الصنع .

٣١٩ رشيش افرنسي وانجليزي .

١٤٦٫٧٤٠ قنبلة يدوية .

ب – اسلحة متوسطة

١٨٠	رشاش .
٢٣	مدفع هاون افرنسي وانجليزي .

ج – أسلحة مضادة للدرع

١٢٤	مدفع بويز ضد المصفحات .
٦٦	مدفع مضاد للدبابات .

د – معدات ومواد للتخريب

٣٫٨٦٧	لغم متنوع ضد الدبابات والاشخاص .
٣٣٫٠٠٠	صاعق عادي .
٨ طن	متفجرات معظمها بارود اسود .

هـ – الذخائر

٦٫١٠٢٫٢١٦	طلقة بندقية .
٢٦٧٫١١٨	طلقة رشاش .
٥٦٦٫٢٥٧	طلقة رشيشة .
٤٫٢٤٢	طلقة مسدس .
٧٫٤٤٥	طلقة ضد المصفحات .
٦٠٫٠٩٩	طلقة ضد الدبابات .
١٢٫٤٨٣	طلقة قنبلة هاون .

يضاف الى ذلك بعض الأجهزة العسكرية من بدلات وأحذية وبطانيات .

توزيع قوات الجهاد المقدس

لقد بنت القيادة العامة للجهاد المقدس مخططهـــا الدفاعي على أسس تتفق والمهمات العسكرية الكبيرة، وفقاً لامكاناتها الضئيلة وعدم توافر الوحدات الكافية للدفاع عن قطاعاتها مترامية الأطراف في المدن والقرى الممتدة من غزة جنوباً الى الجليل شمالاً .

ان عبء المهمات الملقاة على قوات غير نظامية لم تتوافر لها وسائط المخابرات السلكية أو اللاسلكية بشكل منتظم أو وسائل النقل لدفع النجدات من قرية الى أخرى عند وقوع الخطر، أضف ذلك عدم توافر الأجهزة الفنية من عسكريين ومدنيين . كل ذلك أوقع قوات الجهاد المقدس في مواقف يصعب حلها من قبل قوات نظامية ، تفوقها عدداً وعدة . ومع ذلك فقد تمكنت هذه الوحدات من القيام بأعمال عسكرية تعتبر ناجحة اذا ما أخذت بعين الاعتبار اوضاعها المادية والمعنوية وانتشارها في مساحات واسعة من ارض فلسطين .

لقد وزعت قوات الجهاد المقدس في سبع مناطق رئيسية كانت تغطي أرض فلسطين قبل احتلالها وفقاً للجدول التالي :

	المنطقة	قواتها	التوزيع
١	منطقة القدس	ـ ٤ سرايا متحركة ـ ٤ سرايا تدمير ـ وحدة طبية ـ عدة مفارز دفاعية موزعة في احياء القدس	كانت جميع هذه السرايا تقوم بمهمة الدفاع عن القدس وضواحيها ، وكانت موزعة في الاماكن التالية : الشيخ جراح . باب الزاهرة . القلعة . قرية ابو دبس . صور باهر . بيت صفافا . القلمون . دير ابو ثور . البقعة ، والمنطقة الممتدة منها حتى الشيخ جراح . سلوان وادي سواحرة . الطور .
٢	منطقة بيت لحم	ـ ٥ سرايا ـ عدة مفارز دفاعية ـ فصيل فدائيين	بيت لحم . بيت جالا . جبل المكبر . القاهرية . ارنا العروب . الجبعة . صوريف . بيت امر . دوره . ترقومية . بيت اولا . ضراس . نوبا . وادي القف . بطا . السموع . بني نعيم .
٣	منطقة رام الله	ـ سريتان متحركتان ـ ٦ سرايا من المتطوعين	موزعة على خط يمتد من شعفاط شمال القدس الى باب الواد على طريق يافا ـ القدس حتى يصل الى طيرة بني صعب، وتدخل ضمن هذا الخط الاماكن والقرى التالية : شعفاط . النبي شمويل . بيت موريك . عين كارم . قالونيا . القسطل . بدو . يالو . باب الواد . بيت تول . دير العرب . سريس . بيت محسير . الاطروله .

	المنطقة	قواتها	التوزيـع
٤	المنطقة الغربية الوسطى	ـ ٣ سرايا متحركة ـ ٣ سرايا تدمير ـ ٢ وحدة طبية ـ ٢٠ـ٢٥ مفرزة ـ ٣ فصائل تدمير	وزعت قواتها للدفاع عن يافا والرملة واللـد ووادي الصـرار والمجدل . وقسمت الى الجبهات التالية : أ ـ جبهة مدينة يافـا : تدخـل ضمنهـا القرى والاحيـاء التالية : ارشيد . المنشية . العجمـي . محطة سكـة الحديد . سوق اليهـود . الميناء . الجبلية . القريـة العربية . ابو ديوك . شارع سلمة . البصة . سكة ابو بكر . المذبح . ب ـ جبهات القرى الغربية مـن يافا وتضم: سلمة، يازور، بيت دجن . العباسيـة . الخيريـة . الصافريـة . صرفند . كفرعانة . ج ـ جبهات اللد وقراها : كفـر جنس . المطار . المحطة . رأس العين . بيـت بنالا . قولة . مزيرعـة . مجـد الصادق . ديـر بلـوط . كفرقاسم . نعلـين . ديـر قديس . د ـ جبهات الرملة وقراها : عرب الوطرية . ابو شوشة . بئر سالم . بئر معـين . وادي الصرار . دير ايوب . بالو . بيت نوبا . هـ ـ المجدل وقراهـا : الجورة . الجية . عراق . سويدان . كراتيا . الفالوجة . حماتة . اسدود . جولس . بيـت دراس . السـوافـير . القسطينة. المسمية الكبرى. يبنى . عاقر .

	المنطقة	قواتها	التوزيـــع
٥	المنطقة الجنوبية	ـ ٣ سرايا ـ عـدة مفـــارز دفاعيـــة ـ ١ فصيل تدمير	غزة . المطـار . جبل منطـــار . البريج . عران . سويدان . نقطة جمارك البحر . خان يونس . ديـــر البلح . المجدل . بئر السبع .
٦	المنطقة الغربية	ـ عـــدة مفـــارز لا يتجاوز عـــدد افرادهـــا السريتين	قلقيلية . طولكرم . جنين . بيـــار عدس. جت. دير الغصون. علار . قاقون . زيتا . شويكـــة . باقا . عنبتا . كفر اللد . الطيبـــة . ام الفحم . صانور . قرى اللجون . فقوعة . زرعين . رمانة .
٧	المنطقة الشمالية	ـ ٤ سرايا متحركة ـ ٣ سرايا تدمير ـ وحدة طبية ـ ٣٠ـ٣٥ مفرزة ـ ٤ فصائل تدمير	حيفا . عكا . الناصرة . طبريه . بيسـان . صفد . واكثر من مئـــة قرية موزعة في الجليـــل والمــدن الشمالية .

من هذا العرض لقوات الجهاد المقدس يتضح لنا خطورة المهات والواجبات التي القيت على عـاتق هذه القوات غير النظـامية التي انتظم الى صفوفها ابنـاء الشعب الفلسطيني المدرب منهم على حمل السلاح وغير المدرب .

ان هذه القوات تعتبر طليعة العمل النضالي العربي التي انبثقت تنظيماتهـا من صميم الشعب الفلسطيني، وكانت في الحقيقة اول مظهر من مظاهر القوات الشعبية التي تحمل في جوهرها صفة الجيش الشعبي في بلد كان يرزح تحت نير الاستعمار

البريطاني ويعاني ابناؤه من الظلم والاضطهاد . ولقد برهن افراد قوات الجهاد المقدس انهم الأبناء الحقيقيون لشعب قاوم الاستعمار البريطاني في فلسطين اكثر من ربع قرن وخاض غمار ثورات عديدة للذود عن وطنه متخطياً الصعاب ، بالرغم من قلة الوسائط وندرة السلاح وعدم توافر الخبرة الفنية والعسكرية التي حرمه الاستعمار البريطاني منها في الوقت الذي كان يعمل على توفير كل وسائل الحرب للعدو ، وهو الابن المدلل للاستعمار .

لقد قامت هذه القوات بتنفيذ جزء كبير من واجباتها ، فقد تمكنت قوات الجهاد المقدس من اجبار (١١٥) الف يهودي على الاستسلام في مدينة القدس نتيجة حصارهم باحتلال مضيق باب الواد واقفاله . وقاموا بعدة معارك محلية ونصبوا مئات الكمائن للقوافل اليهودية والانجليزية . كما قامت فرق التدمير بنسف العديد من المنشآت والمباني التي تقع في اماكن تعبوية هامة نذكر منها : معمل السبيرتو الواقع عند مدخل يافا . عمارة حزبون التي كانت تقطع طريق يافا – الرملة ومنها الى القدس. عمارة الوكالة اليهودية. معمل الجير قرب مستعمرة بتاح تكفا . عمارة المطاحن في حيفا . عمارة شركة سولل بونيه اليهودية .

جيش الانقاذ

الهدف السياسي من انشاء جيش الانقاذ : تألف هذا الجيش بناء على قرارات اللجنة العسكرية المنبثقة من الجامعة العربية من متطوعي جميع الاقطار العربية. وقدكان من المفروض ان يتكوّن من العرب الفلسطينيين اصحاب القضية وأولى الناس بالدفاع عن بلادهم، وهذا لا يمنع دخول العرب من الاخصائيين العسكريين على ان تبقى قطعاته الاساسية من الفلسطينيين ، الا ان سياسات اللف والدوران ورضوخ بعض الدول العربية لضغط بريطانيه، والخلافات والمشاحنات بينها حول معالجة القضية الفلسطينية ، كل ذلك ادى الى تشكيل هذا الجيش على شكل (تركيبة غريبة) غير متجانسة من حيث التنظيم

والتدريب والتسليح . اضف الى ذلك وجود عدد كبير من المحترفين العسكريين القدامى الذين تطوعوا في هذ الجيش وانضموا الى صفوفه لأهداف شخصية في الغالب .

لقد كان هدف انشاء هذا الجيش بالنسبة لبعض الدول العربية مخرجاً لها من المآزق التي اوقعتها بها اللجنة العسكرية عندما اقترحت واجبرت حشد الجيوش العربية على حدود فلسطين ، ذلك الوضع الذي لم يكن يتفق ورغبات بعض الحكام بعدم اشراك جيوشهم في حرب نظامية داخل الاراضي الفلسطينية .

التنظيم : انشىء هذا الجيش في ١/ ١٢/ ١٩٤٨ . وقد عين اللواء الركن اسماعيل صفوت قائداً عاماً له والعميد الركن طه الهاشمي مفتشاً عاماً والسيد فوزي القاوقجي قائداً عاماً لقوات جيش الانقاذ داخل فلسطين . وكان معظم ضباطه الموزعين في القيادة العامة والقيادات الصغرى والقطعات من الضباط العرب السوريين والعراقيين .

تكوّن هذا الجيش من ثمانية كتائب – قوتها النارية اقل من لوائين حديثين – بلغ عدد افرادها ٧٫٧٠٠ مقاتل . منهم ٥٫٢٠٠ متطوع اتوا من مختلف الاقطار العربية وتدربوا في معسكرات قطنا و ٢٫٥٠٠ مجاهد فلسطيني ممن كانوا مرتبطين بالهيئة العربية العليا ، وقد آثر اكثرهم الاستمرار في العمل تحت لواء الجهاد المقدس .

التسليح : لم يكن لدى اللجنة العسكرية عند صدور قرار التقسيم في ٢٩/١١/٤٧، اي قبل تشكيل جيش الانقاذ، اكثر من ٧٠٠ بندقية تقريباً استلم منها ٥٠٠ من سوريه و ٢٠٠ من لبنان . وقد كانت اللجنة قد طالبت بضرورة تأمين ما لا يقل عن ١٠٫٠٠٠ بندقية و ٢٫٠٠٠ رشيش ورشاش و ٣٫٠٠٠ مسدس وغير ذلك من المعدات والاعتدة الحربية كالمتفجرات والالغام .

اما انواع هذا السلاح وتعدد مصادر الصنع وفساد قسم كبير منه، فلم يكن

بأحسن من السلاح الذي تزود بـه افراد الجهاد المقدس . فقد كان يسلم لجنود الكتيبة الواحدة عدة بنادق ورشيشات من عيارات مختلفة ، الامر الذي كان يعرقل التموين بالذخيرة وقطع الغيار . كما ان الاسلحة المساندة وخاصة الهاونات الخفيفة والرشيشات الثقيـلة والاسلحة المضـادة للدرع كانت نادرة الوجود في القطعات ولا تفي بالحاجة . اضف الى ذلك سرعة الاستعصاءات والتلف وقـلة الذخائر والقنابل اللازمة لتموينها . ونذكر على سبيل المثال تعدد الأسلحة في احدى الكتائب الثمانية التي كان يتألف منها جيش الانقاذ :

بندقية افرنسية قديمة (٨٦–٩٣)	٢٣٧	٣٠٪ غير صالح	
بندقية افرنسية قصيرة	١٣٥	٢٠٪	« «
رشيش افرنسي اف.ام	٣٢	١٣	منها متعطل
رشيش انجليزي (برن)	١١	٢	« «
رشيشة ستن وتومي	٣٢	١٤	« غير صالح
هاون خفيف افرنسي (٦٠مم)	٧	٣	« بدون جهاز تسديد
رشاش افرنسي هوشكيز	٣	٢	« كثير الاستعصاءات
رشاش انجليزي	٢	١	سبطانة مشعورة
مدفع مضاد للدبابات	٢		بدون ذخيرة
جهاز لاسلكي افرنسي قديم	٢	٢	متعطل بدون عامل لاسلكي
طلقات بنادق	٧٥ الف طلقة .		اكثر من ٣٠٪ غير مأمونة الاستعمال نظراً لقدمها وصدأ الاغلفة .
قنابل الهاون	٦٣	١٣	منها بدون صمامة

اما الاليات والمعدات الهندسية والتجهيزات وكل ما يتعلق بالشؤون الادارية، القاعدة المادية والاساسية في كل وحدة، فلم تكن بأحسن حالاً من وضع الاسلحة.

هذا نموذج من احد التقارير التي قدمها قائد الكتيبة مظهراً سوء الوضع الذي تعانيه قطعته من حيث التسليح والتجهيز، الامر الذي يضعف معنويات افراد الكتيبة ويقلل من قوتها النارية وبالنتيجة قدرتها القتالية.

عمليات جيش الانقاذ واسباب فشلها: لم يوفق جيش الانقاذ في اكثر المعارك الدفاعية او الهجومية التي خاضها في المناطق المختلفة من فلسطين. ولم تبذل وحداته، سيئة التنظيم والتسليح، جهوداً كافية للدفاع عن المدن الفلسطينية التي كانت ترابط فيها، وخاصة حيفا ويافا والقدس وصفد. وكانت وحدات هذا الجيش عندما يشتد الخطر اليهودي تنسحب من البلد او القرية تاركة السكان العزل من السلاح تحت رحمة العدو. ولم تكن عملياته الحربية في الشمال (الجليل) بأحسن من عملياته في الوسط والجنوب من فلسطين، بل كانت النتائج اسوأ. فقد صدرت الاوامر لقيادة جيش التحرير في ١٥ أيار سنة ١٩٤٨ عندما دخلت الجيوش العربية النظامية الى فلسطين لتجميع قطعاته في منطقة الجليل الغربي للدفاع عن شمال فلسطين متخذاً خطوطه الدفاعية في المراكز والمدن الهامة كصفد وترشيحا وتربيخا والجش والقرى التي تقع على عقد المواصلات كفرادة ومزرعة المندوب السامي وغيرها. الا ان هذه القوات انسحبت من منطقة الجليل وتركتها لقمة سائغة للقوات اليهودية التي احتلتها بعد معارك محلية قليلة. وفي نهاية ايار من السنة نفسها انسحب آخر جندي من جيش الانقاذ في ارض فلسطين.

اسباب الفشل: لا يسمح المجال للاطالة في استقصاء اسباب الفشل، غير انه من المفيد التركيز على الاسباب الرئيسية التي ادت الى فشل هذا الجيش ليؤخذ منها درس للمستقبل ولتجنبها في معاركنا القادمة مع العدو.

١) القيادة: كانت قيادة هذا الجيش ضعيفة وغير متجانسة بالرغم من وجود

بعض الكفاءات العسكرية . كان معظم القادة من المتقاعدين الذين انقطعوا عن الحياة العسكرية العملية . وعلى سبيل المثال فوزي القاوقجي الذي اختير قائداً للجيش دون ان تكون لديه خبرة قيادة وحدات عسكرية كبيرة، حيث اكتفى الذين رشحوه بما لديه من خبرة سابقة في قيادة جماعات المجاهدين الذين قادهم في فلسطين في ثورة ١٩٣٦ .

٢) عدم وحدة الفكر وضعف المعنويات: كان هذا الجيش خليطاً من العرب السوريين واللبنانيين والعراقيين والاردنيين والمصريين والحجازيين واليمنيين بالاضافة لوجود جنسيات اخرى من الاتراك واليوغسلافيين والالمان، حتى بعض الانجليز، فكان من الصعب ان يأتلف افراد هذا الجيش فكرياً ومعنوياً . اضف الى ذلك ضعف التدريب وتنوع الخبرات العسكرية والأسلوب في العمل .

٣) لم تكن أهداف هذا الجيش والسياسة التي شكّل من اجلها واضحة المعالم ومحددة الاتجاهات . فقد سمي جيش التحرير عند بدء تشكيله ثم اعيدت التسمية بجيش الانقاذ . فهل اعد هذا الجيش للعمليات الدفاعية او الهجومية ؟ وما هي المبادىء الاستراتيجية التي ارتكز عليها قادته في توزيع وحداته على مناطق سرعان ما تبدل دون دراسة سابقة او لاحقة، كما كان يجري عند نقل القطعات وتحديد اماكنها بصورة مرتجلة ؟

كانت عملية انقاذ فلسطين تتطلب التغلب على الخصم وذلك بتدمير قواته الضاربة ومثل ذلك لا يمكن تحقيقه الا بالتفوق على القوات اليهودية بالعدد والسلاح والتدريب. وقد اثبتت المعارك التي خاضها هذا الجيش انه دون مستوى القوات اليهودية من جميع الوجهات التي ذكرت آنفا .

٤) ادى تعدد انواع الاسلحة وفساد بعضها والنقص الخطير في مختلف المعدات الحربية (وقد ذكر آنفا بشيء من التفصيل كل ذلك) الى اضعاف القوة والكثافة النارية في الوقت الذي كان لدى القوات اليهودية اسلحة جديدة اكثرها اوتوماتيكي والذخيرة متوافرة، كما ان صيانة السلاح وتجديده كان يجري على قدم

وساق في الخطوط الامامية والخلفية ، وهذا يعود الى سرعة استيعابهم للسلاح وتوافر الامكانات الصناعية والعمال المهرة الذين كانوا يواكبون القوات الاسرائيلية في مختلف اماكن عملياتها . ان جوهر الموضوع يكمن في الخطأ الجسيم الذي ارتكبته الجامعة العربية من وراء تشكيل هذا الجيش بالوعود التي اعطتها بعض الدول لبريطانيه حول عدم اشتراك جيش الانقاذ في قتال داخـــل الاراضي الفلسطينية قبل جلاء القوات البريطانية عنها .

وهكذا كان تشكيل هذا الجيش بوضعه المادي والمعنوي وباهدافه السياسية والعسكرية سبباً من الاسباب الرئيسية التي ادت الى وقوع الكارثة وبالتــالي انهزامنا في معارك فلسطين . لقد حال وجود هذا الجيش دون استخدام الجيوش العربية النظامية ومشاركتها مشاركة جدية في معركة التحرير . كيف سمحت الدول العربية لنفسها تشكيل جيش جديد في احلك الظروف ضاربة عرض الحائط اهمية عنصر الزمن في الوقت الذي كان من الممكن الاعتماد فيه على جيوشها النظامية ، هذه الجيوش التي مهما قيل عنها بانها لم تكن جاهزة ومستعدة للقتال لعدة اسباب افتعلوها كانت في كل الاحوال ارقى تدريباً وتسليحاً وتجهيزاً من جيش الانقاذ الذي زجّ في المعارك وهو دون مستوى القوات اليهودية التي كانت تفوقه عدداً وعدة وتدريباً .

كانت معركة فلسطين تحتم على العرب الاعتماد على الجيوش النظامية منــذ البداية تعززها قوات المجاهدين الذين يتقنون حرب العصابات للقيام بالاغارات والكمائن ونسف الجسور والطرق والدفاع المحلي . ان القول الذي يدعو للاعتماد على قوة دون الاخرى هو خاطىء من الوجهتين العسكرية والاجتماعية . وهذا ما اثبتته تجارب الشعوب في حروبها النظامية وغير النظامية ومسيرهما جنباً الى جنب . وهذا ما سنبحثه بشيء من التفصيل في الصفحات المقبلة .

الصناعات الحربية في فلسطين قبل النكبة

كان العرب الفلسطينيون يعانون نقصاً كبيراً في تأمين السلاح والعتاد للدفاع عن ارضهم . كما ان الدول العربية لم تحرك ساكناً ، متعمدة أو غير متعمدة ، لتزويد هذا الشعب بالسلاح. وقد كان تأمينه يتم بطرق ووسائط فردية في معظم الاحيان . وكان من الشائع ان يجمع الفلاح الفلسطيني ثمن البندقية أو المسدس من قوت عياله أو بيع جزء من ارضه لشراء قطعة السلاح من سوريه أو العراق بأسعار مرتفعة كانت تصل من (١٠٠ — ١٢٥ جنيهاً) للبندقية المزودة بعدد قليل من الطلقات لا يزيد عن (٥٠) طلقة في أحسن الاحوال . تصبح البندقية أشبه بالعكازة بعد نفاذ الطلقات نظراً لعدم توافر الذخيرة في فلسطين . ومع ذلك ظهرت بعض الصناعات الحربية المحلية على مستوى شعبي شبه بدائي . فقد تمكن بعض العمال العرب الذين كانوا يعملون في مصانع الخراطة والحدادة (كما فعل عمال شركة السكب في يافا) من صنع بعض الاسلحة الرشاشة تقليداً للستن أو التومي وبعض القنابل اليدوية والالغام ، وكان يرافق ذلك وقوع عدد من الحوادث بسبب عدم الخبرة تؤدي الى استشهاد البعض .

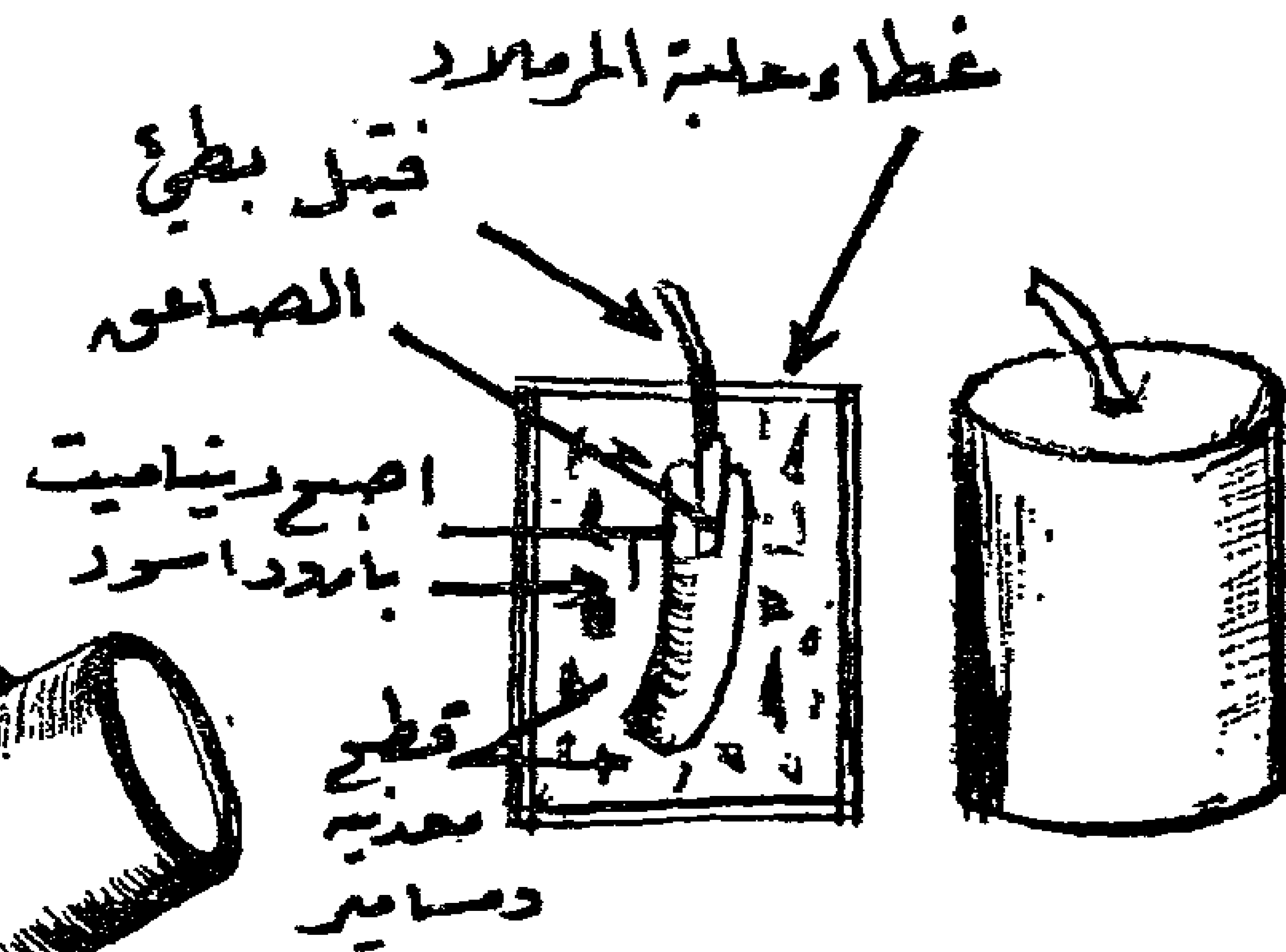
ان أبرز الاعمال في صناعة الاسلحة الشعبية قام به عامل فلسطيني من يافا يتمتع بالذكاء والشجاعة اسمه محمد جبر . تمكن هذا الشاب الفلسطيني ، وكان يعاونه أخواه علي وزكريا، من صنع مدفع شبيه براجمة الالغام من الموادالمتوفرة محلياً . وقد استعمل اسطوانات المطافىء كقنابل تقذف بعد حشوها بالمواد المتفجرة القاصمة من قسطل معدني ، بفعل الضغط الحاصل من تفجير كمية من المتفجرات الدافعة داخل القسطل وفقاً لمبدأ مدفع الهاون (انظر الشكل١٢). كان هذا المدفع الشعبي عندما يقذف قنابله على تل ابيب من بعض شوارع المنشية في يافا يقض مضاجع السكان اليهود ويوقع الرعب في صفوفهم اذ ظنوا ان هذه القنابل الشعبية كانت تقذف من مدفعية ثقيلة في بادىء الأمر ، وقد سموا صانع

الصناعات الحربية الشعبية

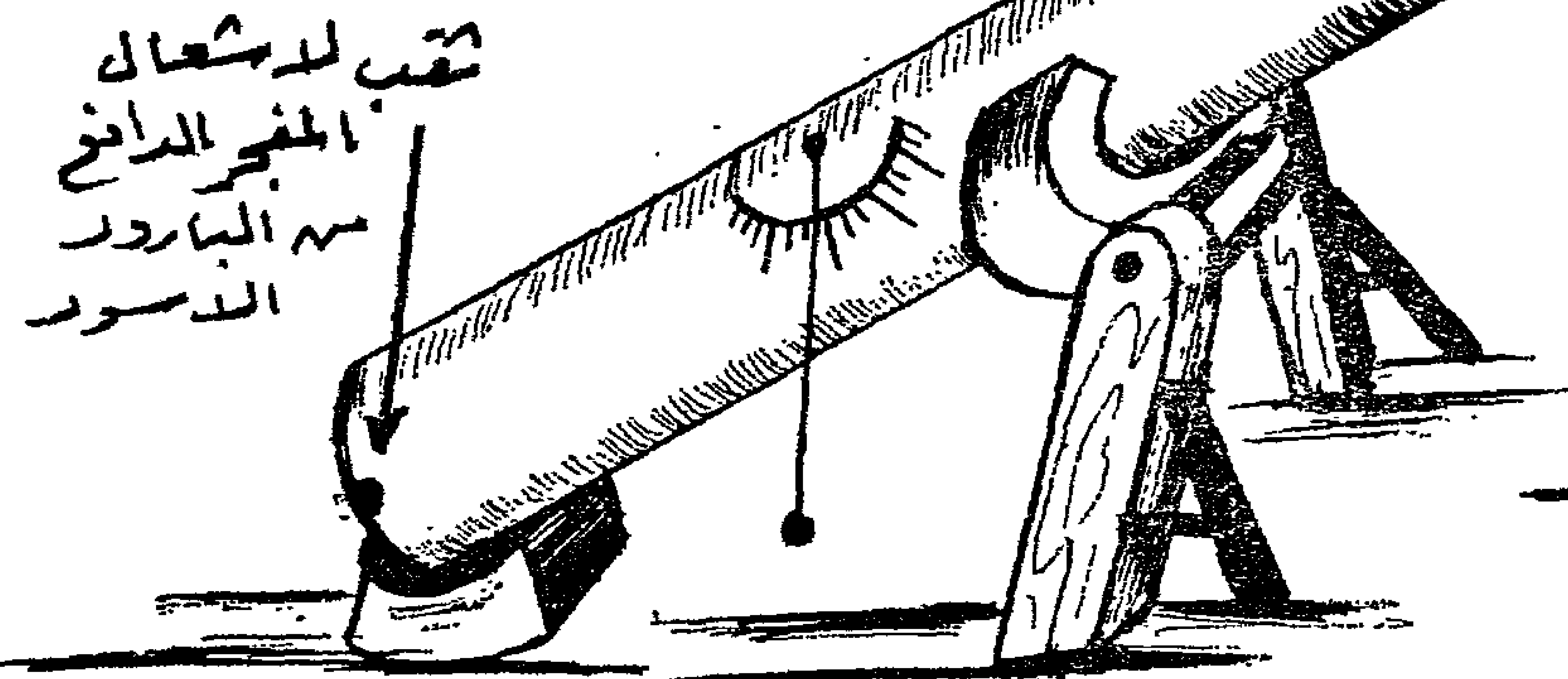
شكل «١» ـــ مدفع الكتائب
(راجمه الغام)

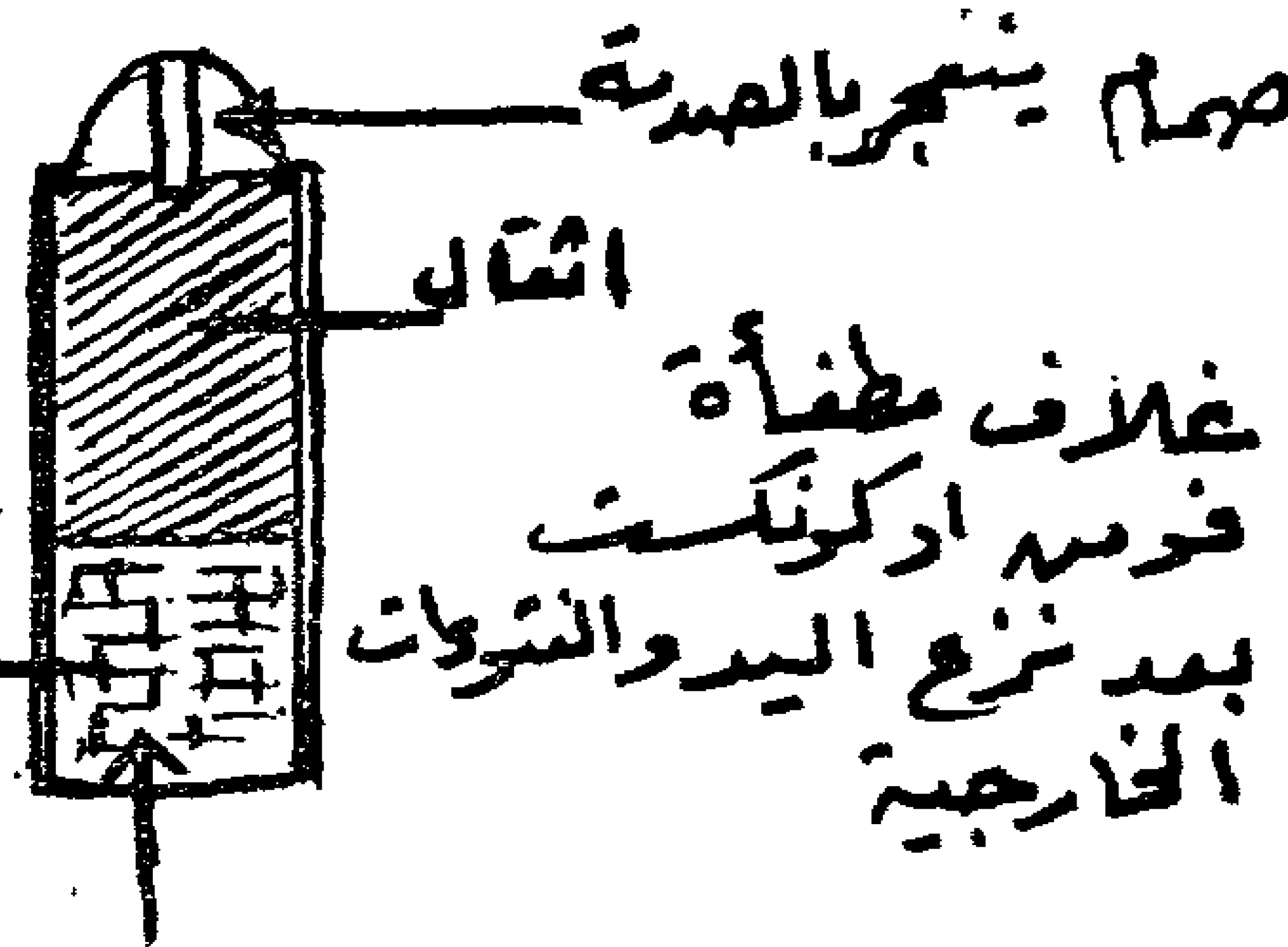
شكل «٢» ـــ قنبلة يدوية

شكل «٢» قنبلة يدوية شعبية



شكل «١»





شكل «١٢»

هذا المدفع بمدفع الكتان وتعني بالعبرية الصغير، نظراً لأن مبتكره كان لا يتجاوز الثامنة عشر من عمره .

أما القنابل اليدوية فكان يصنعها بعض الصيادين الذين تعودوا استعمال الديناميت للصيد وفي (الشكل ١٢) وصف لنماذج بعض القنابل اليدوية الشعبية .

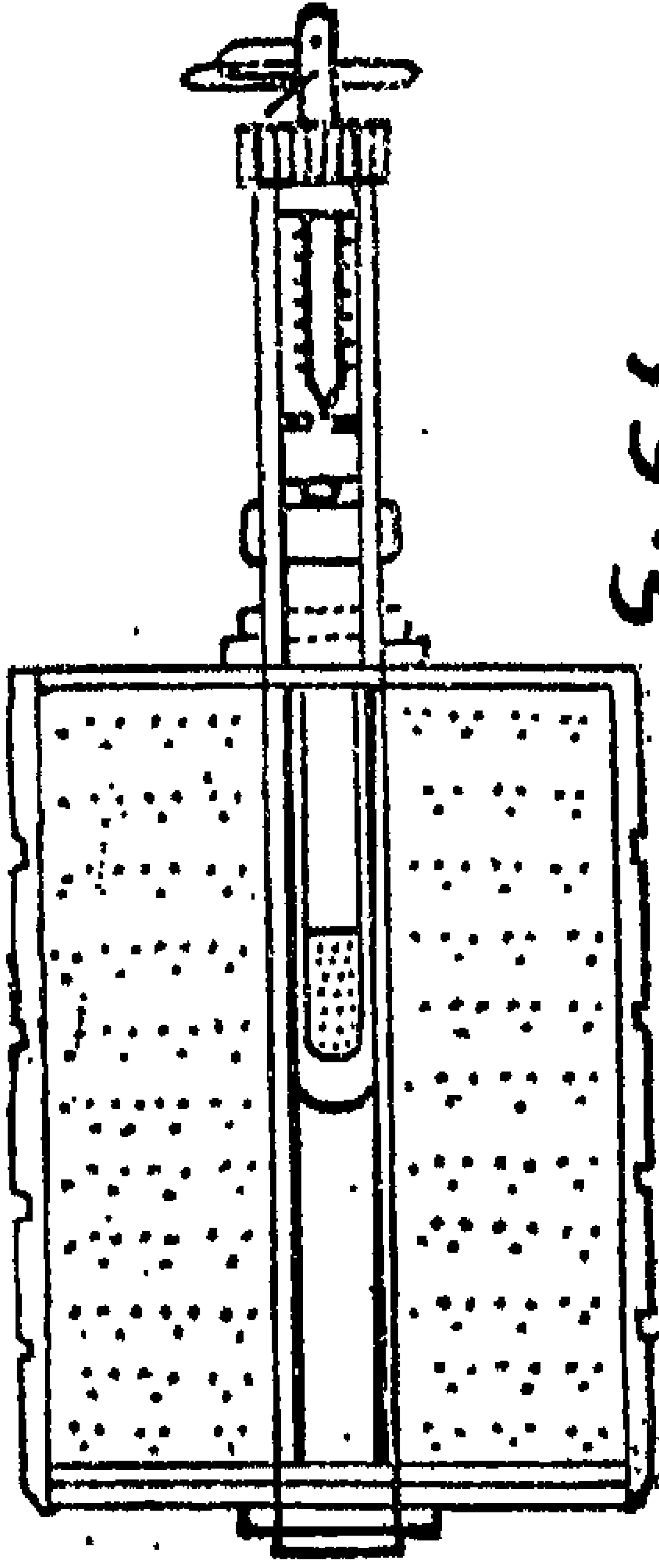
أما اليهود في فلسطين آنذاك فقد تمكنوا – بالرغم من توافر الاسلحة التي كانت تتدفق عليهم من الخارج–من انشاء صناعة حربية تعتبر حديثة ومتطورة اذا ما قيست بالصناعة الحربية في الدول العربية . وقد ساعد على تطويرها البريطانيون للاستفادة منها إبان الحرب العالمية الثانية . ونستشهد في ذلك ما ورد في كتاب (صدام أقدار) للكاتب اليهودي يورد كيمشي : كانت المصانع الصهيونية المحلية (في فلسطين قبل النكبة) حقاً فعالة ، فبالاضافة لانتاجها مدفع طراز ستن ومدافع مورتر عيار (٢) انش و (٣) انش وذخيرتها، كانت تنتج قاذفات اللهب (وهو سلاح صهيوني محبب) وبياتس(مدفع مضاد للدرع). ومدفع مورتر ثقيل يسمى (دافيدكا) الذي كان أخطر الاسلحة لدى الصهاينة . ان الدافيدكا كانت تقذف الى مسافة (٣٠٠) يارد كتلة من المتفجرات تحتوي على ستين رطلاً من متفجر (ت . ن . ت) على احياء مدينة آهلة بالسكان حيث كانت شدة الانفجار واللهب تثير الرعب بين النساء والاطفال .

أما صناعة الألغام فقد كانت غاية في الدقة والفاعلية ولا تختلف عن الصناعات الانجليزية او الاميركية وخاصة الالغام ضد الاشخاص (ابو أرجيلة) والالغام المضادة للدبابات التي كانت تصنع في معامل تل ابيب(انظر الشكل١٣).

كانت المصانع الحربية الصهيونية تنتج حتى آذار (مارس)سنة ١٩٤٨ :

– مئة رشاشة خفيفة يومياً – ارتفعت هذه النسبة الى مئتين يومياً بانتهاء الاسبوع الاول من نيسان (ابريل) في السنة نفسها .

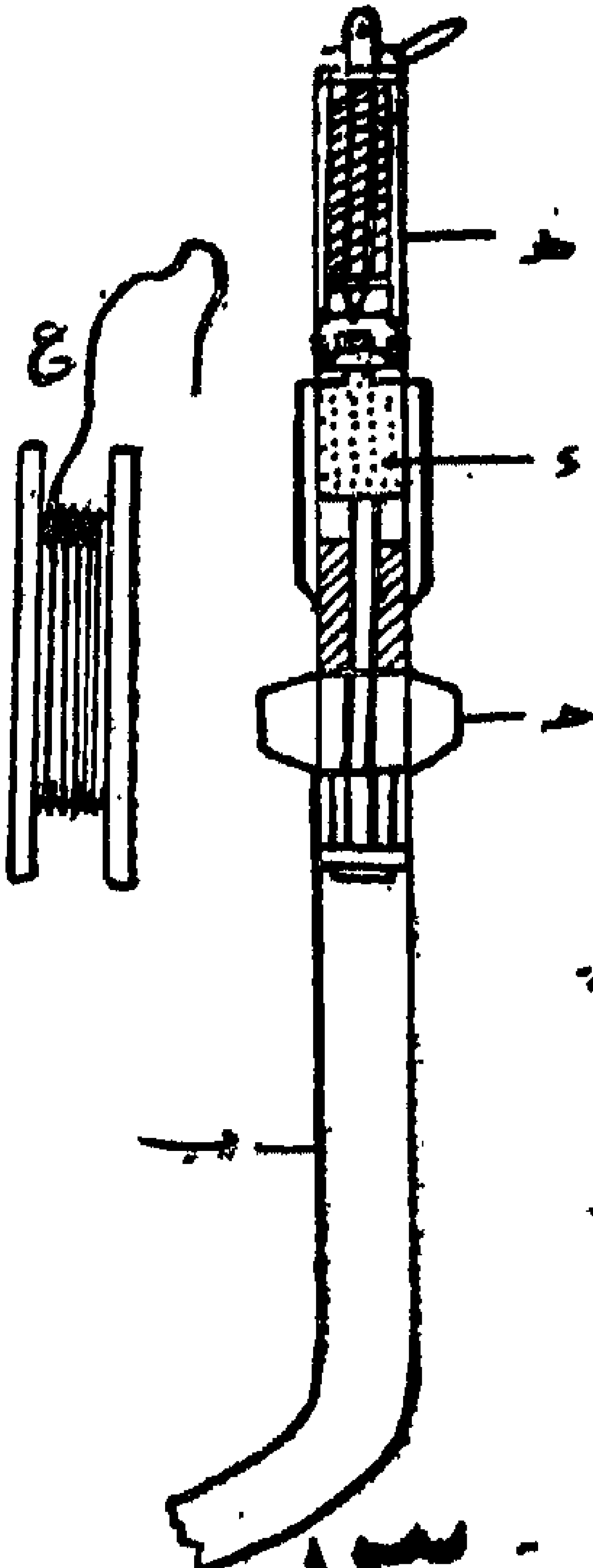
لغم يهـــودي
ضد الاشخاص

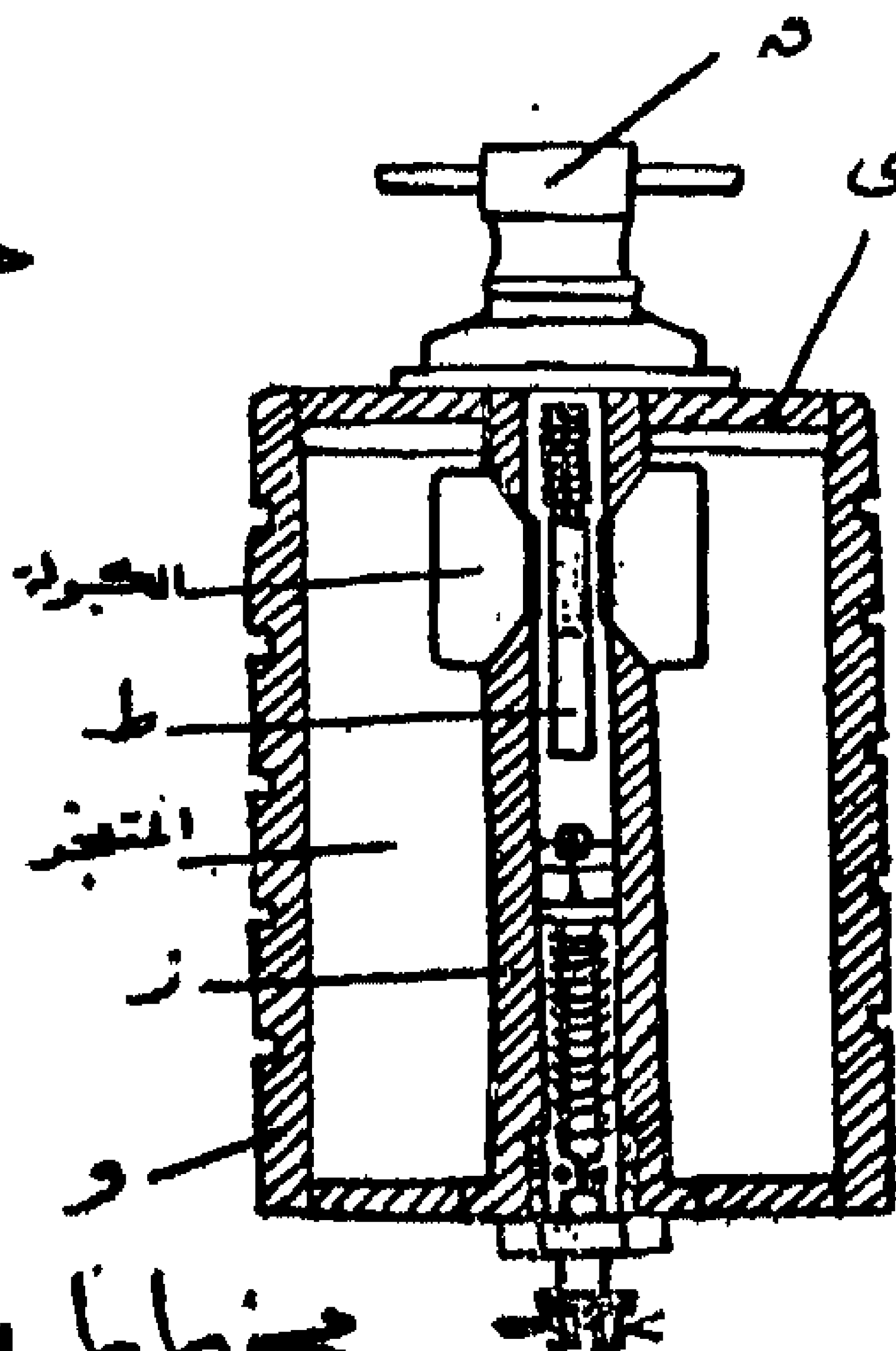


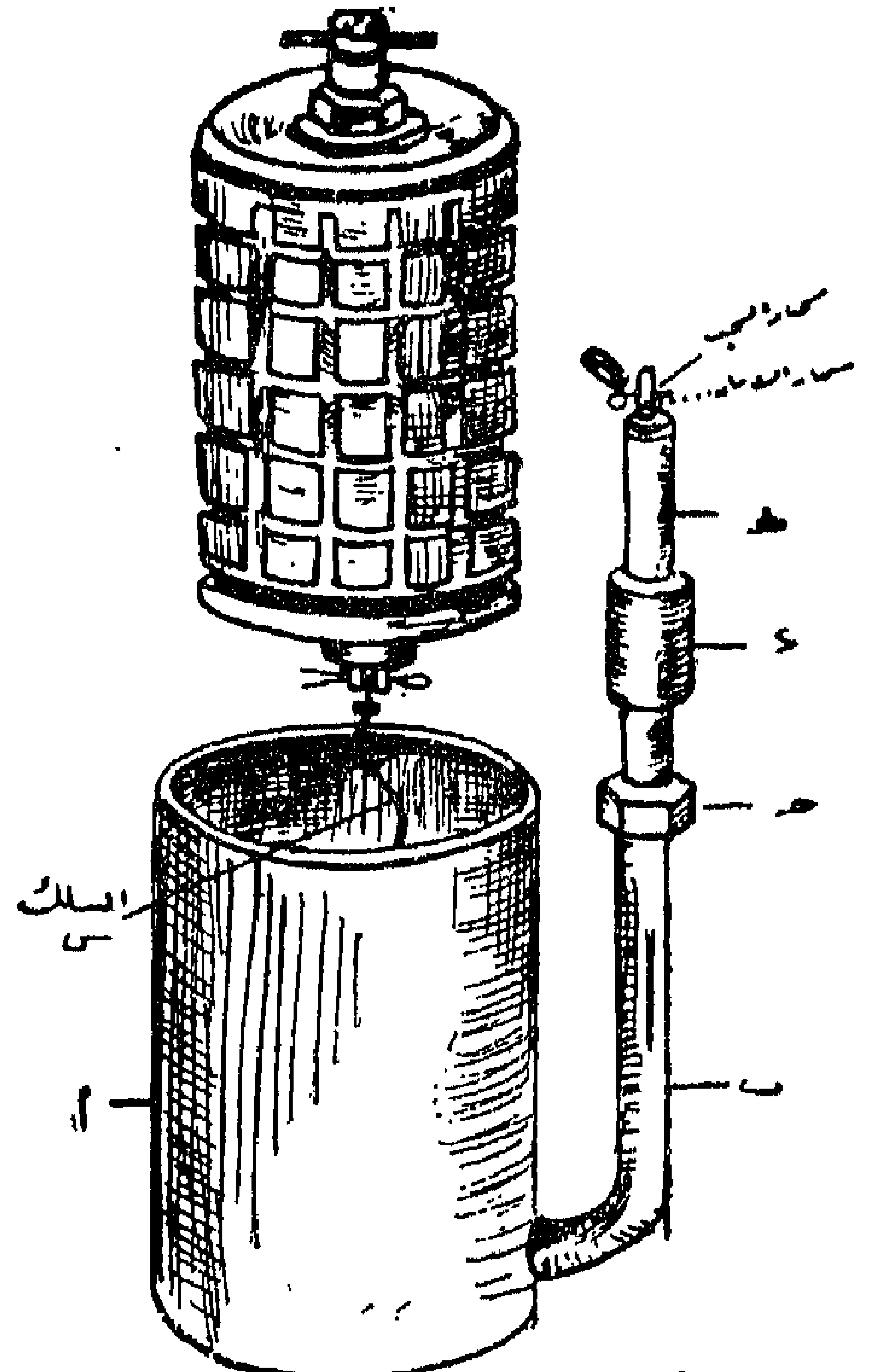
نماذج من الصناعة الحربية اليهودية قبل النكبة



لغم يهـــودي
ضد الاشخاص
« ابوارجيله »







مخطط رقم ١٣

من كتاب الالغام للملازم محمد الشاعر سنة ١٩٥٠

– ٤٠٠,٠٠٠ طلقة عيار ٩ ملم من الذخيرة شهرياً .

– ١٥٠,٠٠٠ قنبلة ميلز وفقاً لبرنامج معين سريع التنفيذ .

– ٣٠,٠٠٠ قذيفة عيار (٣) انش.

امام هذا الانتاج الهائل من الاسلحة والذخيرة، كانت تتكدس كميات السلاح المستوردة في طول البلاد وعرضها منذ اكثر من عشرين عاماً قبل النكبة . فقد اكتشفت القوات البريطانية عرضاً في تموز (يوليو) ١٩٤٦ في مستودعين سريين لليهود قرب حيفا : (٣٨٥) بندقية، (٧) مدافع رشاشة ، (٩٢) مدفع هاون ، (٣٩٠) الف طلقة . وفي مستودع (مشيك ياغور) وجدت : (٩٣) مدفعاً ، (٥٢٦٧) قذيفة مدفع، (٥١٠٧) قنابل يدوية، (٣٢١) بندقية، (٧٥) مسدساً، (١٤٠٤) رشاشات خفيفة، (١٠) رشاشات ثقيلة ، (٤٢٠) الف طلقة. وعثر في مكان آخر على (٤٠٠) لغم مختلف الانواع ، (٦٠٠) غلاف فولاذي للالغام ، (١٧) دبابة ، (١٧) مدفعاً من عيارات مختلفة، (٤٠٠٠) رشاش ثقيل ومئات الالوف من الطلقات .

اهم اعمال النسف والتدمير التي قام بها العرب واليهود

أ – كان اليهود هم البادئون في اعمال النسف والتخريب ، وقد رد العرب عليهم رداً قاسياً وسجلوا اعمالاً تخريبية فاقت الاعمال التي قام بها اليهود من حيث الجرأة في التنفيذ بالرغم من الخبرة المحدودة والامكانات الضئيلة :

– في ١٩٤٨/١/٥ نسف اليهود فندق سميرا ميس .

– في ١٩٤٨/١/١٧ وضعوا لغماً كبيراً في باب الخليل .

– نسفوا دار الحكومة القديمة في يافا . وفي حيفا وضعوا لغماً كبيراً في عمارة بشير المغربي . كانت الاصابات في كل عملية فادحة في الممتلكات والارواح وتراوح عدد الشهداء من كل لغم او قنبلة موقوتة من ٣٠ – ٥٠ عربياً بين قتيل او جريح .

ب – اتقن العرب تجهيز الالغام وتحضيرها وبرز من المناضلين فوزي القطب في القدس والشهيد محمد الاصفر من يافا. واهم اعمال التخريب التي قام بها العرب:

– في ١٩٤٨/٢/١ نسف العرب بواسطة سيارة كبيرة مشحونة بالمتفجرات الموقوتة ثمانية بنايات كبيرة مأهولة بالسكان كان منها بناية جريدة بالستين بوست في شارع هاسليل داخل الاحياء اليهودية في القدس واسفر حادث النسف هذا عن سقوط مئات القتلى والجرحى من اليهود ، وكانت الخسائر المادية فادحة .

– في ١٩٤٨/٢/٢٤ تمكن العرب من ان يدخلوا الى الاحياء اليهودية في القدس قافلة مكونة من ثلاث سيارات عسكرية بريطانية ملغومة، في كل سيارة ثلاثة اطنان من المتفجرات بقيادة البطل عزمي الجاعوني يرافقه محمود السمان وجنديان بريطانيان من المتطوعين . اوقفت السيارات في شارع بن يهودا ، مركز الاحياء التجارية . انفجر منها سيارتان فقط كانتا كافيتين لتدمير مئات المتاجر والمساكن وقدرت خسائر العدو بالارواح بنحو (٢٠٠٠) اصابة بين قتيل وجريح ، اما الخسائر المادية فقد بلغت عشر عمارات حسب الاحصاءات الرسمية .

– في ١٩٤٨/٣/١١ وضع سائق سيارة القنصل الاميركي البطل العربي انطون داوود سيارته الملغومة على باب دار الوكالة اليهودية اثناء اجتماع هام فانفجر اللغم وحطم البناية وسائر مكاتب الوكالة اليهودية ,وقتل (٣٦) زعيماً يهودياً وجرح عدد مماثل من قادة العدو .

– في ١٩٤٨/٣/٢٣ لغمت سيارة بمقدار طن ونصف من المتفجرات قادها البطل عبدالقادر التونسي يرافقه المناضل ناجي مصطفى الى داخل حي المانتفيوري اليهودي في القدس وتمكن من تفجير اللغم الكبير الذي هدم عشرات البيوت والمخازن واصاب المئات من الاعداء بين قتيل وجريح .

– يضاف الى هذه، الاعمال العديدة من عمليات التخريب التي قام بها العرب ويصعب حصرها ، وكلها كانت تهدف ضرب العدو في الاماكن التي تتركز فيها مختلف نشاطاته العسكرية والاقتصادية والاجتماعية .

الفرق بين اعمال التخريب العربية واليهودية : ومع ان هذه الاعمال التخريبية كانت تتصف بالبطولة والتنفيذ الجيد ، الا ان خبرة الفدائيين العرب الفلسطينيين كانت دون المستوى المطلوب للوقوف امام عصابات شتيرن والأرغون التي فاقتهم خبرة عسكرية ومقدرة على التنفيذ المدروس ، وفقاً لأسس تعبوية وفنية صحيحة ، ومثال على ذلك :

— حاول العرب نسف عمارة حزبون الواقعة على طريق القدس / يافا (على بعد ١٠ كلم من يافا) وكانت تتحكم في هذا الطريق ، لأن اليهود المتمركزون فيها كان بامكانهم ضرب كل سيارة خارجة او قادمة من والى يافا وقد فشلت ثلاث عمليات ، وعلة ذلك استعمال متفجرات واطئة (او دافعة) كالبارود والامونال للحشوات الخارجية بدلا من المتفجرات العالية (او الناسفة) كالديناميت والبارود القطني و (ت.ن.ت.)، وكانت كميات المتفجرات توضع بصورة عفوية وبدون دراسة المكان وحساب الكمية اللازمة واستعمال قوانين التخريب .

— أما العصابات اليهودية ، فكانت على اعلى مستوى من حيث استعمال المتفجرات، والدليل على ذلك انه حدث بعد نسف بيت عربي في شارع العالم ان ألقي القبض على احد عناصر شتيرن من قبل رجال المقاومة العرب ، وقد وجد في جيبه دفتراً صغيراً تبين بعد ترجمة بعض اوراقه ان صاحب الدفتر يتلقى محاضرات تطبيقية في فن استخدام المتفجرات، وأهم ما ورد فيه :

١) المطلوب : نسف ركائز خزان المياه لبلدية يافا .

الطريقة : استعمل القانون البسيط لنسف ركائز الاسمنت المسلح الذي ينص على حساب حجم القطعة المراد قصفها بالأقدام المكعبة ، ثم ضع المتفجرات (ولتكن ديناميت) على اساس باوندين لكل قدم مكعب .

٢) نسف غرفة مضخة سحب المياه للخزان المذكور : الغرفة من الاسمنت المسلح .

الطريقة : احسب حجمها بالاقدام المكعبة ، اضرب الناتج بالمعدل الوسطي لسماكة السقف والجدران ثم اقسم الناتج على ١٠٠ واضرب الحاصل باثنين فيكون حاصل العملية مقدار المتفجرات اللازمة للنسف بالباوندات من المتفجرات العالية (ديناميت او جيلينيت او بارود قطني) .

ملاحظة : عند نسف بناء غير مسلح تستعمل نصف الكمية .

توضع الكمية داخل الغرفة وتسد النوافذ والباب للمحافظة على قوة الضغط .

٣) اذا اردت قطع قضيب حديدي (فولاذي) استعمل القانون التالي :

ح = ٢/٣ × ق٢ « ح :ترمز للكمية اللازمة من عدد قوالب البارود القطني الرطب زنة الواحد باوند . ق : ترمز لقطر القضيب بالانشات » .

وباعتبار ان هذه القوانين بريطانية وتدرس بكراسات المعاهد العسكرية البريطانية فبامكان الباحث العسكري المختص ان يستدل بأن المدرب اما ان يكون بريطانيا او احد الضباط اليهود الذين تخرجوا من معاهد عسكرية بريطانية ابان الحرب العالمية الثانية .

الفصل التاسع

دور الجيوش العربية في معارك فلسطين

مع ان الكتاب لا يبحث في الحرب النظامية التي خاضتها الجيوش العربية في فلسطين خوضاً مجازياً ، لا بد للباحث من عرض هذا الموضوع بصورة مقتضبة حتى يعطي للقارىء صورة واضحة تثبت ان الجيوش العربية لم تدخل في حرب ضد الصهيونيين بصورة جدية ، وانما اراد الاستعمار ان يوهم العالم بأنها دخلت او تدخلت في حرب فلسطين ضد اليهود وانهزمت ، ليعطي للعالم ابشع صورة عن العرب تتصف بالجبن والضعف والتعدي على الشعب اليهودي قليل العدد في فلسطين ، قائلاً إن سبعة جيوش عربية هزمت جميعها بفضل « بطولة » اليهود « وعدالة » قضيتهم .

بعد ان استيقظت الدول العربية من سباتها وتخلت عن الفكرة الخاطئة التي كانت مسيطرة عليها، وهي ان بامكان الفلسطينيين وحدهم القضاء على القوات الاسرائيلية ، اوحت اللجنة العسكرية في تقريرها الذي قدمته بتاريخ ٢٧/ ١١ /٤٧ (قبل صدور قرار التقسيم بيومين) ضرورة دخول القوات العربية النظامية للتغلب على القوات الاسرائيلية ، تعاونها القوات الفلسطينية غير النظامية .

وذكرت اللجنة في تقرير آخر قدم بعد شهرين : «يجب على الجيوش العربية ان تشترك بحركات انقاذ فلسطين لأن للصهيونيين قوات مسلحة ومنظمة ومن المنتظر ان تأتيهم من وراء البحار امدادات لا تنضب» . ومع ذلك بقيت الدول

العربية على موقفها . فلم تأمر بحشد جيوشهـا على حدود فلسطين ولم تتخـذ اي موقف جدي للقتال الا بعد ان اضـاعت شهرين انهزم خلالهما جيش الانقاذ في معظم معاركه وسقطت القسطل ودير ياسين وغيرها من المواقع الاستراتيجية بيد اليهود .

ظل الموقف مائعاً الى ان انعقد في عمان بتاريخ ١٩٤٨/٤/٣٠ اول مؤتمر لرؤساء اركان الجيوش العربية حضره الامين العـام للجامعة ورئيس اللجنة العسكرية . وقد اتخذت فيه القرارات التالية بالاجماع:

١ – ان التغلب على القوات اليهودية يتطلب ما لا يقل عن ست فرق كاملة التنظيم والسلاح وستة أسراب من الطائرات المقاتلة والقاصفة .

٢ – يجب أن تكون القوات العربيـة التي ستخوض غمار القتـال خاضعة لقيادة عربية موحدة على ان تسيطر هذه القيادة على تلك القوات فتحركها وفق خطة معينة .

ان هذا الطلب الذي قدمه العسكريون للتغلب على القوات اليهودية ، وهي ست فرق (لو اعتبرنا الفرقة الواحدة ١٢ ألف يكون العـدد التقريبي هو ٧٢ ألف جندي) لم يكن في استطاعة الدول العربية تأمينه . الا ان رؤساء الاركان عقدوا اجتماعات عدة خرجوا منها بخطة موحدة لحركات الجيوش العربية بأعداد تقل كثيراً عن ست الفرق المذكورة . ومع ذلك فقـد استبدلت الخطة بخطة أخرى بناء على طلب الفريق جلوب باشا رئيس اركان الجيش الاردني آنذاك . وكان الهدف من تدخل جلوب هو استخدام الجيش الاردني للدفاع عن المناطق المخصصة الى العرب وفق قرار التقسيم كما اعترف بعـد وقوع الكارثة في كتابه « جندي بين العرب » .

وبعد مناورات كانت تجري وراء الكواليس ، تمكن الملك عبدالله من تولي القيادة العامة للجيوش العربية . وقد عارضت بعض الدول الا انها قبلت أخيراً أمر بقائه قائداً عاماً مـع تعيين نائب عام لأمور القيادة الفعلية . وكان هـذا المنصب من نصيب اللواء الركن نور الدين محمود قائد القوات العراقية .

العمليات الحربية للجيوش العربية وأسباب فشلها

لم تدخل الجيوش العربية ارض فلسطين قبل ١٥/٥/١٩٤٨ لأن الدول العربية رضخت للانذار البريطاني الذي كان ينص : « بأن أي تدخل عسكري في فلسطين من قبل الدول العربية قبل التاريخ الذي حددته لجلاء قواتها (وكان ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ يعتبر عدواناً ستقابله بالقوة.. » في الوقت الذي تركت فيه بريطانيه لليهود حرية العمل العسكري داخل فلسطين ، فكانت القوات الصهيونية تعتدي على المناطق العربية وتهاجم الجيش البريطاني نفسه في معسكراته. أرادت بريطانيه ان تسير الأمور وفقاً للسياسة التي خططتها مسبقاً . فقد تبنت مشروع التقسيم ووعدت اليهود بتحقيقه وأخذت تمهد السبيل لاقامة القواعد والأسس القوية لتدعيم دولة اسرائيل .

تركت الدول العربية الأمور تسير وفقاً لهذا المخطط راضية أم مرغمة . وقد زاد الطين بلة اهمالها حشد جيوشها على حدود فلسطين ، حتى بعد صدور قرار التقسيم في ٢٩/١١/١٩٤٧ ، لتستفيد من الأشهر الخمسة التي سبقت ١٥ ايار سنة ١٩٤٨ ، لاتمام عمليات حشد جيوشها ونقل سلاحها ومعداتها كي تكون على أهبة الاستعداد للدخول الى فلسطين في الموعد الذي سمحت لها بريطانيه أن تدخل فيه ، ان كان لبريطانيه (جدلاً) حرية التدخل حتى بمثل هذه الأمور التي تتعلق بأمن شعب فلسطين والمحافظة على ارض اجداده .

وقبل ان نخوض في التفصيلات التي تخرج عن نطاق هذا الكتاب فيما يتعلق بالدوافع السياسية، وما كان يجري وراء الكواليس للسير بالقضية الفلسطينية الى طريق الهاوية ، ترانا مضطرين للتركيز على الأمور العسكرية التي تهمنا في هذا البحث . لقد بدأت حرب فلسطين في ١٥/٥/٤٨ بمعارك قليلة دامت اقل من شهر حيث أعلنت الهدنة الاولى في ١١/٦/٤٨ لمدة أربعة أسابيع استؤنف بعدها القتال عشرة ايام أخر لتعلن الهدنة الثانية في ١٩/٧/٤٨ لأجل غير محدود .

عرض لقوات الطرفين في ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨

القوات العربية :

– الجيش المصري : ٦٠٠٠ جندي يشكلون (٣) كتائب مشاة و (٣) كتائب نظامية مع بعض الأسلحة المساندة .

– الجيش العراقي : ١٥٠٠ جندي يشكلون كتيبة مشاة وكتيبة مدرعات وكتيبة مدفعية .

– الجيش السوري: ٤٥٠٠ جندي يشكلون لواء مشاة تعززه بعض الاسلحة المساندة .

– الجيش الاردني : ٤٥٠٠ جندي يشكلون لواء معززاً .

– الجيش اللبناني : ٥٠٠ جندي يشكلون كتيبة مختلطة، فقط ظلت مرابطة على الحدود .

ان القوات العربية التي اشتبكت مع العدو يوم ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ كانت أقل من ١٥ ألف جندي حيث بقي اكثر من ٣ – ٤ آلاف جندي بدون تدخل مع العدو .

القوات اليهودية :

٢٠٠٠٠ جندي مدربين تدريباً كاملاً ومزودين بالسلاح الكامل .

١٠٠٠٠ جندي مدربين تدريباً كاملاً وغير مزودين بالسلاح بصورة كاملة.

٣٠٠٠٠ جندي مدربين تدريباً جزئياً وغير مزودين بالسلاح .

٦٠٠٠ فدائي من منظمة الارجون وأكثرهم مزودين بالسلاح .

١٠٠٠ فدائي من منظمة شتيرن مختصين بأعمال التخريب .

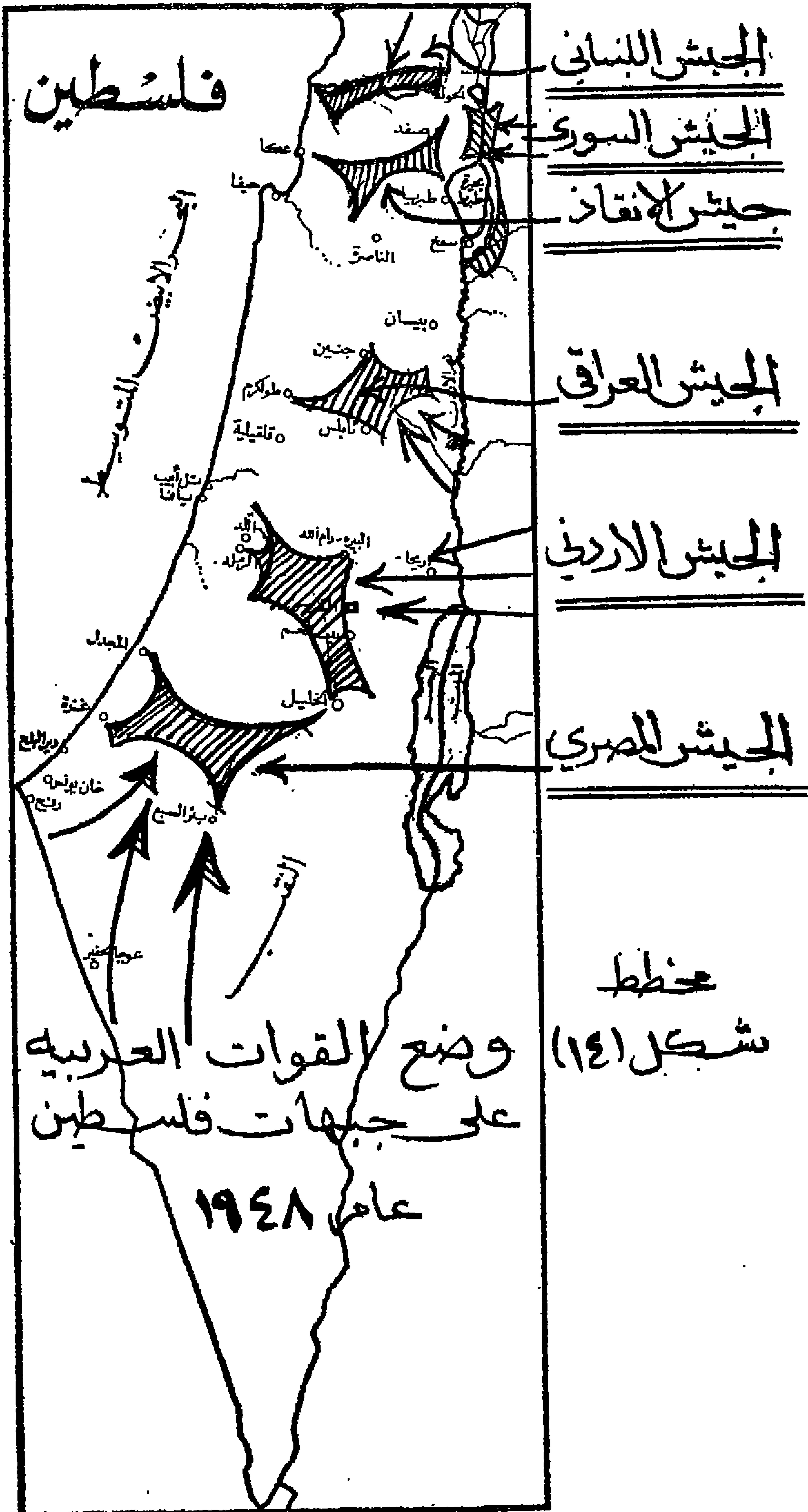
٦٧٠٠٠ المجموع العام .

ولو اعتبرنا ان المعول عليهم في القتال هم ٢٠ ألفاً ، أي المدربين والمزودين بالسلاح بصورة كاملة، يضاف اليهم ٧ آلاف فدائي، تبقى القوة المجمعة والضاربة التي تعمل تحت امرة قيادة واحدة اكثر من مجموع القوات العربية النظامية التي دخلت فلسطين بوضعهــا السيء وتسليحهــا الضعيف وقيادتها المتفككة ، ومن خلفها أجهزة سياسية كانت تعمل وفقاً لخطة مرسومة تنسجم ومتطلبات العدو. كل ذلــك أمّن لليهود الكسب السياسي الذي أدى بالنتيجة ، حسب خطة استراتيجية صحيحة ، للوصول الى النصر العسكري بجانب النصر السياسي .

المبادىء العامة التي استندت عليها القوات الاسرائيلية

في ٤٨/٥/١٥ عندما بدأت المعارك في فلسطين لم يكن اليهود يحاربون حسب استراتيجية معينــة وواضحة المعالم تمامــاً . فقــد كانوا يحاربون كما توحي اليهم الظروف العسكرية شبه المرتجلة، لاقتناعهم الأكيد ان الجيوش العربية لن تخوض حرباً فعلية ضدهم . ان معظم نشاطهم كان منصباً للحصول على النصر السياسي. وقد تمكنوا من تحقيق ذلك ممـــا ساعد على تحقيق النصر العسكري. أخذت ملامح خطتهم الاستراتيجية تظهر بوضوح بعــد الانتهــاء من الهدنة واستئناف القتــال من جديد . وكانت خطتهم مبنية على أسس ثابتــة ونتائج مضمونة لتحقيق النصر .

ارتكزت خطتهم في المناورة على اشكالها الاستراتيجية الاربعة (المناورة بالاتجاهات المائلة – المناورة على مركز ترتيب العــدو لتصديعه – المناورة على الخطوط الداخلية – والمناورة على جناح العدو) ، وكل هذه المناورات تصلح للتطبيق على مسرح العمليات في ارض فلسطين . فمن المعلوم ان أنسب الظروف لتطبيق المناورة علي الخطوط الداخلية هيعندما تكون جيوش العدو مفصولة عن بعضها بعضاً ، اذ انها احسن المناورات القابلة للتطبيق لأمة تحالفت ضدها قوى البلدان المجاورة لحدودها. وهكذا كان وضع الجيوش العربيــة . (انظر المخطط ١٤) .



مخطط
شكل (١٤) وضع القوات العربيه على جبهات فلسطين عام ١٩٤٨

استغل اليهود كذلك مبدأ الحركة (وهو من المبادىء الاساسية في الحرب) للتعويض عن القلة العددية، وذلك بتوجيه اكبر قسم من الجيش الاسرائيلي ضد كل جيش من الجيوش العربية على حدة مع تثبيت الجيوش الاخرى – هـذا مع ان بعض الجيوش العربية ثبتت مكانها لأمور سياسية دون ان تجبرهـا القوات الاسرائيلية على ذلك. وقد ساعد هذا الوضع القوات اليهودية على توجيه الضربة تلو الضربة بسرعة، مسببة في ذلك هزيمة منكرة للقوات العربية المشتتة قاذفة بها بعيداً عن أرض المعركة .

مبدأ آخر هـام من مبـادىء الحرب استغله اليهود استغلالاً حكيماً وهو (الاقتصاد بالقوى). فلكي يضمنوا توزيع قوات التغطية والالهاء، ولكي يكسبوا الوقت، استفادوا من الارض وكل ما تقدمه من موانع طبيعية وما قد بنوه مسبقاً من الملاجىء والتحصينات القوية، فقد حصنوا مستعمرات الحدود مشكلين منها مراكز دفاعية قوية . كانت وحدات التغطية اليهودية تشاغل القوات العربية بهدف تثبيتها كما حدث في الجبهة السورية على مدخل مستعمرة مشمار هيردن (كعوش) .

وكانت القوات اليهودية تلجأ في بعض الاحيان للمناورات التراجعية سالكة اتجاهاً غير مركزي ثم تنتقل للهجوم عندما تحاول القوات العربية التسلل للتدخل في معركة رئيسية دائرة، كما جرى في المعارك الوسطى من ارض فلسطين مع الجيش العربي والجيش المصري .

لقد تمكنت القوات اليهودية من تنفيذ مناورتها بنجاح . وقد ساعـدها على ذلك جهل القوات العربية للأمور الاساسية التي تطلبها القيادة الناجحة عندما تريد ان تبني خططها . ان القيادة العامة للجيوش العربية لم تدرس جيداً : الوضع العام – نفسيات المقاتلين اليهود – عددهم – درجة تهيئتهم للحرب – شكل الحدود وساحات القتال – مناعة التحصينات في المستعمرات اليهودية، وخاصة القائمة على الحدود وعلى محاور الطرق الاستراتيجية – مردود المواصلات

البرية والجوية وحتى المائية في فلسطين . واهم من هـذا وذاك لم تتحسس القيادة اهمية النصر المادية والمعنوية والمدد التقريبية للمعارك المنتظرة لمقارنتها بالقوات المتوافرة وامداداتها من التموين والذخائر ، وسرعة كل العوامل التي لها تأثيرها في المناورات المتتابعة . فلم تأخذ القيادة العربية بعين الاعتبار ، على سبيل المثال ، ان القوات اليهودية عندما كانت تناور داخـل فلسطين تملك مواصلات قصيرة ومتعددة تمكنها من القيام بحركات سريعة وتؤمن نقل قطعاتها من مكان لآخر بأسرع وقت ممكن .

لقد طبّق اليهود المناورات على الخطوط الداخلية تطبيقاً جيداً مستغلين العناصر والظروف الملائمة لتحركاتهم في ساحات ضعيفة وضيقة فرضتهـا عليهم طبيعة فلسطين ومساحتها المحدودة مما ساعدهم على النصر . أضف الى ذلك ان حركة الجيوش العربية كانت بالنسبة للقوات اليهودية ، سريعـة الحركة ، بطيئة جداً .

استغل اليهود بطء العرب في حركاتهم وتأخرهم في اخذ قراراتهم ثم الفـترة الزمنية بين الهدنتين وتمكنـوا من تشكيل لوائين مدرعين ولواء محمول اضافـة لقواتهم في المراحل الاخيرة من معارك فلسطين ، في حين كانت القوات العربية تصادر سيارات الركوب المدنية وسيارات نقل البضائع لنقل جنودها للجبهات. فهزيمة جيش الانقاذ في الجليل مثلاً ، كان من اهم أسبابهـا ضعف الحركة المتأتية عن عدم وجود قطعات منقولة آلياً .

وضع القوات العربية على جبهات فلسطين بدءاً من الشمال الى الجنوب :

١) — **الجيش اللبناني:** كان متمركزاً على الحدود اللبنانية — الفلسطينية على الخطوط المارة من رأس الناقورة على الساحـل غرباً الى عيترون فمرجعيون شرقاً ، ويبلغ طول جبهته أكثر من ٧٩ كيلومتراً .

٢) — **جيش الانقاذ :** كان يحتل الجليل الشمالي حتى حدود الناصرة جنوباً

والخطوط المارة بتربيخا – ترشيحـا – البروة غرباً ثم المالكية – ميرون – فراضية – المغار – عيلبون شرقاً .

٣) – **الجيش السوري**: كان موزعاً قواه على الخطوط المارة بالمناطق الثلاث:

– بانياس شمالاً .

– جسر بنات يعقوب في الوسط .

– الحمة جنوباً .

ويبلغ طول جبهته ٧٦ كيلومتراً .

٤) – **الجيش العراقي** : كان متمركزاً في الضفة الغربية من المملكة الاردنية حالياً ويحتل ما يسمى بالمثلث الخطر الذي تتكوّن رؤوسه من جنين – نابلس – طولكرم . واذا اضفنا قلقيلية يصبح هذا المثلث متوازي الاضلاع وقد استلمه الجيش العراقي من قوى الانقاذ بعد ان انتقل الى الجليل . ويشرف هذا الجزء من فلسطين على خط المستعمرات الساحلية : وكان اهمهـا آنـذاك : هاكوفتش – كفر سابا – بيار عدس .

٥) – **الجيش الاردني** : كان يحتل شبه المنحرف من ارض فلسطين المكوّن من خط اللد والرملة ويؤلف القاعدة الصغرى له ثم خط الخليل رام الله ماراً ببيت لحم والقدس القديمة ونصف الجديدة تقريباً ويحاصر النصف الآخر، ويؤلف هذا الخط القاعدة الكبرى لشبه المنحرف المذكور .

٦) – **الجيش المصري** : كان يحتل شبه المنحرف الذي تتكون قاعدتـه الصغرى من خط غزة – المجدل، وقاعدته الكبرى: بئر السبع – الخليل ويتصل هناك بالجيش الاردني . كان الحد الشمالي للجيب المتكوّن هو خط المجـدل – الفالوجه – بيت جبرين – جبال الخليل، حاصراً في داخله عدة مستعمرات سقط بعضها وبقي البعض الآخر محاصراً .

هذا هو الوضع العام لتمركز الجيوش العربية (راجع المخطط رقم١٤) قبل انهزامها بأيام معدودات مضت دون ان تشتبك مع اليهود في معارك جديدة . فقد كان كل شيء هادئاً على الجبهة، واليهود واثقون بأن النصر سيكون حليفهم . فقد كانوا يدركون ان الجيوش العربية لن تتحرك جدياً للتحرير وكانت الفكرة السائدة بينهم بأن العرب لن يقوموا بهجوم موحد وشامل .

وبينما كانت القوات العربية مكبوحة الجماح والحكام العرب متفقون فيما بينهم على انهاء القضية الفلسطينية بهذه الكارثة المفجعة، انتقل الصهيونيون من وضع الدفاع الى الهجوم مستغلين المناورة على الخطوط الداخلية احسن استغلال . وكانت خطتهم الحكيمة توجيه الضربة القوية الاولى ضد اقوى الجيوش العربية آنذاك – الجيش المصري . فاضطر الجيش المصري للتراجع وحوصرت بعض قواته في الفالوجـه . ثم اوقف الصهيونيون هجومهم في النقب مثبتين القوات المصرية في مراكزها ليتاح لهم المجال للتحرك الى شمال فلسطين بلوائين مدرعين تمكناً من دحر ومطاردة جيش الانقاذ خارج الجليل الى الحدود اللبنانية. وكانوا واثقين في كل عملية بأن القوات العربية في الاماكن الأخرى لن تتحرك – باستثناء بعض معارك محلية كانت تتصف بالدفاع المستكن . بعد ان نجحت عمليات القوات الصهيونية في الجليل، اعادوا هجومهم في النقب وتمكنوا من ضرب القوات المصرية من الجانب ومن الأمام (بالمناورة الجبهية على الركز والمناورة بالاتجاه المائل). وهكذا سقطت بئر السبع واصبح الجناح الايمن للقوات المصرية مهدداً بالتطويق وحدودها مهددة بالاختراق . ان وضعاً كهذا يماثله أوضاع مشابهة في الجبهات السورية والاردنية والعراقية ساعد على انهاء القضية الفلسطينية بهذا الشكل الغريب وبتلك البساطة واللامبالاة من قبل المسؤولين العرب يوم وقعت الواقعة .

مباديء الحرب التي خالفتها الجيوش العربية وساعدت على هزيمتها

سبق ان قلنا ، في الباب الخامس ، انـه وضعت مباديء عديدة للحرب ، وارتأت كل امة من الامم وضع مباديء خاصة تتلاءم وانظمتها الاجتماعية، وان هذه المباديء وان اختلفت من حيث الشكل يبقى هناك قاسم مشترك يجمعها من حيث المحتوى ، لأن اختلاف هذه المباديء سواء في الشكل او المحتوى يبقى وليد الظروف الموضوعية والحسية والتاريخية التي تحيط بكل امة من الامم . اما اسرائيل فقد تبنت ثلاثة مباديء اساسية هى : المناورة، المرونة، والسرعة في الادراك والقرار والتنفيذ . وهذا لا يمنـع من اعتمادهـا المباديء الأخرى وخاصة الاميركية وتطبيقها بكل دقة واتقان وفقاً لما تقتضيه ظروف المعارك التي خاضتها وتخوضها في ارضنا المحتلة .

واننا لنتساءل : هل طبّق العرب استراتيجية معينة واضحة المعالم ومحددة الأهداف ، وأية مباديء حربية استند عليها قادة العرب في قتالهم – ان كان قد حدث قتـال بالمعنى الصحيح؟ نكتفي بالتعرض لبعض المباديء الاساسية التي خالفتها القيادة العربية وأدت بالتالي لوقوعها في اخطاء فادحة :

١) التحشد : مبدأ التحشد هو من أهم مباديء الحرب . وقد خالفته الدول العربية مخالفة واضحة ، اذ انها لم تحشد قواتها وامكاناتها المادية والبشرية لحرب فلسطين . فقد رأينا كيف دخلت الجيوش العربية ارض فلسطين قطعة بعـد قطعة بدون خطـة مدروسة وبمجموع لا يتجاوز خمسة عشر الف جندي ، في ١٥ أيار ١٩٤٨ . كان بوسع الدول العربية ان تحشد ثلاثة اضعاف هذا العدد من قواتها النظامية وتعلن التعبئة العامة مستغلة طاقات الشعب العربي ، غير ان ذلك لم يحدث لان العرب كانوا في غفلة من امرهم ، فلم يكن في اية دولة عربية آنذاك اية انظمة او قوانين للتعبئة العامة واعلان النفير . وكانت موارد الشعب

العربي وطاقاته البشرية مشتتة فلا وحـدة في الفكر ولا ارتباط في التنظيم ولا اتفاق على الاسلوب أو الهدف . وأهم من هذا وذاك الدخول للحرب مـع عدم الشعور بالمسؤولية والجدّ في القتال أو ادراك النتائج البعيدة للمعركة .

٢) الهجوم والحركة : ان مبادىء الحرب ترتبط فيما بينها ارتباطاً جدلياً . ومعنى ذلك ان مخالفة مبدأ ما، يؤدي بصورة آلية الى التأثير السلبي على المبادىء الأخرى . ان الحركة والهجوم هما المبدآن الديناميكيان في الحرب . فبدون حركة وهجوم ، لا معارك ولا انتصار بل سكون ثم موت . وهكذا عندمـا خالفت القيادة العربية مبدأ التحشد وظلت قواهـا مشتتة ومجزأة ، وعندمـا أرادت أن تحركها للقيام بالهجوم فاتها الوقت وخسرت عنصر الزمن الذي يلعب دوراً حاسماً في كل المعارك ، بينما ترك العدو يتحرك في كل الجبهات بكل حرية ومرونة ليضرب على انفراد كل قوة من القوى العربية في الارض التي كانت تحتلها كما أوضحنا سابقاً ، لأن القوات العربيـة كانت في أوضاع صعبة فرضتها عليها الظروف السياسية بالاكراه . وهكذا كانت الحركة لكل قطعة مقيدة والهجوم تحول الى دفاع ، والدفاع أضاع فلسطين .

٣) التعاون : أما مبدأ التعاون فقد أهمل اهمالاً ذريعاً . فقد رأينا الجيوش العربية تحارب فرادى في جبهات مستقلة يكاد الاتصال بينها ان يكون معدوماً. ان الثقة المتبادلة هي أساس التعاون بين القيادات العربية ومثل هـذا الشرط كان مفقوداً بـين الحكومات . كان الجيش المصري يُضرب ضربات قاسية في الجنوب بينـما الجيوش الأخرى كانت تقف بدون حركة . وكان الجيش الآخر يريد ان يخترق فلسطين من وسطها ولكنه يخاف من جيش عربي آخر سيقطع له خطوط مواصلاته ولا يساعده اذا ما اصبح جناحاً من جناحيه مهدداً .

٤) وحدة الهدف وتحقيق الوصول اليه : كان كل عربي قبل حدوث النكبة يعلم ان هـدف الصهيونيين الأساسي هو : الاستيلاء على اكبر قسم من فلسطين لتأسيس دولة اسرائيل . وكان مثل هـذا الهدف بالنسبة للصهيونيين هدفاً

واضح المعالم ومحدداً في اتجاهه العـــام . وكان كل عربي – عسكرياً كان أم مدنيـاً – يعلم ايضـاً ان القضاء على الخطر الصهيوني لا يتم الا بتحطيم القوات اليهودية المسلحة واعادة الارض المحتلة لتأسيس دولة عربية من ابناء فلسطين .

ان الخطط الحربية لجميع الجيوش العربيـة لم تكن تهدف الى تدمير القوات الاسرائيلية ، فقد كان الدفاع المستكن او الهجمات المحلية غـير الهادفة هو الطابع المميز لكل اعمالها الحربية . فالجيش اللبناني لم يدخل فلسطين بل توقف عند الحدود الشمالية متخذاً خطة الدفاع المستكن منذ بداية الحرب حتى نهايتها. وكان الجيش الاردني ينفذ خطة التقسيم التي كانت حكومته قد قبلت سراً بها ، لذلك فانه اكتفى باحتلال المناطق المخصصة للعرب وفق تلك الخطة والدفاع عنها. واحتل الجيش العراقي منطقة المثلث العربي التي كانت خالية من العـدو وبذل جهوده في الدفاع عنها ضد هجمات اليهود . واما الجيشان المصري والسوري فقد انصرفا الى مهاجمـة المستعمرات الصهيونية التي استنفذت من جهودهما وقواهمـا الشيء الكثير ، فلما اصطدمـا بالقوات الاسرائيلية الرئيسية لم يعد في وسعهـما الاستمرار على التعرض فاضطرا قلب خططها الهجومية الى الدفاع .

نموذج من المعارك التي قام بها الجيش العربي الاردني

تسليم الـلد والرملة

يحتار الانسان عندما يريد ان يكتب عن هذه المعارك ان كانت تستحق ان نسميهـا معارك ، خاصة معارك اللد والرملة ، لأن مجريات الأمور كانت تحمل طابع التسليم اكثر من طابع المعارك. ولقد صدق أحد الضباط العراقيين عندما ذكر في استقالته بعد معركة جنين ، لمـا شعر به من المؤامرات والخيانات التي كانت تدبر لتسليم مدن وقرى فلسطين الواحدة تلو الأخرى : « ان معركة فلسطين على ما بدا لي عبارة عن رواية تمثيلية ، ولما كنت لا أرغب ان اكون أحد الممثلين فالرجاء ان تقبلوا استقالتي » .

معارك اللد

الوضع العـــام :

قبل الهدنة الثانية، تموز (يوليو) ١٩٤٨ ظلت القوات العربية على ما كانت عليه من الضعف المادي (بالسلاح والذخيرة)، والمعنوي نتيجة للانكسارات المتلاحقة في معظم الجهات ، في الوقت الذي ضاعفت القوات اليهودية من قدرتها العسكرية مستغلة عقد الهدنة الاولى . وقد وصلت آنذاك الى ساحل نتانيا الباخرة (الطالينا) المحملة بالسلاح وافرغ منها الاسلحة التالية (٥٠٠٠) بندقية ، (٤) ملايين طلقة ، (٣٠٠) رشيش انجليزي (برن) ، (١٥٠) رشاش هوشكيز ، خمس دبابات ، عدد كبير من السيارات ، بضعة آلاف طلقة مضادة للطائرات ، وغير ذلك من المعدات الحربية .

الوقت : من ٩ — ١١ تموز سنة ١٩٤٨ .

المكان : اللد: مدينة عربية تقع على بعد ١٥ كيلومتراً جنوب شرق مدينة يافا . كان يعيش فيها قرابة (١٧) ألف عربي . تمتاز بموقع استراتيجي وفيها يقع اكبر مطار في فلسطين واكبر محطة للخطوط الحديدية .

الهدف : كان الهدف بالنسبة لليهود احتلال الرملة واللد نظراً لأهمية هاتين المدينتين الداخليتين ووقوعها بين أهم مدينتين ساحليتين (يافا—تل ابيب) والقدس. وكان سقوط هاتين المدينتين بالنسبة للعرب يعني عزل مدينة يافا وقراها نهائياً عن المدن الداخلية والساحلية واكمال ضرب الاسفين لشطر القوات العربية الى شطرين بعد السيطرة والاستيلاء على أهم محور داخلي في فلسطين وهو الذي يمرّ من يافا — الرملة واللد — اللطرون — القسطل — القدس .

حجم القوى

القوى الصديقة : ٧٥ مقاتلاً من قوات الجهاد المقدس : تدريبهم غير مكتمل .

٢٥٠ من رجال الحرس البلدي : تدريبهم غير مكتمل .

٦٥٠ من القرى المجاورة يأتون للنجدات بصورة عفوية غير منظمة .

٤٠ جندياً في الجيش العربي الاردني ما يعادل (فصيلة مشاة معززة) .

كان تسليح هذا العدد من الرجال (الذي لا يكفي من الناحيتين الكمية او الكيفية ، للدفاع عن قرية) ضعيفاً ، والذخيرة لا تكفي لاكثر من ٢٤ ساعة ، وتمكن احصاؤها كما يلي : ١١ مصفحة ، ٣ مدافع مورتر ، مدفعان متوسطان ، ٦ مدافع مضادة للدبابات ، ٢٥ رشيش (برن) ، ٧ رشيشات (ستن) ، ١٥٠ بندقية متنوعة العيار والصنع ، ٤ رشاشات هوشكز ، ٩ مسدسات ، ١٨٠ صندوق ذخيرة متنوعة ، كمية قليلة من القنابل والالغام .

ان تحليل قوة هذه العناصر (من الرجال والعتاد والسلاح) من الوجهة العسكرية يبرز لنا مكامن الضعف التي كانت مسيطرة في كل مكان من الجبهة . ويكفي ان نأخذ هذه الفكرة وهي : ان قوة تقل عن السريتين من حيث العدد والتسليح (هذا لو تركنا جانباً ضعف التدريب والقيادة) تعطى لها مهمة الدفاع عن مدينة كانت تبلغ مساحتها ٣و٨٥٥ دونماً، ومساحة القرى المجاورة لها ولمدينة الرملة ٣٨,٩٨٣ دونماً، كلها أراضي منبسطة خالية من التضاريس او المرتفعات التعبوية مما يزيد من صعوبات الدفاع ، اضف الى ذلك ان القوة النظامية الصغيرة والقوات غير النظامية لم تقم بأي عمل تحصين ولو كان بدائياً كحفر الخنادق الفردية او الحفر المضادة للدبابات .

القوى المعادية : ٥٠٠٠ مقاتل اكثرهم من فرق الصاعقة (البالماخ) مزودين بأحدث الاسلحة وكانت كل وحداتهم منقولة مما زاد في سرعة تحركها ونجاح مناورتها الرامية الى عزل المدينة بعد تطويقها .

خطط وترتيب الجانبين : بالنسبة للعرب المدافعين : لم تكن هناك خطة مدروسة وعلى مستوى الدفاع عن مدينة هامة كاللد . كان الأمر مقصوراً على

توزيع القوات آنفة الذكر على بعض المواقع الهامـة في المدينة كالمطار ومحطة السكة الحديدية وطريق الرملة – اللد وبعض المواقع المؤدية الى الشوارع الرئيسية للمدينة . لم تكن المواقع مرتبطة مع بعضها بعضاً لا بالنار ولا بالاتصال السلكي او اللاسلكي .

اخذت القوات اليهودية محورين للهجوم ، يبدأ الاول من الطريق المار بقرية خلدا – القباب ثم يتجه شمالاً ماراً بقرية عنابة – جمزو – دانيال – ديرابي – سلامة . ويبدأ الثاني من مستعمرة ملبس ويمر برأس العين – مجدل صادق – قولة – المزرعة – دير طريف – بيت بنـالا . وفي قرية بيت عريف تلتقي القوتان على بعد اربعة كيلومترات شرقي اللد .

سير المعركة : بعد اشتباكات قصيرة ادت الى ابادة بعض المراكز العربية الضعيفة تمكنت القوات اليهودية في اليوم الأول من الاشتباكات، ٩ تموز (يوليو) من تطويق مدينة اللد . وقد دخل ضمن هذا الطوق مدينة الرملة التي تبعد ميلاً واحداً عن اللد .

استمر الهجوم حتى صباح (١٠ تموز) حيث تم الاستيلاء على مطـار اللد وتمكن اليهود بعد احتلالهم للمطـار من الارتباط مع قواتهم التي كانت جاهزة كاحتياط في مستعمرة بن شيمن والمستعمرات الأخرى المجاورة لهـا . وعززت القوات اليهودية هجومها بالطائرات حيث قصفت بعض الاماكن الهامة في اللد والرملة . ولم تحرك قوات الجيش العربي ساكنا، ولم تطلق طلقة واحدة بل بقيت مع مدفعيتها ومدرعاتها رابضة في قرية بيت بنالا .

في منتصف يوم (١١ تموز) شن اليهود هجومهم المركز من الناحية الشرقية القريبة من قرية دانيال بعد ان مهدوا لهذا الهجوم برمايات مدفعية الهاون المتوسط والثقيل والقصف الجوي .

في الساعة الرابعة من اليوم نفسه وبعد مقاومة استغرقت ساعات قلائل ادت الى انسحاب المجاهدين، نظراً لنفاذ ذخيرتهم وعدم قدرتهم على الصمود امام قوات

تفوقهم اضعافاً مضاعفة من حيث العدد والتسليح ، دخلت القوات اليهودية المدينة من جهة بن شيمن بالمصفحات وسيارات الجيب . اما المشاة فدخلوا المدينة من ناحية جمزو آخذين وجهتهم الى الشارع العام للمدينة . لقد سقطت المدينة مساء (١١ تموز) وتم لليهود الاستيلاء عليها .

الخسائر : خسر العرب مدينة اللد وبعض القرى المجاورة لها . وقد ذكرنا اهمية هذه المدينة من الناحية العسكرية وهدف اليهود من احتلالها . وخسروا ايضاً ٤٢٦ شهيداً من العرب ، قتل منهم ١٧٦ في احد مساجد اللد . وكانت خسائر سكان اللد قد بلغت منذ بدء النضال ١٫٣٠٠ قتيلاً استشهد منهم ٨٠٠ في ساحات القتال . واما الباقون فقد ماتوا اما قتلاً في منازلهم او جوعاً وعطشاً بعد خروجهم من المدينة في الطريق الى رام الله والقرى المجاورة . وأجبر اليهود بعد احتلالهم المدينة ، العرب على اجلائها يوم (١٣ تموز) وكان فيها آنذاك اكثر من (٥٠) الفاً ، القسم الاكبر من اللاجئين الذين سكنوا اللد بعد سقوط مدنهم وقراهم . ولم يسمح اليهود لاحد حمل اي مال او متاع ، اما النساء فقد جردن من حليهن .ومات اكثر من٣٣٥ شخصاً اكثرهم من النساء والاطفال بعد طردهم من المدينة وهم في الطريق من اللد الى رام الله من جراء الحر والعطش والجوع .

معارك الرملة

الوقت : الساعة ٤:١٥ (بعد سقوط اللد بساعتين) ١١ تموز (يوليو) سنة ١٩٤٨ .

المكان : بدأت معركة الرملة الرئيسية امام قسم البوليس الكائن بين اللد والرملة .

الهدف : متابعة الهدف الاستراتيجي المقصود من احتلال الرملة واللد كما ورد في معارك اللد .

حجم القوى :

القوى الصديقة : سرية من الجيش العربي الاردني بقياد الرئيس اديب القاسم

غادرت الرملة مساء ١١ تموز ، ثم غادرها المجاهدون في منتصف الليل .

— ٣٠٠ مناضل منهم (٥٠) من الجهاد المقدس ، كانوا مسلحين بالبنادق الانجليزية العادية والالمانية ، (٧) رشيشات (برن) نيكرز ، ثلاث رشاشات هوشكيز ، مدفع مضاد للدرع رشاشين طراز لويس ، اربع مصفحات .

القوى العدوة : — ٥٠٠ جندي مشاة من اليهود .

— اربعة مصفحات تحمل رشيشات برن .

سير المعركة : كانت فئة معززة من الجيش العربي ترابط في عمارة البوليس يؤازرها خمسون مناضلاً. حدث الاشتباك الاول بين العرب واليهود وقد امتدت المعركة الى بئر الزئبق وكرم عبد الرحمن التاجي . وفي هذا الاشتباك اندحر اليهود تاركين اربع مصفحات متعطلة مع عدد من القتلى والجرحى .

عملية التطويق : في يوم (١٢ تموز) تقدمت نجدات كبيرة من اليهود ، كان قسم منها يتمركز في قرية القباب العربية التي احتلت في غضون الهدنة وقد سلكت صوب الكنيسة — عنابة — جمزو — دانيال ، وسيطرت هذه النجدات على القطاع الكائن الى الشرق من الرملة . وتقدمت قوات اخرى من مستعمرة ملبس الواقعة الى الشمال من الرملة واحتلت قريتي قولة والمزيرعة . وتقدمت قوة ثالثة كانت متمركزة في مستعمرة بن شيمن . تمكنت هذه القوات الثلاث من تطويق الرملة في الوقت ذاته الذي تم فيه انسحاب سرية الجيش العربي ، وبذلك سقطت مدينة الرملة بيد اليهود في صباح يوم الاثنين الموافق (١٢ تموز) سنة ١٩٤٨ .

الخسائر : سقوط مدينة عربية لا يقل موقعها الاستراتيجي عن مدينة اللد وطرد جميع سكانها العرب ما عدا (٤٠٠) نسمة . الى جانب سقوط ٣٦ شهيداً وعدد كبير من الجرحى .

نموذج لمعارك العرب الفلسطينيين عام ١٩٤٨

معارك القسطل من ٤ — ٨ نيسان (ابريل) سنة ١٩٤٨

ما من مواطن عربي مهتم بالقضية الفلسطينية يعود بأفكاره لعام النكبة ١٩٤٨ الا ويتذكر معركتين داميتين خاضهما ابناء شعب فلسطين ، الاولى معركة القسطل بقيادة البطل الخالد عبد القادر الحسيني ، ومعركة دير ياسين التي اظهر فيها اليهود ابشع صورة وحشية عندما قتلوا غدراً اكثر من ٢٥٠ نسمة بين رجل وامرأة وطفل وشيخ ومثلوا بالنساء وقطعوا بطون الحوامل وشوهوا الوجوه وحطموا الجماجم .

وقبل ان ندرس معارك القسطل النموذجية لا بد لنا من ذكر البطل الشهيد عبد القادر الحسيني الذي ولد في مدينة القدس عام ١٩٠٨ من اب مناضل هو طليعة الشهداء، موسى كاظم الحسيني. نال الشهيد عبد القادر ليسانس في الصحافة والتاريخ من الجامعة الاميركية في القاهرة وأبت روحه المتوثبة ورجولته الا ان يكرس حياته للجندية ، الأمر الذي دفعه للدراسة العسكرية . وقبل النكبة عيّن قائداً لمنطقة القدس وسجن اكثر من مرة واشترك بأكثر من ثورة، الى ان استشهد مع بعض رفاقه في السابع من نيسان (ابريل) عام ١٩٤٨ بعد ان اظهر بسالة فائقة في معركة القسطل حيث دحر القوات اليهودية التي كانت تفوق قواته عدداً وتسليحاً .

معركة القسطل

(الأولى والثانية)

مكان المعركة : قرية القسطل العربية التي تقع في منطقة جبلية مشرفة على طريق القدس — يافا وعلى بعد ٨ كم من القدس .

الوقت : من ٤ — ٨ نيسان عام ١٩٤٨ .

الهدف : استرداد القرية العربية — القسطل ، التي احتلتها قوات البالماخ

اليهودية في (٣ نيسان) سنة ١٩٤٨، بغية تموين مئة الف يهودي في القدس، حيث كانت هذه القرية تسيطر على خط المواصلات الذي يموّن مدينة القدس من تل ابيب والمستعمرات المجاورة .

اهمية الهدف بالنسبة للعدو : تقع القسطل على موقع استراتيجي هام يشرف على مدينة القدس، ومن يسيطر عليها يستطيع امتلاك الطريق الهام، حيث تتمكن القوات اليهودية منه تموين اليهود المحاصرين آنذاك في مدينة القدس .

حجم القوى :

القوات الصديقة : كانت متبدلة في الايام الثلاثة الاولى، ابتدأ بفصيلين الى ان اصبحت في اليوم الاخير عندما قدم القائد عبد القادر ثلاثة فصائل مدعومة بحوالي ٥٠٠ مناضل قدموا كنجدات من القرى المجاورة . وكان تسليحهم ضعيفاً ولم تدعمهم اسلحة مساندة باستثناء مدفع هاون عيار ٣ انش . اما الذخيرة فكانت قليلة جداً .

القوات العدوة : — كتيبة مشاة من البالماخ .

— سرية مصفحات .

— فصل هندسة ميدان .

— نجدات من حرس المستعمرات من ٣٠٠ — ٤٠٠ رجل.

سير المعركة : — في الهجوم الاول (٤ نيسان) طوق المناضلون قرية القسطل من اطرافها الجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية واحتلوا التلال الواقعة بينها وبين عين كارم . ثم احتلوا التلال بعد قتال عنيف خسر المناضلون فيه ثلاثة قتلى وخمسة جرحى وخسر اليهود خمسة وعشرين قتيلاً .

وفي (٥ نيسان) نسف المناضلون الجسر الكبير القريب من قالونيا لمنع يهود القدس والمستعمرات المجاورة (كجبعات شاؤول ومنتفيوري وبيت هاكيم) من نجدة اليهود في القسطل .

وفي ٦ نيسان هـاجم المناضلون بقيادة عريقـات وأبو دية وبركات محـاجر الباشار ونسفوها وهاجموا الاستحكامات التي اقامها اليهود ونسفوها ايضاً . وقد انسحب العرب بعد ان نفذت ذخيرتهم لتعاد الكرة من جديد .

المعركة الأخيرة لاعادة القسطل : – قادها البطل عبد القادر الحسيني الذي عاد من سوريه عندما اتاه نبأ سقوط القسطل ، وكان بمهمة لاحضار الذخائر والسلاح المطلوب من اللجنة العسكرية المسؤولة في دمشق ، ولم تف اللجنة المذكورة بوعدها مما ادى الى رجوع البطل من مهمته بدون سلاح او عتاد . وهو الذي نظم مخطط اعادة احتلال القسطل .

– بدأ الهجوم الأخير يوم (٧ نيسان) في الساعة الحادية عشر مساء .

– تراجع المناضلون من ارض المعركة بعد ان نفذت ذخيرتهم .

– صباح (٨ نيسان) طوّق العدو قوات القائد المذكور ، واصبح الموقف خطيراً ، الا ان المناضلين العرب ظلوا يقاومون ببسالة فائقـة الى ان وصلتهم النجدات العربية من القرى المجاورة وقد بلغ عددهم قرابة ٨٠٠ رجل .

– قامت قوات النجدة بحركة التفاف حول القسطل من الجهة الجنوبية الى الشرق ثم التفت الى الشمال حيث تمكنت هذه القوات من الالتقاء مع المناضلين الذين جاءوا للنجدة من الشمال .

– انقض الجناحان على القسطل بعد اكمال عملية الطوق وتمكنوا من دخول القرية وتنظيفها من القوات اليهودية المحتلة وانتهت العملية بانهزام الاعـــداء في الساعة الرابعة من مساء الخميس الموافق (٨ نيسان) عام ١٩٤٨، الا ان المناضلين خسروا قائدهم عبد القادر الحسيني حيث وجـد مستشهدا قرب اول بيت من بيوت قرية القسطل في الطرف الشرقي، باعتباره اول من اقتحم القرية على رأس رجاله .

الفصل العاشر

التجربة السوفياتية في حرب الأنصار

لمحة جغرافية وتاريخية

الاسم الرسمي : اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية .

المساحة : ٥٦٠و٢٨٣و٢٢ كيلومتراً مربعاً. عدد السكان: نحو ٠٠٠و٨٠٠و٢٠٨ نسمة. يقع شرق اوروبه وشمال آسيه . عاصمته موسكو . اكبر دول العالم مساحة . يمتد من البحر البلطي الى المحيط الهادي، ومن المحيط القطبي الى البحر الاسود وبحر قزوين ، والى القوقاز والسلاسل الجبلية العظمى بوسط آسيه . يتكوّن من ١٦ جمهورية تأسيسية اكبرها جمهورية روسيه السوفياتية الاتحادية الاشتراكية . اما الجمهوريات الـ (١٥) الاخرى فهي في غرب الاتحاد السوفياتي: جمهوريات كريليه ، واستونيه ، ولتفيه، وليتوانيه ، وبيلوروسيه ، وارمينيه ، واذربيجان السوفياتية الاشتراكية. وفي آسيه الوسطى: جمهوريات قازاقستان، وتركمانستان وقادجكستان ، وقرغيزستان السوفياتية الاشتراكية . ويتكوّن الاتحاد السوفياتي من قسمين: اوروبي ويشمل الجزء الاعظم من سهل شرق اوروبه، وتمر به انهار دنيبر ، ودن ، وفولجا وغيرها من الانهار الكبرى . والقسم الاسيوي يمتد شرق الاورال ويشمل سيبيريه واستبس وسط آسيه وصحاريه وجباله العالية ، وقمة الروس وهي اعلى قمم اوروبه . يحوي الاتحاد السوفياتي كل الموارد الطبيعية الضرورية لبنائه الاقتصادي، ومن بينها حقول الفحم في حوض

دونتز ، والحديد والنحاس وغيرهما من الخامات المعدنية في جبال الاورال ، والبترول في القوقاز . ولا يعوزه سوى القصدير والمطاط .

كانت الظروف الموضوعية في هذا البلد الكبير والشقاء الاقتصادي الذي حل بالاهلين نتيجة الحروب، وخاصة الحرب العالمية الاولى، وغير ذلك من مقدمات الثورة الاشتراكية، سبباً في اندلاع ثورة تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩١٧. وكان الاتحاد السوفياتي الذي تشكل سنة ١٩٢٢ اول دولة تأخذ بالنظام الشيوعي ، وبمقتضى دستور السنة ١٩٣٦ اصبحت الجمهوريات التأسيسية ومعظم شعوب الاتحاد المئة والاربعين تمثل في مجلس القوميات، وهو أحد مجلسي السوفيات الاعلى . أما الآخر فمجلس الاتحاد ويمثل اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية ، وتحت هذين المجلسين يوجد نظام تمثيلي منتظم بدءاً من الرأس حتى القواعد الشعبية بجميع مرافقها الاجتماعية . لقد تحول الاتحاد السوفياتي، بفضل المشاريع الاقتصادية التي بدأت بمشروع السنوات الخمس الاولى سنة ١٩٢٨ وما اعقبه من مشاريع مماثلة، الى اقوى دولة صناعية في العالم، اخذت في ايامنا هذه تتبارى صناعياً وزراعياً وثقافياً مع الولايات المتحدة . وقد فاز الاتحاد السوفياتي في مبارياته السلمية على العالم الغربي وخاصة الولايات المتحدة في معظم الحقول العلمية والاقتصادية وتبوأ مركز الصدارة في كشف الفضاء .

في الحرب العالمية الثانية هاجمت المانيه روسيه سنة ١٩٤١ دون سابق انذار. ولم تأت سنة ١٩٤٣ حتى كانت جيوش المحور قد بلغت ستالينجراد والقوقاز . ودافعت روسيه ببطولة . وكان لقوات الانصار، موضوع كتابنا، دور فعال في هزيمة القوات الالمانية. ومع ذلك لم يتم للاتحاد السوفياتي النصر الا بعد ان تكبد خسائر فادحة في الممتلكات والارواح .

الاستراتيجية السوفياتية وعلاقتها بحرب العصابات

ترتكز الاستراتيجية السوفياتية على الأسس والمبادىء التالية التي تعتبر بدورها العمود الفقري لاستراتيجية حرب العصابات :

١) ان الاستراتيجيـة العسكرية تشكل جزءاً من الاستراتيجية السياسية ، ومن الاثنتين بأهدافها المشتركة تتكوّن الاستراتيجية السوفياتية العامة .

٢) ان الاستراتيجية السوفياتية هي علمية وجدلية تعتمد كلياً على الحساب والتحليل الواقعي للاوضاع الاجتماعيـة والاقتصادية والسياسيـة والعسكرية . وهي انعكاس لتطور المجتمع وبناؤه الفوقي للدولة ومؤسساتها، وتتأثر تأثراً كبيراً بتطور القوي المنتجـة التي بدورها ترفع من المستوى التكنيكي الحربي ، العنصر الفعال في كل المعارك . من هنا أخذ العلم العسكري السوفياتي يربط بـين العلوم العسكرية والاقتصادية والمعنوية للوطن وللبلاد المعادية معاً .

٣) ان الهدف الاساسي للاستراتيجية السوفياتية هو تحديـد الخط الرئيسي الذي يجب ان تتبعه الطبقة العاملة لتقضي على مستغليهـا وفق خطة مدروسة تعتمد على تحضير التنفيذ بصورة جيدة للوصول الى النتيجة القصوى في اقصر وقت ممكن وبأقل الخسائر. وهذا السلوك العام يتبناه الجيش السوفياتي للوصول الى الاهداف العسكرية .

٤) هدف الاستراتيجية : هو كسب الحرب او التحريض على الصلح . اما التعبئة (التكتيك) فتهدف الى كسب احدى المعارك او الاشتباكات او ادارة الهجوم والحملة بصورة جيدة . وباعتبـار ان التعبئة هي جزء من الاستراتيجية ترتبط بها ارتباطاً وثيقاً وتحدد الطرق والوسائل والاساليب والاشكال المتبعة في القتال وفقاً للحالات الخاصة والمناسبة لكل ظرف . لهذا لا يمكن الحكم على الوضع العام للحرب بنتيجة معركة معينة، لأن مثل هذه المعركة وغيرها مرتبطة بنسبة تأثيرها على مجموع الاهداف والامكانات التي تحددها الخطة الاستراتيجية العامة للحرب .

من هذه المبادىء يمكننا تعريف العقيدة العسكرية السوفياتية . فهي من حيث الشكل تتكوّن من مجموعة التعليمات والنشرات العسكرية الرسمية المتعلقة بالفن والعلم العسكري والاستراتيجية والتعبئة ، ومن حيث المحتوى تطبيق هذا

العلم تطبيقاً جيداً يتفق وطبيعة البنـاء الاجتماعي للدولة . وكما هو معلوم (في الدولة السوفياتية) تنبثق العقيدة عن المبـادىء الاشتراكية . والجيش الاحمر هو ابن للشعب والدولة وقد بني على أساس ان يكون جيشاً نظامياً ، شديد الانضباط، له قيادة عسكرية واحدة. وهو طليعة التقـدم من الناحيتين الفنية والتكنيكية الحربية .

ان حرب الانصار هي جزء لا يتجزأ من العقيدة العسكرية السوفياتية التي ترتكز على أسس الاستراتيجية السوفياتية المار ذكرها . لقـــد اهتم الجنرال فرونزي بحرب العصابات عندمـا كانت في مطلع بزوغها . فقد قال : « التحضير للقيام بحرب الانصار في المناطق التي يمكن ان تصبح ميـــادين عسكرية محتملة يأتي بعد تهيئة الجماهير سياسياً ومعنوياً . ان احدى مهمات رئاسة اركاننا العامة يجب ان يكون دراسة مشاكل الحرب الصغرى او حرب الانصار ، وذلك من اجل تطبيقها في الحروب المقبلة ضد عدو متفوق علينا من الناحية الفنية » .

ان هذه المفاهيم تعتبر من حيث الجوهر اعادة لمـــا قاله كارل ماركس سنة ١٨٤٩ عندما كتب تقريره عن معركة نوفارا ، وبذلك قدم اعظم نظرية ثورية للحرب . يقول كارل ماركس : « على الامة التي تقاتل في سبيل حريتها ان لا تلتزم التزامـاً جامداً بالقواعـد المعروفة للحرب ، فان اثارة الجماهير والاساليب الانقلابية ، **وعصابات الانصار** المنتشرة في كل مكان هي الوسائل الوحيدة التي تستطيع بها أمة صغيرة ان تأمل بالوقوف في وجه خصم يفوقها في التعداد والتجهيزات. ان هذه الوسائل تتيح للجانب الضعيف ان يتغلب على عدد اكثر منه قوة وأحسن تنظيماً» .

وعلى الرغم من ان امكانات حرب الانصار لم تستغل على نطـاق واسع الا بعد ان اصبحت الاكتشافات العلمية جزءاً من الحرب الحديثة، فان الخسائر التي انزلها الانصار السوفيات بالجيوش الالمانية في روسيه اكبر بكثير من الخسائر التي انزلتها بهم جميع الاسلحة الروسية . فقد استطاع الالمان ان يواجهوا كل

سلاح سوفياتي بسلاح الماني يشبهه او يفوقه ، ولكنهم وقفوا عاجزين حيارى امام الانصار .

لقد اعتبر الالمان النازيون حرب الانصار حرباً غير مشروعة بينما نرى لينين يكتب سنة ١٩٠٥ رأياً مخالفاً لهم. فقد قال : « لقد ثبت ان الاساليب المجربة والمقبولة لحرب الانصار اعظم من غيرها تأثيراً . وهذه الاساليب هي : **«الضربات المستمرة ، وانهاك العدو . مقاتلته هنا وهناك وفي كل مكان » .**

هذه الافكار وغيرها التي كتبها قادة سياسيون وعسكريون عن قتال العصابات دون النظر للعقائد التي يحملونها والاهداف التي يرمون اليها ، تستوجب البحث والتدقيق ثم الدراسة والتطبيق في ارضنا المحتلة ، آخذين بعين الاعتبار الظروف المادية والحسية التي تتفق واوضاعنا الخاصة . فكل نظرية ، اجتماعية كانت أم عسكرية يجب عدم أخذها للتطبيق بصورة اعتباطية دون دراسة الاوضاع الخاصة وتعديلها كما يتطلب الموقف . وعكس ذلك يوقعنا بالجمود والتقليد الاعمى وبالتالي الفشل . ان الابداع الثوري الذي يستمد قوته من تجارب الشعوب والاستفادة من اخطائها ونجاحها هو الاسلوب الثوري الصحيح الذي يقصر الطريق المؤدي للوصول الى الهدف .

ان حرب العصابات اثبتت صلاحيتها وفاعليتها في البلاد التي تكثر فيها الغابات والجبال، بالاضافة الى توافر الشروط التي تؤمن تغذية الانصار بالتموين والذخيرة . ان مثل هذه الظروف تتواجد في بعض مناطق فلسطين ولا تتواجد في مناطق اخرى ، ومعنى ذلك ان تطبيق قتال العصابات في جزء من فلسطين قد يختلف من حيث التكتيك والاسلوب في جزء آخر بالرغم من صغر مساحة فلسطين . اما المهمات الأساسية لحرب العصابات فتبقى مشتركة ، وقد لخص السوفيات هذه المهمات بما يلي .

١) ازعاج مؤخرات العدو (اعتراض تموينه وتدمير مراكز مواصلاته وخطوطها ومستودعات تموينه) .

٢) دفع العدو على تطبيق سياسة احتلال قاسية بشكل يزيد كراهية الشعب له .

٣) القتال خلف خطوط العدو كمساعدة للجيش النظامي .

٤) الحصول على المعلومات .

٥) تثبيت قوات العدو بواسطة عمليات متقطعة .

٦) تغذية الدعاية الرسمية بتقديم البراهين على ان سياسة التضحية تتمتع بتأييد السكان .

٧) الانتقام من كل شخص يتعاون مع العدو او يحاول التعاون معه .

٨) بث الدعاية في المناطق المحتلة .

٩) الاكثار من العمليات الليلية للاستفادة من الظلام وعدم توفر الرؤية الجيدة للعدو .

١٠) عدم السكون في منطقة معينة جرى فيها القتال، والانسحاب السريع بعد كل قتال بغض النظر عن النجاح والفشل .

ان العمليات الارهابية التي كانت تقوم بها عصابات الارجون وشتيرن والجيش الاسرائيلي كانت تعتمد على كثير من المبادىء التي وردت اعلاه . فالاستخبارات الجيدة والمعرفة الدقيقة للمراكز العربية والاعتماد على مبدأ المفاجأة ومهارة القوات اليهودية النظامية منها وغير النظامية في العمليات الليلية ، كل ذلك ساعدهم على توجيه ضربات قاسية لقواتنا العربية النظامية منها وغير النظامية في معاركها مع العدو .

تحضير حرب الأنصار السوفيات

في ٤/ ٧/ ١٩٤١ صدر من الحكومة السوفياتية البيان التالي :

« يجب ان تشكّل وحدات من الانصار في المناطق المحتلة من العدو وان تنظّم مفارز للغارات لمقاتلة وحداته ، واشاعة حرب الأنصار في كل مكان ، ونسف الجسور والطرق ، وتخريب الخطوط الهاتفية ، وحرق الغابات

والمستودعات ووسائل النقل. يجب ان تصبح وضعية العدو وأعوانه جحيماً لا يطاق ، يجب ازعاجه ومهاجمته في كل خطوة يخطوهـا ، وتعطيل اجراءاته » .

لقد لبى النداء القادة الحزبيون والمسؤولون الحكوميون ، وصدرت عـدة اوامر وتنظيمات محلية، ففي منطقة كوبان نظـّمت التشكيلات بحيث لا يتجاوز عدد افرادها ٥٠ — ٦٠ رجلا ، ودربت كل وحدة تدريباً سريعاً وجيداً بحيث تصبح قادرة على القيـام بعـدة انواع من الكـمائن والعمليات الحربية . وركـّز المسؤولون على دراسة اسلوب العدو في القتال ومعرفة استخدام اسلحته على اعتبار انها احد المصادر الرئيسية للتموين بالذخيرة والسلاح .

كانت حركة الانصار السوفياتية تنمو وتتطور بين جميع السكان في الريف والمدن ويزداد افرادها كلما ازدادت النقمة على العدو ، مما ادى الى تضاعف المفارز واتساع النضال ضد المحتلين . كان الانصار منتشرين في اماكن ومراكز غير ثابتة يبدلونها بعد كل اشتباك . اما التعليمات والنشرات فكانت تؤمن بواسطة الاذاعة . كانوا يحصلون على التموين بالسلاح والذخيرة من العدو وأحياناً ترسل لهم بالطائرات وخاصة في المناطق البعيدة والصعبة المسالك .

تنظيم تشكيلات الانصار السوفيات : عندما شكـّل القادة السوفيات مفارز الانصار ووحداتها، ارتكزوا على المبدأ الاساسي لقتال العصابات الذي ينص على تجنب الاشتباكات الجبهية والاقتصار على عمليات الازعاج السريعة المباغتة .

كان تعداد المفرزة يتراوح بين ٣٠ — ٥٠ نصيراً والسرية بين ١٠٠ — ١٥٠ نصيراً والكتيبة بين ٣٠٠ — ٥٠٠ نصير .

وفي بعض المناطق التي تساعد الانصار للعمل بوحدات كبيرة كانت بعض الكتائب ترتبط مع كتائب اخرى مجاورة ارتباطاً ضعيفاً مشكلة ألوية يتراوح تعدادها من ٣٠٠٠ — ٥٠٠٠ رجل .

تنسيق اعمال وحدات الانصار مع القيادة العامة : شكلت قيادة مركزية للانصار مركزها موسكو ارتبطت بالقيادة العامة للجيش السوفياتي . وكان الاتصال بين القوتين من اجل التنسيق يجري عن طريق الجو (لنقل الاوامر

وانزال ضباط الاركان والموظفين الاخصائيين وقادة الانصار) او لنقل العتاد من الاسلحة والذخيرة والصحف والاجهزة اللاسلكية . كان التنسيق بين الجيش والانصار يتخذ في معظم الاحيان الدعم غير المباشر الذي يهدف تثبيت قوات العدو او اشغال احتياطه الاستراتيجي ومنعه من التدخل عند الحاجة . امـا الدعم المباشر فكان يجري على جوانب ومؤخرات العدو اثناء المعارك .

وجدير بنا ان نستعرض القوات غير النظامية التي قاتلت في فلسطين سنة ١٩٤٧ – ١٩٤٨، ونتساءل هل امكن للقيادة العسكرية العربية الاستفادة منها كقوات يوكل اليها مهمات الانصار، وهل كانت الظروف الموضوعية والحسية تساعد على ذلك ؟

ان درجة التسليح، والامكانات المادية والمعنوية،وخطورة الموقف، كلها كانت تربة خصبة للاستفادة من جيش الانقاذ، وقبله قوات الجهاد المقدس، لو وجد قادة سياسيون وعسكريون على مستوى الاحداث التي كانت تجري . ان عدم معرفة الهوية الحقيقية لهذه القوات (ان صدق التعبير) ووقوع بعض القادة العسكريين في متاهات الحرب النظامية وغير النظامية ، أضف الى ذلك عدم الايمان بالقوى الشعبية والاستفادة من حماسها بطريقة مدروسة وبأسلوب عقلاني لا عاطفي، كل ذلك ادى الى وضع هذه القوى خارج مكانها الحقيقي في معركة التحرير .

لقد رأينا عند الكلام عن جيش الانقاذ ، ان القيادة العربية العسكرية تقذف بهذا الجيش من مكان الى آخر معتبرة وحداته كالجيش النظامي – مع انه كان نصف نظامي – نظراً لعدم توافر وسائط النقل الكافيـة واسلحة الدعم والاتصال . وتعطيه مهمات عسكرية هي من مهمات الجيش النظامي ، كما حدث في الجليل . كل ذلك ادى الى خسارة فادحة في الارواح والعتاد، واهم من ذلك خسارة في الارض . لو ان القيـادة العسكرية حددت سياسة استخدام هـذا الجيش وخاصة من حيث المهمات التي يمكن القيام بتنفيذها – وهي في جوهرهـا مهمات قتال الانصار – لأمكن لها الاستفادة منه استفادة كبيرة لدعم الجيوش

العربية عن طريق القيام بالتخريبات الداخلية وقطع طرق المواصلات للعدو واشغاله بالمعارك المحلية المنتشرة في القرى والمدن، مما يضطر العدو مرغماً تشتيت قواه وتوزيعها ، ذلك الوضع الذي يتنافى واخطر مبدأ من مبادىء الحرب وهو التحشد .

تكتيك قتال الانصار السوفيات

لو عدنا الى كراسات القتال النظامي التي تدرّس في المعاهد العسكرية وقارناها بمبادىء قتال الانصار لوجدنا ان مبادىء قتال الانصار تختلف اختلافاً جذرياً عن مبادىء قتال الجيش في الحرب النظامية . مثلاً : بدلاً من حشد القوات في الحرب النظامية نجد تجنب المعارك المتقابلة وبالتالي توزيع القوى . وفي قتال الانصار لا يعتمد على الاحتياط الاستراتيجي ويستعاض عنه بالغارات الموجهة بصورة خاصة على مواصلات ومراكز تموين العدو .

ان المرونة الزائدة واتقانها وفقاً لطبيعة الارض التي يقاتل عليها الانصار ، وتنوع المهمات، وطبيعة العدو من حيث امكاناته المادية ودرجة معنوياته وقابلية افراده للقتال،كل ذلك يلعب دوراً هاماً في تنوع التكتيك واستخدام الاساليب المطابقة للظروف الخاصة والعامة . الا انه تبقى هناك اسس عامة تبنى عليها مبادىء حرب الانصار ، اعتبرها القادة السوفيات مركّزة في الامور التالية :

١) سرعة الحركة والمفاجأة في كل عملية هجومية .

٢) الاستخبارات الدقيقة وامكان جمع المعلومات المتعلقة باوضاع العدو وحركاته ونواياه .

٣) الاعتماد بصورة جيدة على الكمائن والمصائد والحيل مع مراعاة التمويه الجيد .

٤) تجنب تكرار العمليات الحربية في مكان واحد واعتماد اسلوب الهجمات المحضرة والسريعة التنفيذ على مسافات قصيرة .

ويلخص نظام تكتيك الانصار هذه المبادىء : بالمفاجأة ، العمليات ذات المسافات القصيرة ، المبادهة في اساليب القتال ، الارتباط الوثيق مع السكان ، الانسجام في الوحدة ، الاستطلاع الدائم ، عمليات الليل ، الخطة التفصيلية التي تضعها القيادة ، التمويه ، التخفي وخاصة للافراد .

انواع عمليات الأنصار: ان عمليات قتال الانصار متعددة من حيث الاسلوب الا انها في جوهرها تعتمد على نوعين رئيسيين هما: اولاً الغارات . وثانياً الكمائن .

تهدف الغارات شل حركات العدو ونشر روح الذعر وعدم الاستقرار بين جميع الرجال على مختلف الرتب وذلك بالاغارة على الاهداف الهامة كمقرات القيادات ، والثكنات ، والمطارات .

ان تكتيك الوحدات المغيرة يفرض عليها في معظم الاحيان تقسيم قوتها التي تكلف بتنفيذ الغارة، الى ثلاثة انساق :

النسق الاول : يتألف من مجموعة قتال .

النسق الثاني : « « « تدمير .

النسق الثالث: « « « الاحتياط التي تتمركز على شكل كمين في الاماكن والطرق التي ينتظر ان تمر منها نجدات العدو .

اما الكمائن فتهدف بصورة عامة الاستيلاء على بريد العدو او الوحدات الصغرى او ارتال السيارات وعربات القيادة ... الخ .

التسليح : تقتصر مدفعية الانصار على الهاونات الخفيفة والمتوسطة والمدافع عديمة التراجع والتي كانوا يطلقون عليها (مدفعية الانصار) . وتقتصر اسلحة الانقضاض على الاسلحة الآلية الخفيفة كالبارودة الاوتوماتيكية والرشيشة والرشيش والمسدس . وتستعمل القنابل اليدوية على نطاق واسع وكذلك قنبلة مولوتوف الشعبية الصنع والقنابل المحرقة ضد الدبابات.. الخ . هذا الى

جانب المتفجرات والالغام والمصائد المضادة للدبابات وللاشخاص ، النظامية الصنع والمرتجلة .

وسائط الاتصال : في حقل المعركة كانت تستعمل وسائط الاتصال الكلاسيكية المستخدمة في الجيوش النظامية –(اجهزة اتصال لاسلكية قصيرة المدى) والاشارات الضوئية واللوحات والاعلام وذلك للوحدات على مستوى الكتيبة والسرية .

وكانت القوات تؤمن اتصالها في بعض الاحيان بواسطة الخطوط الهاتفية واللاسلكية النظامية بمصطلحات او برقيات متفق عليها مسبقاً . واستخدام السعاة الراكبين على الخيل او الآليات بصورة منتظمة لتأمين الرسائل بين القيادة ووحداتها كل ٢٤ ساعة وعلى مقر قيادات المناطق الاقليمية كل ١٢ ساعة .

الخدمات الصحية : كانت وسائط الاخلاء للجرحى غير مستقرة لصعوبة النقل والمحافظة على عنصر الامن واضطرار الوحدات تأمين خدماتها الصحية بصورة سرية . ومثل ذلك ينطبق على تأمين المواد والادوات الصحية التي كثيراً ما كانت تؤمن عن طريق ما يتركه العدو وراءه بعد المعارك ، وبمقدار ما تقدمه الجهات المدنية من هذه المواد . وتلافياً للنقص الفادح في الادوية وبعض المواد الصيدلية الخاصة استخدمت الاعشاب على نطاق واسع . وقد كان الطلاب والمدنيون يجمعونها ويقدمونها بعد تصنيفها الى وحدات الانصار .

كان الممرض يشكل اصغر جهاز فني صحي في جماعة الانصار التي تتكوّن من ٨ – ١٥ فرداً ، ثم ممرض السرية ومعاونيه وتنحصر مهماتهم في السهر على تنفيذ التعليمات الصحية المعطاة والقيام بالاسعافات والنجدات العاجلة واعطاء حقن المورفين . اما المصابون بجراح بالغة فقد كانوا ينقلون الى مراكز سرية خاصة يتلقون العلاج اللازم وتجرى لهم العمليات الجراحية عن طريق جرّاح الكتيبة المسؤول عن المركز السري .

نموذج تشكيل قطعات كبيرة
من الانصار في الاتحاد السوفييتي
(القيادة – التنظيم – التسليح)

أ – القيـادة

– كانت القيادات العليا تُشكّل بأسلوب يشبه الاسلوب المتبع في الجيش النظامي مع قليل من التعديل يتناسب ومهات العصابات . وهي تتكوّن من قائد عام وحدات الانصار في الجمهورية او المنطقة تساعده هيئة اركان تحتوي على الاقسام التالية :

١) **قسم العمليات :** ويقوم بالاعمال التالية : تخطيط العمليات التكتيكية للوحدات واختبارها بتدريبات نظرية وعملية قبل التنفيذ ، وضع الخطط والتوجيهات المتعلقة بالسياسة العامة والاغارات ذات الاهمية الاستراتيجية ، تعميم الخبرات والمواقف العامة لمختلف المستويات ، تحضير المخططات والخرائط المتممة للعمليات ، تنسيق العمليات، بواسطة ضابط الارتباط ، المعززة من كل قيادة اقليمية .

٢) **قسم المخابرات :** ويختص بالاعمال التالية : استبقاء المعلومات ومكافحة التجسس ، تنسيق هذه المعلومات وفرزها للاستفادة منها في تحضير عمليات الانصار ،الاستفادة من المعلومات الواردة من العناصر المدنية ، تقديم المعلومات اللازمة مسبقاً الى هيئة الاركان العامة للانصار بعد تدقيقها ، تقديم التقارير عن نشاط العدو ووضع قطعاته وعملياتها المرتقبة .

٣) **قسم التنظيم والادارة :** يختص بالاعمال التالية : تحضير جداول ملاكات وحدات الانصار من الرجال ، تحضير جداول ملاكات وحدات الانصار من السلاح ، تشكيل الوحدات والعناصر وفتح سجلاتها واضباراتها ، املاء الشواغر بالوظائف والرتب اللازمة ، تقديم لوائح التفقد اليومي العام ، تعبئة المناطق العسكرية وتوزيع الوحدات بالاتفاق مع قسم العمليات .

٤) **قسم الشؤون الادارية :** وتنحصر اعماله بالامور التالية : التموين بالاعاشة والتجهيزات والذخائر والسلاح ، اصلاح الاعتدة وصيانتها وادامتها ، تأمين المستودعات وتمويهها واخفائها (وهذه من اصعب المهمات) فقد كان الموقف يقتضي خزن المؤن والسلاح على عمق ٤ — ١٠ أمتار .

٥) **قسم التدريب :** مكلف بنشر التوجيهات والانظمة اللازمة للتدريب والدورات والمدارس ، فتح دورات ضباط الصف للتخصص بحرب الانصار ، الاشراف على حسن التدريب ورفع مستوى الكفاءة الفنية والتعبوية بين مختلف الافراد والوحدات ، تحضير العناصر المكلفة بالاعمال الخاصة .

٦) **قسم التدريب السياسي:** مهمته معقدة ودقيقة تنحصر في الامور التالية: وضع الخطط الكفيلة بالمحافظة على الروح المعنوية وذلك بغرس المثل العليا بين جميع الانصار من الناحيتين المعنوية والسياسية ، وتهدف الخطة المذكورة ان تجعل من الانصار قوة سياسية ساحقة قادرة على تحطيم العدو مادياً ومعنوياً ، اصدار المجلات والنشرات التي تهدف تثقيف النصير سياسياً واجتماعياً وعسكرياً، ادارة المحطة الاذاعية السرية والاشراف على برامجها ، الاتصال مع التنظيمات السياسية والاجتماعية كمنظمات الشباب والفتوة .

يضاف الى ذلك اقسام ثانوية تابعة بصورة مباشرة او غير مباشرة للاقسام المذكورة ، كقسم الاتصال والارتباط السري المتصل مباشرة مع هيئة الأركان العامة للانصار ، وعناصر الأمن والحماية ومصلحة الصحة ... الخ .

ب — التنظيم والتشكيل :

كانت الجمهورية (او الاقليم) تقسّم الى مناطق جغرافية وكل منطقة تقسّم الى قطاعات عسكرية تنتشر عليها وحدات معينة من الانصار منتظمة في سرايا وكتائب وألوية عند اللزوم وفقاً لسعة المنطقة او القطاع .

كانت الوحدة التكتيكية الحربية تتألف من السرية (الجماعة او الفصيل

تستخدمان للعمليات الخاصة المحدودة النطاق) عندما كانت طبيعة الارض تسمح بحرية الحركة وسهولة الاختفاء ، تجمع ثلاث او اربع سرايا مشكلة كتيبة. وقد تجمع كتيبتان او ثلاث لتشكيل لواء ، وكانت قيادة اللواء تضم : قائد اللواء ، القومسيير السياسي ، رئيس اركان ، معاون، (٤ — ٥) ضباط رؤساء شعب ، مفرزة الأمن السياسي ومراقبة المعنويات ، بعض مفارز اختصاصية : هندسة ، مدفعية ،فرسان .

ان تشكيل الكتيبة او اللواء ، كان يحدث بناء على اوامر تصدر عن قائد المنطقة او القطاع العسكري الذي يأخذ على عاتقه بصورة عامة ، قيادة اكبر وحدة عسكرية تتشكل على هذا الاساس ، وقد كان اجدر القادة واكثرهم كفاءة مخصصاً لقيادة الكتائب .

ملاك السرية : اتبع اسلوب تنظيم السرية بحيث يكون ملاكها مرناً يتلاءم والأوضاع الخاصة التي يقاتل فيها الانصار وكانت تتشكل من :

— : **السرية الخفيفة:** عدد افرادها يتراوح من ١٥٠ — ١٧٠ رجلاً مسلحين بالبنادق والرشاشات الخفيفة والبنادق الآلية والقنابل اليدوية ووسائط التدمير ، وكانت مهماتها الرئيسية القيام بأعمال المغاوير . تعزز السرية عند اللزوم بمدافع البازوكا عيار ٨٨و٤٣ مم عند احتمال قيام العدو بهجوم معزز بالدبابات.وتتكون السرية من ثلاثة فصائل (نظام ثلاثي) كل فصيل يتألف من ثلاث جماعات . عدد الجماعة متبدل ويتراوح من ١٠ — ١٥ ، كان يرافق بعض السرايا فصائل اسلحة مساندة مزودة بمدافع الهاون عيار ٥٠ مم .

— **السرية الثقيلة** : عدد افرادها ١٦٠ — ١٨٠ رجلاً وتتشكل تبعاً للنظام الثلاثي المذكور . تسليحها مشابه لتسليح السرية الخفيفة الا انها معززة بفصيل رشاشات ثقيلة مزودة بثلاثة رشاشات ، وفصيل هاون متوسط عيار ٨٢ مم مزودة بثلاثة مدافع هاون .

الاشراف والتنظيم السياسي في وحدات الانصار : كان الحزب الشيوعي

يشرف اشرافاً مباشراً على حركات الانصار على اعتبار انها من الوجهة السياسية العملية الجواب البلشفي على الحركة النازية . لذلك فقد كانت قيادات الانصار ترتبط بالحزب في كل مستوياتها . فهيئات الاركان الاقليمية كانت ترتبط باللجنة المركزية للحزب الشيوعي التي كانت تراقب جيش الانصار عن كثب باعتباره جيش الحزب الخاص . وكان لكل وحدة من الانصار شخص مكلف بالتوجيه السياسي والمعنوي . وكذلك في كل هيئة من هيئات الاركان كان يلتحق عضو سياسي يدعى قومسيير بالاضافة لوجود خلايا سرية داخل وحدات الانصار تعمل بالاتصال مع الحزب .

استخدام وحدات الانصار وفقاً للعقيدة السوفياتية

إن العقيدة العسكرية السوفياتية تعطي اهمية كبيرة لاستخدام الانصار في الحرب الشعبية لما تتميز به وحداتها من القيام بمهمات يصعب على الوحدات النظامية تنفيذها ، وتصنف الوثائق العسكرية مهمات الانصار التي تسند اليها وفقاً لدرجة الاهمية . ويمكن اجمالها في الجدول التالي :

رفع معنويات السكان في المناطق المحتلة	الاستخبارات والبحث عن المعلومات	ازعاج وتعطيل مؤخرات العدو
ـ وجود الانصار في المناطق المحتلة يرفع من معنويات السكان. ـ جهاز الانصار السياسي يقوم بنشر الدعاية واثارة الروح الوطنية . ـ يساعد على اعادة الثقة والولاء للنظام السوفياتي وتنمية الحقد ضد العدو . ـ الانتقام للشعب وفرض سيطرة الحزب معنويا وماديا . ـ تنظيم عمليات الاغتيالات ضد القادة والاعداء والمتعاونين من السكان مع العدو.	ـ تؤلف قوات الانصار العين والاذن للقيادة العسكرية في كل المستويات . ـ تساعد القوات البرية والجوية عند تزويدها بالمعلومات عن تحركات العدو . ـ تمد القيادات العسكرية بالمعلومات المتعلقة بالادارة والزراعة والصناعة والمالية والتجارة والاوضاع السياسية في الجزء المحتل من الوطن . ـ تمد القيادات العسكرية بالحالة المعنوية للعدو واساليبه التعبوية في مكافحة الانصار . ـ تخبر عن عدد قوات العدو ، تحركاته ، مراكز قياداته ، مستودعاته ، قوافله، مطاراته ، تحصيناته، دفاعه ضد الطائرات، الاهداف المكنة للطيران والمدفعية البعيدة المدى ، حالة الاراضي ، الطرق ، الاماكن الصالحة لنزول الطائرات او المظليين. ـ مكافحة دوائر الاستخبارات المعادية.	ان العمل المسلح في الارض المحتلة يربك العدو ويعطل مؤخراته وهذا يتم عن طريق : ـ تدمير المواقع ورئاسات الاركان والمنشآت العسكرية والمستودعات ومراكز سكن الضباط والجنود . ـ تدمير خطوط المواصلات والجسور والسكك الحديدية . ـ مهاجمة القوافل والوسائل الفنية والمحروقات وتدميرها. ـ تدمير القواعد ومصانع ومستودعات الاسلحة والذخيرة والمحروقات والاغذية والمرائب والورشات. ـ تخريب وسائل المخابرات على الطرق والخطوط الارضية للهواتف . ـ تدمير محطات اللاسلكي ومحطات توليد القوى الكهربائية وموارد المياه . ـ مهاجمة الطائرات في المطارات وتدمير منشآتها .

بعض النماذج عن اعمال الانصار

كما ورد في التقارير الالمانية والسوفياتية

جاء في أحد التقارير الالمانية ما يلي :

— « انشأ آمر حركة الانصار في منسيك هيئة اركان وتكفلت هذه الهيئة بمهمة سم المفوض العام ... في بادىء الأمر اخفقت هذه المحاولة لكن المفوض لقي الموت بالرصاص في مقر قيادته في عام ١٩٤٣ على يد خادمته التي كانت من الانصار » .

— « دمرت مفارز لننجراد مجموعة من سيارات نقل العدو وقتل الجنرال فون فرتز (الماني) ومرافقه الشخصي .... ابادت مفارز روسيه البيضاء هيئة الاركان التابعة لفرقة المانية يرأسها الجنرال جاكوني » .

ومن العمليات الكبيرة للانصار ما ورد في أحد التقارير العسكرية السوفياتية . لقد نص هذا التقرير :

« في اوائل ايار سنة ١٩٤٣ اخذ نشاط الانصار منذ الآن صفة الحركة الاجتماعية الواسعة ، القادرة على القيام باعمال عسكرية كبيرة ، مستقلة او مدعومة .... لقد عززت هذه الاعمال وحدات الانصار في لننجراد والتي تمكنت خلال مدة ثمانية شهور من انزال الخسائر التالية بالعدو :

١٦٫٠٠٠ جندي قتيل ، ٦٢٩ ضابطاً قتيلا ، ٦٧ من الجستابو ، قتل ١٦٣ عميلاً من عملاء العدو ، أسر ١٢٧ عسكرياً ، تنفيذ عمليات ١١٤ حادثة قطار ، نسف ثمانية مراكز للقيادات ، تدمير الأعتدة والأسلحة التالية : ٨٩ طائرة ، ٩٧ دبابة ، ٢٥ مصفحة ، ١٦٩٣ عربة نقل ، ١٨٨ عربة سليمة ، ٩٩ عربة صهريج (مدمرة) ، ٥٢٩ حادث تخريب للخطوط الهاتفية ، ١٢٥ مستودعاً (مدمر) ، ٣٦٨ حادث تخريب طريق سكك حديدية .. الخ » .

الخسائر التي احدثها الانصار في الجيوش الالمانية

لقد عرف القادة الروس كيف يطورون حرب العصابات الى مستوى العمليات الاستراتيجية جاعلين منها عنصراً اساسياً للقوات السوفياتية في قتالها ضـــد الغزاة الالمان . بفضل الصلابة والمهارة والشجاعة والاسلوب الدقيق في تنفيـذ عمليات الكمائن والاغارة ، تمكن الانصـار من اشغال وتعطيل مـا يقرب من ٢٠ ٪ من مجموع القوات النازية التي كانت تقاتل على الجبهة الشرقيـة . ان مثل هذا الاشغال والتعطيل يعني ان ⅕ قوات العدو أصبحت وكأنها خارج المعركة.

أما الخسائر التي أوقعتها وحدات الانصار خلال عامين في مؤخرات العدو فقد بلغت : قتل اكثر من ٣٠٠،٠٠٠ من الغزاة الالمـــان، بينهم: ٣٠ جنرالاً ، ٦٣٣٦ضابطاً برتب مختلفة ، ١٥٢٠ من رجال الطيران . نسف ٣٠٠٠ قطـــار للعدو . تدمير ٣٢٦٣ جسراً من جسور الخطوط الحديدية والطرقات العامة . تعطيب وتدمير ١١٩١ دبابة ومصفحة، ٤٧٦ طائرة، ٣٧٨ مدفعاً، ٦١٨ سيارة من سيارات الاركان ، ٤٠٢٧ سيارة نقل . نسف ٨٩٥ مستودعاً .

الفصل الحادي عشر

التجربة الصينية في حرب الانصار

لمحة جغرافية وتاريخية

مساحة جمهورية الصين الشعبية : ٩و٨٨٦و٠٠٠ كيلومتر مربع، ويبلغ عدد سكانها ٧٣٥ مليون نسمة ، وتحدها روسيه السوفياتية وكوريه في الشمال الشرقي، وروسيه والجمهورية المنغولية الشعبية في الشمال، والهند في الجنوب الغربي، وبورمه والهند الصينية في الجنوب . ان هشيا هي اول اسرة مالكة حكمت الصين وقد تلتها اسر وممالك ذات حضارات وثقافات متعددة. وعندما اكتشف فاسكو دي جاما طريق رأس الرجاء الصالح اخذت المراكب البرتغالية تتاجر مع الصين. واستوطن البرتغاليون ماكاو سنة ١٥٥٧ ، ولكن التجارة الاجنبية لم يعظم شأنها الا سنة ١٨٤٢ حينما هزم البريطانيون الصين في حرب الافيون، واكرهوها على منح تجارهم امتيازات كبيرة .

بدأ ضعف الصين عندما هزمتها اليابان في حربها الاولى معها (١٨٩٤ — ١٨٩٥) وكانت ثورة البوكسر سنة ١٩٠٠ المحاولة الأخيرة لطرد الاجانب من الأراضي الصينية والقضاء على نفوذهم بها . تزعم صن يات سن فريق المتعلمين الذين بثوا روح الثورة ضد الحكم المطلق ونشبت سنة ١٩١١ ثورة اطاحت ببيت مانشو واعلنت الجمهورية ووضع دستور جديد للبلاد ، وانتخب صن يات سن رئيساً للجمهورية، وكوّن الوطنيون الجمهوريون حزباً سياسياً عرف بالكومنتانج. أكره يوان شي كاي قائد الجيش صن يات سن على النزول له عن رئاسة الجمهورية

سنة ١٩١٢ ، وظلت الصين تحت رحمة المنازعات والذبذبات العسكرية وساءت شؤون البلاد . وفي عام ١٩١٧ اقام صن يات سن حكومة وطنية في كانتون استقلت عن حكومة بكين سنة ١٩١٩ . أسس سنة ١٩٢١ الحزب الشيوعي الصيني ، واعلنت الدول العظمى في مؤتمر عقد بواشنطن (١٩٢١ — ١٩٢٢) سياسة الباب المفتوح وحماية الاراضي الصينية من اي عدوان قد يقع عليها ، وبزغ نجم شيانج كاي شك سنة ١٩٢٧ وأمسك بوصفه قائداً اعلى زمام الحكومة وتظاهر بالتودد للشيوعيين ، واتخذ نانكين مقراً لحكومته . لكنه فيما بعد انقلب على الشيوعيين، واستشرت الفوضى في البلاد وسادت الحروب الاهلية بين حكام الولايات العسكرية . وكان اليابانيون يرقبون الموقف ورأوا فيه فرصتهم فاتخذوا من حادث ضرب قطار حربي يقل جنوداً يابانيين ، ومن الاعتداء على ممتلكات اليابانيين في منشوريه ، سبباً لانزال جنودهم بها ، وبذلك بدأت سنة ١٩٣١ الحرب بين الصين واليابان ولم تنته الا سنة ١٩٤٥ . حينما انتهت الحرب العالمية الثانية وضعت الصين يدها على جميع الأراضي التي كان الاجانب قد انتزعوها منها ، ما عدا هونج كونج وماكاو . ولكنها ظلت تعاني ويلات الصراع الداخلي اربعة اعوام اخرى . ففي سنة ١٩٤٨ اختير شيانج كاي شك رئيساً للجمهورية ، ولكن موقفه العدائي من الحزب الشيوعي الصيني وممالأته لقوى الرجعية،حديا بالحزب الشيوعي الصيني الى محاربته والتغلب عليه بقيادة زعيم الحزب ماوتسي تونج الذي كان بالاضافة لزعامته الحزبية قائداً للقوات الشيوعية المسلحة . وكللت جهود الشيوعيين بالنجاح ، واعلنوا جمهورية الصين الشعبية في سبتمبر سنة ١٩٤٩ واختير ماوتسي تونج زعيماً لها . واتخذوا بكين عاصمة للجمهورية . لقد حدثت معارك جسيمة في هذه المرحلة من تاريخ البلاد وقاوم الشيوعيون القوات المعادية التي كانت تتمثل بالمحتلين والقوى الرجعية الداخلية المساندة لهم حتى تبدل الموقف لصالحهم وانتقلوا من مرحلة الدفاع الى مرحلة الهجوم . وقد ابدى الانصار الصينيون بطولات اغنت حرب الانصار بتجارب ونظريات اثبتت الايام صحتها . وكان لماوتسي تونج وبراعته العسكرية بالاضافة لبراعته السياسية اكبر الاثر في تطوير الصين وتحولها الى دولة اشتراكية .

على ضوء التجربة الصينية

قد يتساءل الفرد عند دراسة حرب العصابات الفلسطينية على ضوء التجربة الصينية عن اوجه الشبه التي تربط هاتين التجربتين مع وجود فوارق تكاد تكون جذرية من حيث طبيعة الحرب في كلا البلدين ودوافع القتال ، ثم نوعية السكان والظروف الموضوعية وخاصة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، والفارق الكبير في المساحة وعدد السكان .

ان اختلاف الظروف الموضوعية وغيرها امر مسلم به اذا اردنا ان ندرس طبيعة الصدامات التي حدثت في كلا المسرحين بالمعنى الضيق . اما اذا اردنا ان ندرسها بالمعنى الواسع، وهو ما يهمنا مع التركيز على الوضع العسكري والخبرات المكتسبة من الوجهة الفنية البحتة ، فاننا سنخرج بنتائج قد تساعدنا على اغناء معلوماتنا عن فن الحرب غير النظامية والقدرة الفائقة التي تكمن في الشعب اذا ما عزم النية الصادقة للقتال وآمن بعدالة الحرب التي يشنها على محتل دخيل وعدو مغتصب .

هناك اصحاب نظرية خاطئة يقولون : ان ما يطبق في الصين لا يطبق كلياً ولا حتى جزئياً في فلسطين . ومثل ذلك ينطبق على الجزائر او كوبه والفيتنام وغيرها . ان هذا القول قد يبدو مقبولاً اذا ما نظر اليه من زاوية واحدة تتيح للباحث رؤية الظاهرة بشكلها العام. اما اذا نظر للموضوع من زوايا عديدة تتيح للباحث رؤية الاشياء بظواهرها وجوهرها رؤية واضحة، فسوف لن يفاجأ عندما تتضح امامه عدة امور جوهرية تصلح للدراسة والتطبيق واغناء حرب العصابات المقبلة في ارض فلسطين، وخاصة في الجوانب التي تتعلق باسلوب القتال والتشكيلات المفضلة للقتال في الجبل او السهل او الغابة، وطرق التموين والتخزين وغيرها من الاعمال التكتيكية الصغيرة، كالكمائن والاغارات وافضل الطرق واسرعها لبناء قواعد العصابات وخاصة من الناحية الفنية المتعلقة بالاستفادة كلياً من الطبيعة وما تقدمه من ستر او مانع او حصن او ملجأ وغير ذلك .

ان التجربة الصينية وقرينتها التجربة السوفياتية تعتبران مورداً لا ينضب من المعارف والخبرات تمكّن الدارس من قطع مجالات واسعة من فن قتال العصابات اذا ما احسن دراستهما دراسة جدية واقعية ، آخذاً بعين الاعتبار ما ذكر آنفا حول الظروف الموضوعية والحسية والتاريخية ، وهذا ما نحاول ان نوليه اهمية كبيرة في هذه الدراسة .

القاعدة الاساسية لماوتسي تونج حول الحرب

يعتبر ماوتسي تونج من كبار المخططين العمليين لحرب العصابات . لهذا نرى ان ما كتبه او صرح به حول هذه الحرب هو واقعي وعملي لأنه يصدر عن رجل يتمتع بخبرة فائقة في هذا المجال . لقد نشر ماوتسي تونج المبادىء العامة لقتال الانصار عام ١٩٣٧ عندما اصبح الزعيم والقائد الشيوعي البارز للصين الشيوعية . واخذت كتابته تزداد وضوحاً وتفصيلاً ابان الحرب الاهلية التي خاضها الشعب الصيني ضد الأعداء الخارجيين والداخليين ، اي اليابانيين وحلفائهم في الداخل .

ان المفاهيم الاساسية لما وضعه ماوتسي تونج عن حرب العصابات ترتكز في جوهرها على ما قاله كارل ماركس : « ان القوة الصغيرة لا تستطيع ان تثبت امام قوة اكبر منها الا بمساعدة الانصار ». ان هذا القول انعكس كلياً على قول ماوتسي تونج عندما قال : « لا تزال القوة العددية والمستوى الفني في جيشنا أدنى بكثير منها لدى العدو (اليابان) ولا تزال ارضنا صغيرة للغاية ، فاذا نحن وضعنا برنامجاً على هذه الاسس فمعنى هذا اننا نعترف للجيش الاحمر الصيني بخصائص الانصار ، وهذه الخصائص نيرة يمتاز بها الجيش الاحمر، وهي الوسيلة الوحيدة الى دحر العدو » .

انطلاقاً من الاسس العامة للنظرية الاشتراكية العلمية ومفهومها الجدلي عن المجتمع والحرب، اعتبر ماوتسي تونج ان الحرب تستندعلى عناصر مادية وعناصر غير مادية .

العناصر المادية :

١) هي الاسلحة بمختلف مراحل تطورها من القوس والسهم حتى القنبلة والمدفع .

٢) اجهزة التموين وتوابعها من المخازن وخطوط المواصلات والاتصالات ووسائل نقل المؤن والذخائر والاسلحة .

٣) العنصر البشري وهو العامل الحاسم، ويتمثل بالجنود في الحرب النظامية والانصار في الحروب غير النظامية .

العناصر غير المادية :

١) **المكان :** وهو المساحة من الارض تدخل ضمن ساحة العمليات الحربية محددة بالاميال المربعة تضاف اليها الصعوبات والعقبات (وتمثل الحواجز الطبيعية والاصطناعية) وتطرح فيها شبكات وخطوط المواصلات على اعتبار انها من العوامل التي تسهل الحركة والتنقل ضمن ساحة العمليات . ويمكن تلخيص ذلك بالمعادلة البسيطة التالية : **المكان = المساحة + الصعوبات – شبكة المواصلات .**

٢) **الزمن :** وللزمن اهمية قصوى عندما يرتبط بالامكانات المادية والمعنوية ومدى استمرار تدفقها وتحمل الشعب للصمود في مرحلة زمنية معينة . وقد يلعب الزمن اهمية فرعية عندما تجد الخطة ان الاستيلاء على هدف معين في وقت محدد قد يؤثر تأخيره او تقديمه على نجاح عملية حربية رئيسية ذات اهداف استراتيجية .

٣) **الارادة :** ان الارادة هي المحرك الرئيسي لطاقات الجماهير وتوجيه قوتها للمعركة عن رضى ورغبة اكيدة في الوصول الى الاهداف التي يحارب الشعب من اجلها ، وبدون ارادة يدعمها العزم والتصميم لا يمكن بأي حال من الاحوال تحقيق ذلك .

هذه النظرية التي تستند عليها العناصر الستة المذكورة هي القاعدة الاساسية التي انطلق منها ماوتسي تونج عندما وضع مفاهيمه عن حرب العصابات آخذاً بعين الاعتبار امكان غلبة شعب متأخر غير صناعي على شعب متقدم صناعي،

ومعنى ذلك امكان حل التعبئة الصناعية بالتعبئة السياسية المرتكزة على قوى الشعب الذي سينتصر حتماً اذا تمكن من القضاء على فكرة الاستسلام والرضوخ للأمر الواقع مستعيضاً عنها بفكرة الانتصار الحتمي . لقد عالج ماوتسي تونج قضية عسكرية رئيسية ترمي الى اخضاع الزمان للمكان ، لكنه لم يتوصل في هذا الموضوع الى اكتشاف مفاهيم جديدة قد تختلف جذرياً عن المفاهيم التي وضعها كلوزوفيتش ، الا ان ماوتسي تونج قد شرحها بشكل مبسط وبأسلوب مرن . لقد كان اكثر توفيقاً عندما عالج القضية السياسية من وجهة اخضاع الارادة لعنصر الزمن . وهذا أمر طبيعي عندما ننظر الى ماوتسي تونج نظرة القائد السياسي والثوري الذي ركّز كل نشاطه وامكاناته من أجل قلب نظام المجتمع الصيني من مجتمع اقطاعي رأسمالي متأخر الى مجتمع اشتراكي متقدم .

مراحل الحرب : قسم ماوتسي تونج الحرب الطويلة الأمد الى ثلاثة مراحل:
١ — مرحلة الاستراتيجية الدفاعية . ٢ — مرحلة الاعداد والتحضير للهجوم .
٣ — مرحلة الهجوم .

١) **الاستراتيجية الدفاعية** : يضطر الشعب الثائر في هذه المرحلة الى التراجع او الاستسلام على ان يكون ذلك هو الطابع العام للعمليات الحربية خوفاً من التأثير على الروح المعنوية . ان الحذر واليقظة أمران ضروريان في هذه المرحلة، كما ان الانتصارات الصغيرة ترفع الروح المعنوية وتساعد القوات الشعبية على تكرارها . ولكن يجب اعطاء هذه الانتصارات حجمها الطبيعي دون المبالغة بأهميتها خوفاً من ضياع الهدف الاستراتيجي .

٢) **مرحلة الاعداد والتحضير للهجوم** : تبدأ هذه المرحلة عندما تتحول الوحدات العسكرية الى وحدات معبأة تستمد ذخائرها واسلحتها من العدو . وفي هذه المرحلة يقضى على الروح الانهزامية التي قد تسربت الى بعض فئات الشعب ويتم التنسيق بين وحدات الانصار لتتمكن من انزال الضربات الأشد في صفوف العدو وتجعله يعيش في جو من الفوضى والاضطراب وعدم الراحة والاستقرار .

٣) **مرحلة الهجوم** : تبدأ هذه المرحلة بتحول وحدات الانصار الفدائية الى وحدات منظمة ومتماسكة مشابهة للتنظيم المتبع في الجيش من حيث التشكيل والتنظيم والتسليح والارتباط والتعاون بين وحدة وأخرى . ومثل هذا العمل لا يمكن ان يتم اذا لم تتوافر قيادة قوية ومجربة . ليس من الضروري في هذه المرحلة ان يكون الطابع السائد هو العمليات الهجومية فقد تضطر بعض القوات للتراجع خطوة ولكنها تتقدم في الظرف المناسب خطوتين .

ويعتبر ماوتسي تونج ان المهمات الرئيسية لحرب العصابات هي : — الحرب على خطوط خارجية، اي في مؤخرة العدو، اقامة قواعد تموين وانطلاق وحماية، توسيع رقعة العمليات .

ان الاستراتيجية الأساسية لحرب العصابات ترتكز على اليقظة والقدرة على التحرك الواسع والهجوم . ويجب ان تتكيف هذه الاستراتيجية مع وضع العدو والمنطقة الجغرافية التي تتحكم بمسارح العمليات وخطوط التموين الخارجية وغير ذلك من المؤثرات التي تؤثر على العمليات كالمناخ والبيئة وموقف السكان . أما التكتيك الذي يعتبر وسيلة لتنفيذ الاستراتيجية فقد شرحت خطوطه الرئيسية في بحث القواعد العامة لقتال الانصار .

المفاهيم الماوتسيتونجية حول حرب العصابات في الصين

يعتبر ماوتسي تونج ان حرب العصابات تختلف عن الحرب النظامية ، فبينما الأولى تتصف بميوعة التشكيل وسهولة الحركة ، تبقى الحرب النظامية خاضعة لأسس عامة تتصف ببطء الحركة والتقيد بتشكيلات معينة سواء في القتال أو في الوحدات .

يقسّم ماوتسي تونج حرب الانصار في ظروف الصين الى ثلاث مراحل رئيسية مقتبسة من القاعدة الأساسية التي مرّ ذكرها ، يمكن ايجازها بما يلي :

المرحلة الأولى : كان الانصار فيها في وضع الدفاع والتراجع بينما القوات

الصينية كانت في وضعية الهجوم والتقـدم . وبتعبير سوقي ، في الوقت الذي كانت قوات الانصار الصينية تقوم بعمليات التراجع الدفاعي السريع يتبعه التحشد والانتشار دون الاعتماد على حرب الخنادق (الشكل البغيض من اشكال الحرب الذي ابتليت به القوات العربية ولا تزال في صراعها مـــع القوات الاسرائيلية) كانت القوات اليابانية توجه الضربة تلو الضربة للقوات الصينية ولكن دون ان تنال منها مقتـــلا لأن الاستراتيجية الصينية اعتمدت على : المناورة وتجنب الضربات – عندمـــا يكون الخصم اقوى – والتعبئة للتهيؤ للضربات الحاسمة . تجنب المعارك الكبيرة الحاسمة خـــلال المراحل الأولى من الحرب . العمل الجدّي لتحطيم الروح المعنوية والقتالية والفعالية العسكرية لدى العدو . الحفاظ على الروح المعنوية الصينية بأعلى مستوى .

يقول ماوتسي تونج ما معنـــاه بهذا الصدد : « ان حرب الشعب المسلح والعصابات الصغيرة من ناحية ، والجيش الأحمر من ناحية أخرى همـــا بمثابة الذراعين للانسان . وبعبارة عملية : ان معنويات الشعب هي معنويات الشعب وهو مسلح ، وهذا ما يخشاه العدو » .

وهنا تبرز أهمية تسليح الشعب وأثره المعنوي الكبير الذي يجعل منه قوة حربية شعبية لا تقل عن قوة الجيش تغطي صفحة البلاد وتجعل منها جحيماً لا يطاق يلتهب تحت اقدام الاعداء . ان منظمة التحرير الفلسطينية عندما تركّز على تسليح سكان « الضفة الغربية » ، كمرحلة اولى ، وكل الشعب الفلسطيني في المرحلة الثانية، تشعر بخطورة المعركة المنتظرة. فقد بات واضحاً حتى لأقل الناس إلماماً بالأمور العسكرية ان النظرية القديمة التي تعتمد على الجيوش فقط في الحرب اصبحت بالية لا تتفق ونظرية الحرب الحديثة التي نقلت معاركها من الجبهات وخطوطها فحسب، الى مجمل المساحات العامة لبلد ما . فقد يجري القتال على الحدود وفي الوقت ذاته تجري معارك اخرى في مختلف قطاعات البلد الداخلية.

يقول ماوتسي تونج : « ان الهدف الأساسي للحرب هو تدمير قوة العدو

على القتال وليس الاستيلاء على المدن والأماكن . وترمي المرحـــلة الاولى الى انقاص هذه القوة لدي العدو » .

المرحلة الثانية : انتقل الأنصار الصينيون في هذه المرحلة الى ازعاج العدو بصورة أشد وقد سماهــا ماوتسي تونج (فترة العراك الحذر) . اصبح وضع الانصار من القوة بمكان بحيث استطاعت وحداتهم المميزة، بالقيادة القوية والمنظمة والتشكيل المرن والجيد، من الاستمرار في انهاك اليابانيين اربعاً وعشرين ساعة كل يوم مهددة قواهم بالموت والفناء . لقد شعر اليابانيون في هذه المرحلة انهم محاطون بالشعب الصيني المعادي لهم من جميع الجهات .

اما الوضع العام لليابانيين فقد كان سيئاً للغاية وقد اجبروا الى الانتقال العشوائي بجميع معداتهم ومؤنهم وافـــراز وحدات كبيرة من الجنود المقيمين على طول خطوط المواصلات لحراستها ، كما اضطروا لنشر حاميات ثقيلة تمركزت في قواعدهم الموزعة في منشوريه وفي اليابان نفسها .

ان الغاية الأساسية لهذه المرحلة هي تمكين الانصار الصينيين من الاشتباك مع الجيوش اليابانية على أساس (حرب المواقع) وهذا ما أمكن الوصول اليه وأدى بالتالي الى تبدل ميزان القوى لصالح الانصار .

المرحلة الثالثة : لا يمكن البدء بهذه المرحلة قبل الوصول الى الغـــاية التي أمكن الوصول اليها في المرحلة الثانية، وهي اجبار العدو على تبني سياسة الدفاع عن المواقع في الوقت نفسه الذي تبدأ فيه (الحرب المتحركة) من جديـــد . والقوة المحركة هنا هي قوى الانصار التي تتمكن في هـــذه المرحلة بكل سهولة من شن الهجوم المعاكس بعد ان انهكت قوى العدو .

ان تطور قوى الانصار في هذه المرحلة الأخيرة يخلق الظروف الملائمة لتعبئة القوى بدرجات اسرع وبحجم اكبر تمهيداً لتحطيم قوى العدو وعرقلة انسحاباته من ارض المعركة .

تشكيلات الانصار الصينيين

ان الاسلوب الذي اتبعه الانصار الصينيون لا يختلف من حيث الجوهر عن التشكيلات السوفياتية . فقد قسّمت البلاد الى مناطق، وشكّل في كل منطقة هيئة اركان يرأسها آمر عسكري ومفوض سياسي يعاونهم رؤساء شعب للتنظيم والادارة والتموين والتدريب والعمليات والمخابرات ... الخ . وقسّمت المنطقة الى قطاعات او مقاطعات صغيرة عيّن فيها قيادة مماثلة للمنطقة على مستوى اقل، بحيث ترتبط بالمنطقة بطريقة مشابهة للاسلوب المتبع في القطاعات العسكرية . اما القيادة المركزية التي تعود اليها قيادة المناطق فقد شُكّلت باسلوب عملي ومرن بحيث لا تكون القيادة العليا للانصار مفرطة في المركزية. لقد اعطيت للقيادات المحلية صلاحيات واسعة تمكنها من تدبير امورها القتالية والمعاشية والتنظيمية المحلية وترك للقيادة العليا وضع استراتيجية العمل والاشراف الفعال لجميع مستويات القيادات. لقد ساعد مثل هذا الوضع تطبيق مبدأ المركزية الديمقراطية باسلوب عسكري شعبي . اما تشكيلات الانصار الصينيين من حيث الحجم فقد كانت كذلك مماثلة للتشكيلات السوفياتية تبدأ بالزمرة ، الفصيل ، السرية ، الكتيبة ثم اللواء ، مع وجود مفارز او وحدات دعم للرشاشات او الهاونات المتوسطة والاسلحة المضادة للدرع .

القواعد العامة لقتال الانصار

ينطلق ماوتسي تونج من المفاهيم الموضوعية لحرب الانصار مستنداً على الاسس التالية :

- تختلف سوقية الانصار عن سوقية الجيش النظامي .
- يتجنب الانصار قتال المواضع .
- لا تخوض وحدات الانصار معارك حاسمة .
- يعتمد الانصار في عملياتهم على اليقظة وسرعة الحركة والهجوم .

يمكن عرض القواعد العامة التي يعرضهـــا ماوتسي لتكون مرشداً لسلوك الانصار في عملياتهم بايجاز على النحو التالي :

— عندما يكون العدو متفوقاً : يتجنب الانصار مواجهته وينسحبون حين يتقدم . عندما يستقر تبدأ عمليات الهجوم بقصد الانهاك والمطاردة عند الفرار.

— **مبدأ المفاجأة** : ان عنصر المفاجأة هي الاساس لنجاح كل عملية يقوم بها الانصار بدءاً من المرحلة الاولى حتى الثالثة .

— **مبدأ المبادهة** : يجب ان تتصف خطط الانصـار الهجومية عند وضعهـا بالمبادهة حتى يبقى زمام الموقف دائماً بايديهم .

— **مبدأ التحشد** : اساس هذا المبدأ يرتكز على الفرار امـام قوات العدو الكبيرة والقوية ، يقابله التحشد ازاء قوات العدو الضعيفة والقليلة العدد .

يوضح هذا المبـدأ احـد القادة الصينيين بالقـول التالي : « يجب ان يكون للانصار تفوق عددي اثنـاء اشتباكهم النظـامي مع العدو ، بيد انه اذا كانت قوات العدو النظامية في حالة الانتقال او الاستراحة ، او كانت سيئة الحراسة تمكنت مفرزة من الانصار اقل تعدادا منها بكثير ان تشن هجومهـا جانبياً مفاجئاً وسريعاً على نقطة حيوية او خط للعدو» .

— **الضربات العنيفة** : بغية الوصول الى حل سريع وحاسم في كل معركة يجب اللجوء الى الضربات العنيفة والصاعقة .

— **الانتشار والانتقال** : عندما تكون الارض غير ملائمة ، او المؤن غير كافية ، وعندما لا يستطيع الانصار اعـداد القوات اللازمـة ، وتهـدد قواتهم بالتطويق ، يجب اللجوء باقصى سرعة الى الانتشار والتنقل لتجنب ضربات العدو .

—**الخداع والمراوغة** : يتقن الانصار اسلوب الخداع والمراوغـة ، فعندمـا تريد وحدة من الانصار ان توجه الهجوم من الغرب والجنوب تتظاهر بالهجوم من الشرق والشمال وهكذا .

– **السرية** : تحافظ الانصار على السرية التامة عندما تنتقل وحداتها من مكان الى آخر .

– **التعاون مع الشعب** : يوضح احد القادة الصينيين افكار ماوتسي تونج بهذا الصدد قائلاً : « الى جانب التفوق في سرعة الحركة، يتمتع الانصار بسبب عدم امكان انفصالهم عن سواد السكان المحليين ، بميزة التفوق في الاستعلام ، فعليهم ان يستغلوا ذلك الى اقصى حد . ان على كل فلاح في الظروف المؤاتية ، ان يساهم في استعلامات الانصار ، وبذلك يستحيل على العدو ان يخطو خطوة دون ان يصل خبرها الى الانصار » . عندما تبني مفارز الانصار قواعدها في منطقة ما تتعاون تعاوناً وثيقاً مع السكان .

وقد أجمل ماوتسي فن حرب العصابات بستة مبادىء أساسية تعتبر ذات مستوى استراتيجي ، لأن تطبيقها يساعد على حفظ وتطوير قوات الانصار ، ويجعلها قادرة على تدمير قوات الخصم خلال مراحل حرب التحرير الشعبية الثلاث . وهذه المبادىء هي :

١ – تتعاون وحدات الانصار الى اقصى حدود التعاون مع قوات الحرب النظامية (الجيش) .

٢ – تؤسس قواعدها في كل المناطق الجبلية والسهلية ، وعلى الأنهر والبحيرات .

٣ – تقوم بحرب دفاعية واخرى هجومية طويلة الأمد ، مستعملة الخطوط الداخلية والخارجية بحرية ومرونة .

٤ – تطبيق مبادىء الدفاع والهجوم الاستراتيجي .

٥ – تطوير المعارك للتوصل الى الحرب المتحركة .

٦ – تأمين عنصري القيادة والارتباط بصورة جيدة .

الفصل الثاني عشر

التجربة الجزائرية في حرب الأنصار

لمحة تاريخية وجغرافية

أ ـ لمحة جغرافية : المساحة ٢و١٩٥و١٦٠ كم٢ . السكان ١٠و١٤٣و٠٠٠ نسمة . حدودها : شمالاً : البحر الأبيض المتوسط ، جنوباً : النيجر ومالي وجزء من موريتانيه ، شرقاً : تونس وليبيه ، غرباً : المغرب . عاصمتها : الجزائر .

اقسامها الطبيعية : تقسّم الجزائر الى خمسة نطاقات تضاريسية هي ، من الشمال الى الجنوب : سهل ساحلي ، سلاسل اطلس البحرية ، هضبة الشطوط ، سلاسل أطلس الداخلية ، والصحراء. اخصب اراضيها تقع بالاقاليم الساحلية . الجزائر بلد زراعي رعوي وتبلغ المساحة الزراعية فيه ٣٪ من المساحة الكلية . اهم المنتجات الزراعية : الحبوب والكروم والزيتون ، ويزرع ٤٠٪ من مجموع اشجار الزيتون في هضاب القبائل . والجزائر من البلدان المنتجة للبلح ، حيث يبلغ مجموع اشجاره ٦ ملايين . ويزرع في الجزائر معظم انواع الفواكه والخضار والغلات الصناعية كالتبغ والقطن والنباتات العطرية والبنجر . وتسهم الثروة الحيوانية بربع الدخل القومي ، وتبلغ مساحة اراضي الرعي عشرين مليون هكتار .

وفي الجزائر ثروات معدنية كبيرة لم تستغل بعد على نطاق واسع . يوجد في البلاد حالياً اكثر من ١٣٧ منجماً، ويأتي الحديد في مقدمة المعادن التي تستخرج من الجزائر ، وأهم مناطقه عنابة ومنطقة بني صاف وعونزة . ويوجد فيها الفوسفات، وأهم مناطقه جبل كويف وقسطنطينة وبرج ردير وتوكفيل. ويوجد الفحم الحجري الذي بدىء باستغلاله منذ ١٩١٨ على تخوم الصحراء في كلوم بشار وقنادسة .

في السنوات الاخيرة اكتشفت حقول البترول في ولاية قسطنطينة وعجيلة وحاسي مسعود وبدأ الانتاج منذ سنة ١٩٥٧ ، ويوجد في الجزائر العديد من المعادن كالرصاص والزنك والنحاس والزئبق .

لا تزال الصناعة في الجزائر غير متطورة ، ويوجد حالياً بعض الصناعات الاستهلاكية والغذائية كالمنسوجات وتعليب الفواكه وصناعة الجلود . الا ان حكومة الثورة عاقدة العزم على تصنيع البلاد بمعونة البلدان الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفياتي وتشيكوسلوفاكيه والمانيه الشرقية . وقد بدىء العمل في عدة مشاريع صناعية ضخمة ، وانجز بناء بعض المعامل الكبيرة .

تعاني الجزائر ضعفاً ملحوظاً في خطوط المواصلات البرية، ويبلغ طول شبكة المواصلات المعبدة ٨٨٥٠ كيلومتراً الى جانب الطرق والمسالك الصحراوية غير المعبدة، ويبلغ مجموع اطوالها اكثر من ٧٠ ألف كم. والجزائر تعتبر العاصمة والميناء الاول في البلاد ، ويدخلها سنوياً حوالي ثلاثة آلاف سفينة، ويلي ميناء الجزائر في الاهمية ميناء وهران .

مقدمات الثورة الجزائرية :

١) تمتد جذور الثورة الجزائرية عميقاً في تربتها الطيبة منذ بدأ الفرنسيون يتوافدون على الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي عام ١٨٣٠ . لقد اعقبت ذلك فترة الاستيطان الحر ، التي امتدت حتى العام ١٨٤٠ حيث أقام الجنود الفرنسيون في الجزائر بتشجيع من حكومتهم، وقام المستثمرون والاثرياء الفرنسيون بشراء المقاطعات والممتلكات . وهاجر الفلاحون الاسبان

الى غرب الجزائر ، وشق الايطاليون والمالطيون والفلاحون الكورسيكيون والصيادون طريقهم الى شرق الجزائر . وفي العام ١٨٣٤ اعلن الملك لويس فيليب ، على الرغم منه ، الجزائر من الممتلكات الفرنسية . وتقرر في العام ١٨٤٠ احتلال البلاد كلها .

لقد ظل رجال القبائل الجزائرية يقاومون بعنف توسع الفرنسيين في المناطق الريفية منذ عام الاحتلال ١٨٣٠ حتى العام ١٨٧١، وكان بطل هذه الحقبة شاب من غرب الجزائر هو الأمير عبد القادر الجزائري زعيم النضال الجزائري وقائد الحرب ضد المحتلين .

٢) ونترك حقبة تاريخية سوداء في تاريخ الجزائر ، مليئة بالسلب والنهب والظلم والاضطهاد من قبل المحتلين الافرنسيين وغيرهم من الاوروبيين المستثمرين ، امتدت منذ العام ١٨٧٠ مارة بالحربين الكونيتين الاولى والثانية . كان الشعب الجزائري يقدم الكثير من ثرواته : الارض للمستوطنين الغزاة ، واليد العاملة الرخيصة تباع هنا وهناك في معامل فرنسه ، ومصانعها التي كانت تبتلع العامل الشاب كما تبتلع المادة الخام ، والجندي الجزائري يموت في مشارق الكرة الارضية ومغاربها وهو يحارب في جيوش فرنسه ليس من اجل تحقيق اهدافها ومشاريعها العسكرية العدوانية والتوسعية ، بل من أجل لقمة العيش بعد ان تعذر عليه تناولها من ارضه التي تعطي زبداً وعسلاً .

٣) ويترجم هذا الظلم والاضطهاد الى ثورة عارمة اكتملت ملامحها عام ١٩٥٤ حيث تبدلت تعبيرات النقمة بالآمال المتصاعدة ، دافعة الشعب الجزائري ليشق طريقه نحو مستقبل أفضل لن يتم الا عن طريق القوة والعنف ، طريق الثورة الواعية والعملية التي تعقبها تبدلات اجتماعية جذرية تحدد الفئات التي ستقود الثورة نظرياً وعملياً ، وتحدد الفئات التي ستقتسم المنافع والخدمات وتقرر اسلوب توزيعها ، تحدد العلاقات الاجتماعية البشرية التي ستنظم عقد المجتمع ، تفتح آفاق الحضارة الجزائرية التي قيّدها المستبدون الاتراك والمستعمرون الفرنسيون مئات السنين ، ترسم أطر النظام الاجتماعي الجديد الذي ستلده

الثورة ، هذا النظام الذي سيقلب اوضاع الناس ، ويقيم الطبقات والفئـات المتحركة منها والساكنة ، الفاعلة والمنفعلة ، المستثمرة والمستعمرة . وفي ظروف كظروف الجزائر ، بلغت الاصطدامات والمشاكل فيهـا نقطة الاشباع ومهدت الطريق لبروز التباين والخـلاف الى اقصى مداهما ، كل ذلك أدى الى وقوف المجتمع الجزائري على ابواب ثورة عارمة .

٤) وبينما كانت عوامل الثورة الذاتيـة تنمو وتمتـد عمقاً واتساعاً ، والصراعات الفكرية والسياسية ، الحزبية منها والعقائدية ، توجه خطوطها نحو هدف مشترك يرمي الى الوحـدة في العمل للوصول الى تحرير ارض الجزائر ، نضجت عوامل الثورة المادية التي هيأتها الظروف الموضوعية والحسية في المجتمع الجزائري ، وكان ابرزها : البطالة المتزايدة في الجزائر حيث اصبح اكثر من خمسة ملايين مواطن على شفير المجاعة ، أزمـة التزايد المستمر في نسبة المواليد ، التدهور المتواصل في التطور الاقتصادي دون ان يبذل المسيطرون على هـذا المجتمع أية مقاومة او اجراء لحل الأزمات الاقتصادية المتوالية ، الصراع الطبقي الذي كان الهدوء النسبي مخيماً عليه في الظاهر ، بينما في الباطن كانت الطبقـات الدنيا والمستثمرة تقف أمـام الطبقات الثرية من الجزائريين والمستوطنين الافرنسيين ، وهي في موقف حاد بلغ درجة الاشباع ، وكان بين الفينة والأخرى ينذر بالحركة العارمة يعقبها الانفجار ، الاثر السيء الذي اعقب الهزة الارضية في الاضام (اورليانزفيل) والتمييز العنصري البيّن حول معاملة ضحـايا هذه الهزة .

كل ذلك وضع الشعب الجزائري بعماله وفلاحيه ، مثقفيه وكادحيه ، التجار والمنتجين ، العسكريين والمدنيين ، على استعداد للقيام بأي عمـل ثوري من شأنه قلب المجتمع وتبديله بمجتمع جديد تكلله الحرية والسعادة والرفاه لجميع فئات الشعب .

وبعد ان اكتملت التيارات الفكرية والمقدمات المادية للثورة ، لم يعد امام

النجاح الا تأمين القادة والسلاح . ولقد حاول مصالي الحـاج قيادة الثورة الا انه فشل عندما حاول تركيز جميع الصلاحيات في شخصه ظناً منـه بأنه الشخص الوحيد الذي هيأته الظروف لقيادة الثورة . لقـد حاول رفاقه في النضال اعضاء اللجنة المركزية اصلاح الوضـع الحزبي ، لكن محاولتهم باءت بالفشل مما دفع بتسعة من شباب اللجنة في مطلع العـام ١٩٥٤ تأليف اللجنة الثورية للوحدة والعمل ، وهم : حسين آية احمد ، واحمد بن بيلا ، ومحمد العربي بن مهيدي ، ومحمد بو ضيـاف ، ومصطفى بن بولايد ، ورباح بيطـات ، ومراد ديدوش ، ومحمد خيضر ، وكريم بلقاسم .

تولى كريم تمثيل قبيـلة ، وبن بولايد تمثيـل الاوراس ، وبن مهيـدي تمثيل وهران ، وبيطات تمثيـل الجزائر ، وديدوش تمثيل شمال قسطنطينة . وتولى بوضياف –المنظم الماهر– اعمال الارتباط بالنسبة الى خارج الجزائر. معظم هؤلاء الشباب هم من مناضلي حركة انصار الحريات الديموقراطية، وينتمون الى الطبقات الفقيرة او الوسطى ، وسبقت لهم خدمات فعلية في الجيش الجزائري والمنظمة الخاصة ، وقضى معظمهم فترات طويلة في السجون الفرنسية .

التخطيط للثورة الجزائرية

إن أي عمل اقتصادي او سياسي او عسكري لا يمكن ان يكتب له النجاح ان لم يخطط له مسبقاً من قبل قيادة واعيـة مؤمنـة بمبادىء شعبها وبأهدافه القريبة والبعيدة . وهكذا أدرك الثوريون الجزائريون أهميـة التخطيط حيث استخدموه سلاحاً قوياً لتحديد عمـل المستقبل ورسم سياسة الغد المشرق ، وتمكنوا من اتخاذه وسيـلة لضمان حسن استخدام عنـاصر الثورة ، الأرض والرجال والسلاح والوعي والتنظيم بطريقة علمية وعملية ، وكانوا يديرون دفة الثورة ويطورون الخطة وفقـاً للتبدلات السياسية والعسكرية والاجتماعيـة والاقتصادية، مما أوصلهم وشعبهم في نهاية المطاف المليء بالبطولات والتضحيات الى شاطىء النصر .

يعتبر البيان الذي وافق عليه مؤتمر الصمام وثيقة ضخمة من وثائق جبهة التحرير ونموذجاً حياً للتخطيط الثوري الصحيح . فقد قسم البيان الى ثلاثة مواضيع اساسية : قسم يحلل الوضع السياسي ، وقسم يتناول الامال العامة ، وقسم يتناول وسائل العمل والدعاية .

في الميدان العقائدي وضعت ثلاثة مبادىء اساسية هي :

أ — القيادة الجماعية ، ب — اولوية السياسة على الحرب ، ج — اولوية الداخل على الخارج .

اكد مبدأ القيادة الجماعية عدم ثقة الجماهير في قيام زعيم فرد ، ودعم مبدأ التوجيه الجماعي الذي يقوم بـه نفر من الرجال الشرفـاء الذين لم يعرف عنهم تعرض للفساد ، والشجعان والمستهينين بالخطر وبالسجن وبالخوف من الموت .

اما اولوية السياسة على الحرب فقد فرضته ظروف النضال في السنوات الاولى حيث كان بعض عقداء جيش التحرير عسكريين لا يتمتعون بالخبرات السياسية ، وشعر المناضلون السياسيون بضرورة الحصول على الاولوية ، واتخذ قرار بعدم ترفيع رئيس (نقيب) عسكري ليست له خبرة سياسية الى المركز السياسي الاول في الولاية . لقد تبدل هذا القرار بعد العام ١٩٥٦ حيث اصبح جميع الذين يشتركون في النضال التحرري — سواء كانوا جنوداً او غير جنود — متساوين ، والغي قرار اولوية الساسة على العسكريين ، وكذلك اولويـة الداخل على الخارج — الذي كان يعتبر المناضـل في ارض الجزائر له الاولوية على المناضـل الذي يعمل في الخارج لتأمين السلاح او القيام بمهات دعائية او اعلامية .

وفي تعريف الثورة ذكر البيان: ان ثورة الجزائر هي منظمة لا فتنة فوضوية لا ضابط لها . انها نضال وطني للقضاء على عهـد من الفوضى في ظـل الاستعمار وليست بالحرب الدينية ، انها خطوة الى الامام في الاتجاه التاريخي للانسانيـة وليست نكسة رجعيـة الى عهود الاقطاع . والثورة اخيراً هي نضـال لبعث الدولة الجزائرية في ظل نظام جمهوري ديموقراطي واشتراكي وليست اعـادة للملكية او لدولة دينية (تيوقراطية) اعفى عليها الزمن .

اما آراء جبهة التحرير في الاستراتيجية الاستعمارية فقد اشارت الى الدروس المستقاة من تجارب تونس ومراكش، وخاصة عندما وجد العدو عجزه عن مواجهة الوضع المتردي في الشمال الافريقي قرر التساهل مع تونس ومراكش على امل الاحتفاظ بالجزائر. لقد اشار البيان: بأن استقلال تونس ومراكش دون استقلال الجزائر يعتبر سراباً خادعاً.

اهداف الحرب الجزائرية: ومن اهم ما ورد في البيان، تعرض قادة الجزائر للاهداف وتحديدها لان العمل بين الجماهير بدون اهداف واضحة، يثير القلق ويضعف النفوس ويفقد المعنويات. لقد ذكر البيان بأن اهداف الحرب هي النقطة الاخيرة التي تتحقق بعدها اهداف السلام. وهي الوضع الذي ندفع العدو نحوه لنجبره على قبول اهدافنا السلمية. وقد يكون ثمة انتصار عسكري لا ينطوي على شروط. «بالنسبة الى اوضاعنا فان اهدافنا مزيج من الاهداف السياسية والعسكرية» وهذه هي:

١) الاضعاف الكلي للجيش الفرنسي بحيث يستحيل عليه ان يحقق النصر عن طريق السلاح.

٢) تدهور الاقتصاد الاستعماري على نطاق واسع عن طريق التخريب بحيث يستحيل على الادارة القيام بأعمالها العادية في البلاد.

٣) خلق اقصى ما يمكن من الاضطراب في اوضاع فرنسه على الصعيدين السياسي والاجتماعي، بحيث يصبح من المتعذر عليها الاستمرار في الحرب.

٤) عزل فرنسه سياسياً في الجزائر وفي جميع انحاء العالم.

٥) تطوير الثورة بحيث تنسجم مع القانون الدولي، وذلك باضفاء الشخصية على جيش التحرير واعطائه السلطة السياسية المعترف بها، واحترام قوانين الحرب، وادارة المناطق التي يحررها بشكل اعتيادي مألوف.

٦) مساعدة الشعب بصورة دائمة في وجه محاولات الابادة التي يقوم بها الفرنسيون.

الخطوط السياسية لجماعة اللجنة الثورية للوحدة والعمل :

١) فضح الخطة الفاشلة وتعرية اعمال انصار مصالي الحاج وانصار اللجنة المركزية التي ادت الى تسعير الخلافات الداخلية وتمزيق حركة انتصار الحريات .

٢) تأمين وحدة العمل الثوري عن طريق القواعد الحزبية لا عن طريق الزعماء والقادة الحزبيين، ويتم ذلك بخلق الظروف المؤدية الى شق فئات المناضلين الحقيقيين عن كل من الفئتين المتخاصمتين عن طريق القناعة الشخصية والتجربة العملية .

٣) رفض حجج كل من الفريقين المتخاصمين مع الاقتراب في الخط السياسي الى جماعة اللجنة المركزية بغية تأمين الوحدة كمطلب ضروري للنجاح ، وهذا لا يتعارض مع موضوع التوقيت الضروري اللازم الذي يعتبر نقطة خلاف بينهم وبين اللجنة المركزية . .

٤) ارتأت اللجنة الثورية ان العمل الثوري الصحيح هو الاسلوب الامثل لضم اوسع فئات الشعب الجزائري، لان الوحدة ليست شرطاً مسبقاً للاخذ بزمام المبادرة . ومعنى ذلك ان الوحدة الفكرية تأتي عن طريق العمل الثوري .

الشرارة الاولى للثورة الجزائرية : نتيجة الاجتماعات السرية المتوالية التي عقدت بين آذار وتشرين الاول (مارس واكتوبر) من العام ١٩٥٤ اتفق كل من كريم وبن بولايد، وهما يمثلان قبيلة الاوراس كا مر" ،على حمل السلاح ضد الحكم الاستعماري ، ثم انضم اليهما الزعماء الاربعة قادة المناطق الجزائرية وحددوا المسؤوليات والاهداف، وتقرر ان يكون الاول من تشرين الثاني (نوفمبر) المصادف يوم عيد جميع القديسين وفي الساعة الواحدة صباحاً توقيتاً لبدء الثورة .

امكن الاجتماع بقسم كبير منزعماء لجنة الثورة لتنظيم عمليات شراء الاسلحة وحشد تأييد الوطنيين، كا اجريت محاولات اخيرة لاقناع مصالي الحاج وانصاره بالعودة لطريق العمل والمشاركة ، لكن هذه المحاولات باءت بالفشل .

في صباح الاول من تشرين الثاني (نوفمبر)، قام الثوار بهجمات مركزة في آن واحد وفي جميع انحاء الجزائر على اهداف عسكرية وبوليسية، بلـغ مجموعها نحو ثلاثين هجوماً اشترك فيها اكثر من الفي مناضل، كان سلاحهم بدائياً لم يتعـد بارودة الصيد والاسلحة الخفيفة التي امكن تأمينها محلياً .

نجحت معظم مفارز الهجوم بمهامها الصغيرة وتمكنت من الانسحاب . وفي الوقت نفسه تمركز اعضاء اللجنة الثورية والانصار في منطقة جبال الاوراس واقاموا قواعد العمليات المقبلة، وانشأوا المستودعات والمخابىء والملاجىء الجبلية في مناطق لا يمكن للعدو ولوجهـا نظراً لوعورة مسالكهـا وعدم امكانية استخدام الآلة والسلاح بحرية، ومن هذه المراكز اخذ المناضلون الجزائريون يشنون هجماتهم المستمرة على القوات الفرنسية آخذين في بادىء الامر اسلوب الكمائن والهجمات الصغيرة المدبرة يتلوها الانسحاب السريع للمناطق الجبليـة الوعرة المسالك . عند هذا الاسلوب العملي في النضال، تحولت عشية يوم الثورة اللجنة الثورية للوحدة والعمل الى جبهة التحرير الوطني الجزائري من الناحيـة السياسية والى جيش التحرير الوطني من الناحية العسكرية .

تطوير القيادة والتنظيم : بغية الاستمرار في الثورة تنظيماً وتسليحاً وعملاً اتخذت الاجراءات التالية :

١) تشكلت قيادة الصف الثـاني الذي يربط عمل القيادة العليا بالجماهـير الجزائرية على الصعيدين العسكري والمدني على النحو التالي :

- منطقة قبيلـة : اوكل امر قيادتها الى عمارنة وعبانة وناصر .
- شمال قسطنطينة : اوكل امرها الى زيروت وبن طوبال .
- الاوراس : اوكل امرها الى شيحاني ونواروه .
- وهران : اوكل امر قيادتها الى بوصوف .
- الجزائر : اوكل امرها الى سويداني ودهلب وبن خيدة .

٢) اعطي للقادة العسكريين صلاحيات واسعة تخولهم اتخاذ القرارات المحلية الملائمة التي تتناسب واوضاع مناطقهم الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية .

٣) اوكل لبعض الجزائريين الموثوق بهم الذين يعيشون في الخارج مهمة الحصول على الاسلحة والمعدات الحربية، وقد توسعت هذه الاعمال مما دعا الى تشكيل البعثة الخارجية التي كانت تقوم باقامة طرق الامدادات عبر أراضي تونس ومراكش تمهيداً لفتح جبهات حربية جديدة في جميع انحاء البلاد .

٤) نتيجة لنجاح هذه الاعمال انضم للجبهة عدد من الافراد البارزين من اعضاء اللجنة المركزية لحركة انتصار الحريات الديموقراطية ومن الاتحاد الديموقراطي لانصار البيان وجماعة العلماء وبعض الشيوعيين .

وحدة العمل السياسي والعسكري

ان الربط الجدلي بين العمل السياسي والعسكري هو احد الاعمدة الاساسية التي يرتكز عليها نجاح الثورة ، وفي المؤتمرين الاول والثاني للمجلس الوطني يظهر هذا الرباط بصورة جلية .

قرر اعضاء الجبهة عقد المؤتمر الاول للمجلس الوطني في وادي الصمام ، وقد اختار المكان العسكريون نظراً لأهميته وكتحد للسلطات الفرنسية التي زعمت بأن قواتها سيطرت على المكان المذكور . اهم قرارات مؤتمر وادي الصمام :

١ – تأليف المجلس الوطني للثورة الجزائرية من سبعة عشر عضوا كاملا وسبعة عشر عضواً مساعداً . من بين هؤلاء الاعضاء الكاملين بعض الاحياء من مؤسسي اللجنة الثورية للوحدة والعمل ، وبعض القادة العسكريين الجدد ، وفرحات عباس الذي انضم عام ١٩٥٦ لجبهة التحرير ، وتوفيق المدني من جماعة العلماء ، وعدد من زعماء حركة انتصار الحريات الديموقراطية .

٢ – انتخب المؤتمر لجنة التنسيق والتنفيذ وكانت تضم خمسة أعضاء ظلت اسماؤهم سراً، وهم: رمضان عبانه، بن يوسف بن خيدة، ومحمد العربي بن مهيدي، وسعد دهلب ، وكريم بلقاسم من القادة العاملين في أرض الجزائر نفسها . مهمات هذه اللجنة في الدرجة الأولى، تنسيق وادارة العمل العسكري . وقضت قرارات المؤتمر بأن لجنة التنسيق والتنفيذ هي « مجلس الحرب الحقيقي» وهي مسؤولة عن توجيه وادارة جميع فروع الثورة من عسكرية وسياسية ودبلوماسية . وهي تسيطر على جميع هيئات الثورة المنظمة ، من سياسية وعسكرية ودبلوماسية واجتماعية وإدارية . وجميع القادة العسكريين والسياسيين المسؤولين عن النشاط الثوري في الولايات الست ، مسؤولون بصورة مباشرة امام لجنة التنسيق والتنفيذ » .

٣ – اعتبرت قرارات مؤتمر وادي الصمام ، بأن المجلس الوطني للثورة الجزائرية هو « أعلى جهاز للثورة ، يوجه سياسة جبهة التحرير ، وهو الهيئة الوحيدة المخولة في النهاية باتخاذ القرارات المتعلقة بمستقبل البلاد » ، والمجلس الوطني هو صاحب الحق وحده في إصدار الأمر بوقف إطلاق النار .

وعقد في القاهرة، في شهر آب (أغسطس) عام ١٩٥٧، المؤتمر الثاني للمجلس الوطني للثورة الجزائرية ، وكان أهم قراراته :

١ – توسيع عضوية المجلس من أربعة وثلاثين الى أربعة وخمسين لكي يصبح أعضاء المجلس بمثابة المرحلة التمهيدية لقيام مجلس البرلمان الجزائري المرتقب ، (لم تعلن اسماء اعضاء هذا المجلس) .

٢ – تقرر بأن يعهد الى لجنة التنسيق والتنفيذ ، اختيار العشرين عضواً جديداً .

٣ – وسعت عضوية هذه اللجنة من خمسة اعضاء الى اربعة عشر ، بينهم خمسة من المسجونين في باريس او الجزائر بوصفهم أعضاء شرف .

٤– تركت مهام المجلس الوطني ولجنة التنسيق والتنفيذ على ما كانت عليه في السابق .

٥ – تقرر عقد المجلس الوطني، بوصفه الهيئة العليا للثورة، اجتماعاً سنوياً .

٦ – أعطيت لجنة التنسيق والتنفيذ صلاحيات واسعة تناولت جميع المشاكل المتعلقة بتنفيذ السياسة التي حددها المجلس الوطني باستثناء القضايا التي تتعلق بمستقبل البلاد ، كالمفاوضات او انهاء العمليات الحربية ، او التحالف مع هذه الكتلة او تلك او حل المسألة الجزائرية دولياً .

٧ – تكون لجنة التنسيق والتنفيذ مسؤولة امام المجلس الوطني الذي يستطيع تنحيتها باقتراع الثلثين .

اقامة حكومة جزائرية : أخذت قيادة جبهة التحرير في النصف الثاني من عام ١٩٥٧ تهتم باقامة سياسات مشتركة مع جارتيها المستقلتين تونس ومراكش . وأدى اجتماع طنجة في نيسان (ابريل) عام ١٩٥٨ الذي حضره ممثلو حزب الاستقلال المراكشي وحزب الدستور الجديد التونسي وجبهة التحرير الجزائري الى تقرير اقامة حكومة جزائرية بعد التشاور مع الحكومتين التونسية والمراكشية . وفي شهر حزيران (يونيو) شرعت لجنة التنسيق والتنفيذ توزيع المهام الحكومية المعنية على اعضائها .

وفي التاسع من ايلول (سبتمبر) عام ١٩٥٨ اعلن المجلس الوطني للثورة الجزائرية، تأليف الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وقد ضمت خيرة العناصر السياسية والعسكرية برئاسة فرحات عباس .

والشيء المهم في الثورة الجزائرية – الذي يجب ان يكون درساً هاماً وقاعدة ذهبية لحرب التحرير الفلسطينية – هو تقليص شخصية الزعيم الفرد والتركيز على وجود القيادة الجماعية التي تمتد الى مسافة عميقة داخل جماهير الشعب ، وكان ذلك رد فعل ونتيجة حتمية للمحاولات ومواقف الانتهاز التي قام بها مصالي الحاج للسيطرة على الحركة الوطنية الجزائرية .

لقد قاومت جبهة التحرير الجزائرية ، مثل هذه المواقف مقاومة عنيفة كي لا تعطي الفرصة لقائد فرد من اتخاذ قرارات قد تكون مهلكة ، وخاصة عندما يتأثر القائد المنفرد بالسلطة، بالدوافع الشخصية والطموح الفردي .

تنظيم الاجهزة السياسية والعسكرية

أ – جبهة التحرير الوطني

بني الجهاز السياسي والعسكري في الجزائر على اساس الربط الديلكتيكي بين القيادتين السياسية والعسكرية في كل المستويات، بدءاً من القمة حتى القواعد حيث بقي الرابط من حيث الشكل يأخذ صفة الانفصال النسبي بغية تسهيل العمل ضمن الاختصاص، مع المحافظة على مبدأ الترابط في القضايا الجوهرية، ولقد ترجم هذا الربط بالاسلوب التالي :

أ – يرتبط المفوضون السياسيون في جميع مستويات الجيش بالقيادات العسكرية ويحملون الرتب نفسها التي يحملها اندادهم العسكريون .

ب – يتولى المفوضون السياسيون مهمة اعداد القواعد للعملية العسكرية من الوجهة الدعائية والاعلامية واقامة الادارات المحلية للعناية بالمشاكل غير العسكرية اثناء فترة اقامة الجيش في منطقة من المناطق وبعدها .

ج – تقوم الجبهة بجهود أساسي في هذا الميدان لاقامة دولة داخل دولة ، تتولى سراً وعلانية في المناطق المحررة جميع الاعمال التي كانت تقوم بها الادارة الفرنسية في السابق .

د – يقوم المفوضون السياسيون في كل قرية باقامة مجالس الشعب انطلاقاً من مبدأ : رفض (عقيدة الشخصية) في القيادة العليا وانعكاس ذلك على القيادات في القواعد حيث يقوم العمل على أساس جماعي .

تنحصر مهمة المجالس الشعبية على : خلق العلائق الوثقى بين قوات الثورة

وبين الشعب ، تعبئة المنطقة للحرب، تأمين الحاجات المحلية للأهلين . وتشكل هذه المجالس على أساس الانتخابات حيث ينتخب الرئيس والمعاونون وتتخذ القرارات بصورة اجماعية داخل المجلس وتتوزع مهماتهم على النحو التالي :

رئيس المجلس : مسؤول عن القضايا المدنية ونقل الشكاوى المحلية الى السلطات العليا .

– عضو ثان : مسؤول عن القضايا المالية كجمع الضرائب على أساس القدرة على الدفع واستعمال هذه الاموال بالطريقة الصحيحة .

عضو ثالث – مسؤول عن شؤون الدعاية والاعلام والمعنويات وكشف الخونة وتوزيع البريد وتأمين الاتصالات السريعة ونشر بيانات الجبهة والجيش والاشراف على شؤون التعليم . وهو في الوقت نفسه المساعد المحلي للمفوض السياسي في المنطقة .

– عضو رابع : مسؤول عن شؤون المؤن والتغذية .

– عضو خامس مسؤول عن قضايا الشرطة والأمن العام بالتعاون مع شرطة الجيش، ويتولى اعمالاً أخرى كالاشراف على توزيع المياه في القرية، وتنظيم شؤون الدفاع السلبي ضد السلطات الفرنسية ، وابلاغ الجبهة عن كل ما يحدث، واخفاء رجال جيش التحرير في القرى المجاورة عند الضرورة ، وتنظيم مكان وموعد الاجتماعات المختلفة .

جيش التحرير الوطني الجزائري :

التوزيع والتنظيم : كان هذا الجيش هو العمود الفقري للثورة الجزائرية، وبدونه لم يكن بالامكان تحقيق اي مجهود سياسي يؤدي الى انتصار الثورة . وكان في مطلع الثورة عبارة عن عدة جماعات تقوم باعمال الاغارة والكمائن طلباً للأسلحة والذخائر بصورة افرادية . في شهر آب سنة ١٩٥٦ أعيد تنظيم جيش التحرير وعهد لوحداته، وفقاً لما جاء في مؤتمر وادي الصمام، بتوزيع المهمات

على الولايات الجزائرية الستة المطابقة لتقسيمات الجزائر السياسية السابقة بعد ضم ولاية الصحراء الجديدة .

للضرورة العسكرية تم عام ١٩٥٧ تنظيم قاعدتي الشرق والغرب على كل من الحدود التونسية والمراكشية لتأمين وصول الأسلحة والرجال من المنطقتين المذكورتين . وبذلك اصبحت القيادات والقواعد العسكرية على النحو التالي :

١ – قيادة ولاية قبيلة .

٢ – قيادةمنطقة شمال قسطنطينة .

٣ – قيادة جبال الاوراس .

٤ – قيادة وهران .

٥ – قيادة مدينة الجزائر .

٦ – قيادة ولاية الصحراء الجديدة .

٧ – قيادة ولاية قاعدة الشرق – على الحدود التونسية .

٨ – قيادة ولاية قاعدة الغرب – على الحدود المراكشية .

قسّمت كل ولاية من الولايات الست الى مناطق والمنطقة الى اقاليم والاقليم الى قطاعات . أما القيادات فشكلت على النحو التالي : قائد عسكري وسياسي يعاونه ثلاثة مساعدين ، ضابط للشؤون السياسية ، ضابط للشؤون العسكرية ، ضابط لشؤون الارتباط والمخابرات .

الرتب في جيش التحرير :اعلى رتبة عسكرية قرر استعمالها حتى الاستقلال هي رتبة العقيد (كولونيل) ويحملها قائد الولاية الذي يقود جميع وحدات الجيش المتمركزة في المواقع العسكرية للولاية . وتتدرج الرتب وفقاً للدرجات العشر على النحو التالي : عريف – رقيب – وكيل مرشح – ملازم ثان – ملازم اول – نقيب – رائد – مقدم – عقيد .

نظام تشكيل وحدات جيش التحرير : تم في مؤتمر وادي الصمام تقسيم وحدات الجيش وفقاً للتشكيل التالي :

- الحضيرة : وتضم أحد عشر جندياً .
- الفصيل : ويضم خمسة وثلاثين جندياً (ثلاث حضائر) .
- السرية : وتضم مائة وعشرة جنود (ثلاث فصائل) .
- الكتيبة : وتضم ثلاثمائة وخمسين جندياً (ثلاث سرايا) .

وكان يوجد في الجيش ثلاث فئات من المتطوعين وهم المجاهدون والمسبلون والفدائيون . وفي بعض المناطق انشئت فئات المغاوير التي كانت تعمل بصفة مستقلة عن القيادات المحلية ويقومون بالمهات الخاصة الخطيرة . وألحق في الجيش ايضاً عدد من الخدمات المركزية ، كالخدمة الطبية ، وخدمات الاتصال مع القيادات الأخرى ، والخدمات الاجتماعية لأسر الضحايا والشهداء ، والدعاية والاعلام والثقافة .

الرواتب : روعي في وضع نظام الرواتب عدم خلق فوارق مادية عميقة بين الجندي وأعلى رتبة في جيش التحرير وهى رتبة العقيد ، على ان لا يتجاوز الفرق بين أقل راتب وأعلى راتب ، وهو راتب العقيد، خمسة امثال . وعلى هذا الأساس كان راتب الجندي يتدرج من ألف فرنك في الشهر وراتب العقيد لا يتعدى الخمسة آلاف فرنك في الشهر . وروعي ايضاً وضع نظام علاوات للعائلات ومنح للأسر في حالات الأسر او الوفاة . وقد وجد الكثير من المقاتلين في جيش التحرير ممن لا يتقاضون الرواتب .

التدريب : ما ان استهل العام ١٩٥٨ الا واصبح جيش التحرير الوطني جيشاً نظامياً صحيحاً يقوم التطوع في صفوفه على أساس الانتقاء مع اعطاء الأفضلية لمن سبقت لهم الخبرة العسكرية ، كانت مراكز التدريب تنشأ في

المناطق المعزولة التي يصعب ولوجها من قبل العدو كجبال الاوراس او خارج الحدود ، حيث فتحت مراكز التدريب في كل من الحدود التونسية والمراكشية . وكان التدريب العادي الاولي على اساليب القتال والنظام يجري ضمن الوحدات نفسها بدورات تتراوح بين (٣ – ٩) شهور ، يتقن الجندي خلالها استعمال الأسلحة الخفيفة وصيانتها، ويتدرب على اعمال الجندي المحارب الفردية والتعبوية على مستوى الحضيرة، بالاضافة الى دروس خاصة على اعمال التدمير والتخريب. أما الدروس العسكرية العالية للضباط فكانت تفتح دوراتها في كل من تونس ومراكش . أما تدريب الفدائيين الاخصائيين والمهندسين العسكريين والطيارين فقد كان يجري في القاهرة وبغداد والمانيه الشرقية .

القوانين والانظمة الداخلية للجيش: لقد وضعت قوانين عسكرية للانضباط والقضاء العسكري واصبحت سارية المفعول اعتباراً من نيسان ١٩٥٨ .

حدود قانون الجيش : العقوبات للجنح الصغيرة كسوء السلوك والشجار والكسل ، والجرائم كمحاولة القتل والسرقة وفقد السلاح ، والجرائم الخطيرة كالفرار من الجيش والخيانة والعصيان . وانشئت محاكم عسكرية تقضي بالاعدام .

الحقوق والواجبات : وحد القانون الواجبات والحقوق للجندي المجاهد ، وأهم ما ورد فيه : ان الجندي في جيش التحرير هو متطوع في الجيش الى مدة انتهاء الحرب ، عليه ان يكون قد ثبت في نفسه حب بلاده ، وكرس حياته واستعد لها بالتضحية بروحه في سبيل حريتها والدفاع عنها . وعليه ان يهتم بالغ الاهتمام بالشعب الذي ينتمي اليه والذي يحارب دفاعاً عنه . وعليه ان يحترم نفسه وان يكون شريفاً صريحاً ومخلصاً . وعليه ان يتخلى عن الانانية وحب الذات ويوصي كل مجاهد بتطبيق مبادىء الاسلام وشرائعه . وعليه ان يحمل لزملائه المجاهدين روح المساعدة في اللحظات الحرجة

في النضال المشترك . وعليه ان يحترم القائد وينظر اليه بعين الاحترام والثقة المطلقة ويكون بالنسبة اليه مثلاً للتضحية والبسالة والعدل والتقديس للواجب .

حجم جيش التحرير : أشارت أوثق الارقام التي امكن الحصول عليها بأن هذا الجيش بدأ بمئات محدودة من المتطوعين في العام ١٩٥٤ . وفي العام ١٩٥٩ ارتفع عدد افراده الى مئة وثلاثين الف . اي ان هذا الجيش زاد خلال خمسة اعوام الى اكثر من اربعين ضعفاً .

كانت المشكلة الرئيسية التي تحدد حجم هذا الجيش وتحدد عدده هي قلة السلاح . اما الرجال فقد كانت الجزائر منبعاً لا ينضب من الجنود الابطال ، وكان بامكان هذا الشعب لو توافرت له الأسلحة تجنيد ما لا يقل عن ١٠ — ١٥ ٪ من سكانه، اي اكثر من مليون جندي، ومثل هذا العدد كان بامكانه تخفيض زمن الحرب الجزائرية وتقليل عدد القتلى والجرحى، وعدم خسارة ثروة لا تقدر بثمن من الرجال الابطال . لكن الظروف القاسية التي فرضتها السلطة الفرنسية أبت الا ان تظهر للعالم بطولة الشعب الجزائري شبه الأعزل عن السلاح لتسمى ارض الجزائر الثائرة : بلد المليون شهيد .

التسليح : كان السلاح في بدء الثورة يتألف من بنادق الصيد والمدى والأسلحة البدائية الأخرى . ثم استولى جيش التحرير على بعض مخابىء الأسلحة التي كانت مطمورة منذ ايام الحرب العالمية الثانية . وفي السنة الأولى من القتال وصلت بعض الأسلحة الحديثة من الخارج . وارتفعت نسبة تسليح الجيش نوعاً وكماً في نهاية عام ١٩٥٥ ووصلت اليه بعض المدافع القديمة نسبياً والتي استعملت في الحرب العالمية الثانية . وظل جيش التحرير حتى نهاية العام ١٩٥٧ يؤكد بان ثلاثة ارباع سلاحه جاء من الغارات التي يقوم بها على مواقع الفرنسيين.

أما أنواع الأسلحة التي استخدمها الجيش فهي السلاح الأمثل لحرب العصابات، وكانت تتألف من البنادق الخفيفة ومدافع الرشاشات المتوسطة والثقيلة والخفيفة

ومدافع البازوكا والهاونات الخفيفة والمتوسطة . وفي العام ١٩٥٩ ظهرت الطائرات الحربية التي كان يقودهـا نسور جزائريون . وكان السلاح يصل للجزائر عن طريق البحر والبر من تونس ومراكش، ومصادره الرئيسية البلاد العربية والبلدان الاشتراكية .

استراتيجية حرب التحرير الجزائرية

اعتمدت الاستراتيجية الحربية للثورة الجزائرية على الأسس التالية :

١ – الحرب على الخطوط الخارجية والقيام بهجمات مستمرة في مؤخرات العدو .

٢ – اقامة قواعد تموين وانطلاق وحماية في المناطق الجبلية بصورة خاصة والمناطق غير المواتية بصورة عامة (الصحارى والسهول والمناطق المأهولة والمشجرة) .

٣ – توسيع ساحات العمليات الحربية الى الحد الذي يربك العدو ويجعله مضطراً لتوزيع قواته .

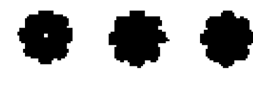
٤ – بث الشعور بعدم الطمأنينة للفرنسيين في كل زاوية من زوايا البلاد .

استناداً لهذه الأسس الرئيسية الأربعة كان بامكان جيش التحرير الوطني القيام بتحركات واسعة وخلق الظروف المناسبة لتوسيع عمليات الهجوم ، وقد ساعد على ذلك اختيار قادة أكفاء من المناطق نفسها مما سهل للقائد تكييف الأسس العامة للاستراتيجية ، مع وضع العدو والمنطقة الجغرافية التي بامكانه ان يتحكم بخطوط مواصلاتها ، وغير ذلك من المؤثرات التي تلعب دوراً هاماً في القتال كالمناخ والبيئة وموقف السكان .

وقد تأثرت الاستراتيجية الحربية الجزائرية بمختلف الأساليب الاستراتيجية والتكتيكية في البلدان الاخرى، غير ان أهم دروس تلقتها في حرب العصابات كانت مستمدة من حرب العصابات السوفياتية والصينية. هذا بالاضافة لما اقتبس

من حركات المقاومة الفرنسية في الحرب ضد الالمان ومن الاساليب التي اتبعها الانصار في اوروبه الشرقية .

كان القادة العسكريون الجزائريون يطمحون لتخطيط معارك حاسمة كمعركة (ديان بيان فو) الاان ضعف التسليح وقلة الغزارة النارية وعدم توافر المعدات الحربية الاخري كان يقف حجر عثرة فيطريق تنفيذ مثلهذه المعركة.



في السنة الاولى من الثورة واجهت القيادة مشكلة اساسية تتعلق بالتنظيم والتجهيز ، وقد امكن حل هذه المشكلة التي تعتبر اساسية بالنسبة لكل ثورة بصورة تدريجية ومنتظمة .

قام جيش التحرير الوطني بهجمات مركزة في جميع انحاء الجزائر اعقبها لجوء الجيش الى مخابئه الجبلية في قبيلة والاوراس وشمال قسطنطينة. وركز الفرنسيون هجماتهم العنيفة مستخدمين الطائرات والدبابات في الاوراس ، وحاولوا قدر المستطاع عزل الجيش عن السكان عن طريق تجميع القرى الموالية لهم وتدمير الأخرى غير الموالية، الا ان وعورة المسالك التي تؤدي الى مراكز وحدات جيش التحرير، وبسالة جنوده، وحنكة قائدي الاوراس (بن بولايد وبشير شيحاني) واستخدام الارض جيداً من قبل الثوار ، كل ذلك افشل خطة الفرنسيين بالرغم من وجود عدة قبائل بربرية متنافرة .

وفي منطقة قبيلة حيث قاد وحدات الجيش فيها ضباط اكفاء امثال (كريم بلقاسم وعمارنة وعبانة) ركز الثوار اهتمامهم بعد هجمات الاول من تشرين الثاني (نوفمبر) على ازالة الخونة وقد استغرق هذا العمل مدة تسعة اشهر . وفي شمال قسطنطينة تمكن يوسف زيروت من تنظيم الحدود الجزائرية التونسية بنجاح وحقق الاتصال مع البعثة الخارجية لتهريب الاسلحة .

كان رد الفعل الفرنسي العسكري حاداً فقد ارسلت امدادات كبيرة من الرجال والسلاح والعتاد على الفور، بينها وحدات من المظليين، وهاجم الفرنسيون

بوحشية لا مثيل لها السكان الآمنين العزل من السلاح عن طريق قصف القرى غير الموالية لهم من الجو وهدمها كاملة على رؤوس الاطفال والنساء والشيوخ. وقاموا بعدة اجراءات انتقامية عنيفة مباشرة، الا ان ذلك لم يفت في عضد القائمين بالثورة بل شد من عزائمهم وأدى الى توسيع صفوف جيوش الثورة واتساع ساحات القتال (تحقيق المبدأ الاستراتيجي الثالث) .

وفي شهر شباط (فبراير) عام ١٩٥٥ كان مجاهدو الاوراس بدون عتاد تقريباً نظراً لنفاذ الذخيرة وصعوبة تأمين السلاح، وقد أدت هذه المشكلة في هذه المنطقة وغيرها من المناطق الى ظهور بعض الخلافات والحزازات بين المناضلين والبعثة الخارجية . الا ان هذه الخلافات زالت عندما وصلت من الخارج كميات كبيرة من السلاح والعتاد .وقد ساعد تحسن الوضع في تونس وحصولها على الاستقلال النسبي آنذاك من زيادة تأمين كميات الاسلحة عبر الحدود التونسية الجزائرية .

وفي العام ١٩٥٦ حققت الثورة الجزائرية اكبر انتصاراتها واتسع نطاق عمليات جيش التحرير . وعندما تم الاتفاق بين تونس وجبهة التحرير الجزائرية في شباط ١٩٥٧ على التعاون، ادى ذلك الى اعادة السيطرة على مناطق الحدود الجزائرية التونسية ثم جرت نشاطات كبيرة للحصول على السلاح من الخارج. وتمكن بن بيلا من تأمين ثمانية آلاف قطعة سلاح . وسار عمارنة على خطة زميله بن بيلا بعد ان وضع يده على المخطط الاستراتيجي الذي وضعه الاخير وانتقل من تونس الى عدة بلدان بما فيها اوروبه واصبح يتعامل بموازنة للسلاح بلغت عدة بلايين من الفرنكات ، وبذلك حلت الثورة اصعب العقد وهي تأمين السلاح والذخائر بصورة منتظمة .

وقررت جبهة التحرير القيام بهجوم عام في خريف ١٩٥٨ في جميع انحاء البلاد ولا سيما منطقة الصحراء التي ظلت هادئة. بدأ الهجوم في تشرين الاول(اكتوبر)، ولكن العملية اقتصرت على بعض الاشتباكات البارزة في الصحراء الا ان الهجوم كان هاماً من الناحية السياسية لأنه اكد لفرنسه عزم جبهة التحرير على المطالبة بمنابع النفط الجديدة التي اكتشفت في الصحراء . وحاول الفرنسيون عزل الجزائر عن جارتيها تونس ومراكش عندما بلغ الصراع الحربي على الحدود أوجه

عام١٩٥٧، ولتمنع فرنسه مرور الاسلحة عبر الحدود اقامت حاجزاً من الاسلاك الشائكة المكهربة – اطلق عليه اسم (خط موريس) نسبة الى وزير دفاعها . كان هذا الخط يمتد مئة ميل على طول الحدود التونسية الجزائرية . اقيمت فيه نقاط مسلحة بالمدفعية واجهزة الرادار . كان هذا الخط المكهرب يشبه ذلك الذي اقيم على الحدود الجزائرية المراكشية . وكان جيش التحرير يستخدم لقطع هذه الاسلاك (انابيب بنكلور) وهي عبارة عن قساطل تملأ بالمتفجرات وتدفع تحت الاسلاك وعند تفجيرها تحدث فجوات فيها ، يقوم بعدها الجنود بقطع الاسلاك بواسطة مقصات ذات اياد خشبية . في المناطق الملغومة كان جنود جيش التحرير يسوقون امامهم احياناً قطعاناً من الماشية لتفجير الألغام الفرنسية ان وجدت. تعلم الجنود الذين كانوا يعملون في الحدود استخدام محولات كهربائية لمنع انقطاع تيار الحاجز الذي كان انقطاعـه بمثابة الانذار للقوات الفرنسية المتمركزة على نقاط خط موريس . ومع ان هذا الخط لم يلعب دوراً حاسماً في الحرب الجزائرية الا انه كان يبطىء وصول شحنات الاسلحة للجيش ويبقي عدداً من المحاربين الجزائريين المدربين على الارض التونسية .

وعلى نطاق العمل في المدن لا سيا مدينة الجزائر قامت جبهة التحرير باعمال تنظيمية رائعة، فقد جعلت العاصمة – الجزائر – منطقة مستقلة تضم ، بالاضافة الى الضباط العاديين المختصين بالنشاط السياسي والعسكري والارتباط والاعلام ، جهازاً خاصاً لالقاء القنابل . وكان الجهاز الذي يعمل في الجزائر في نطاقـه الخارجي يضم ٤٥٠٠ شخص (كان يسكن المدينة ٤٠٠ الف جزائري و٣٠٠ الف اوروبي) . كان الجهاز العسكري الفعال يضم حوالي مائتي شخص . وكان مجموع الجهاز العامل ١,٥٠٠ شخص . تمكن هذا الجهاز من القساء الرعب في العاصمة اكثر من سنة كاملة . اعتبر بعض زعماء جبهة التحرير عملية الجزائر خطيئة عسكرية ، فقد تمكن الفرنسيون في الاشهر الاخيرة من المعركة من عزل حي (الكاسبا) تماماً عن بقية المدينة بالاسلاك الشائكة وفرض دوريات نهارية وليلية عليه وتكبد الجزائريون خسائر فادحة ، بالارواح نتيجة للاعمال الإنتقامية الوحشية التي كانت رد فعل للقوات الفرنسية .

حرب التحرير الفلسطينية المقبلة على ضوء التجربة الجزائرية

لكل ثورة ميزاتها وخصائصها المستوحاة من الظروف الذاتية والاوضاع المادية والاجتماعية لهذا البلد او ذاك ، ومع ذلك تبقى هناك قوانين عامة تلعب دوراً مماثلاً وتصلح للتعميم والتطبيق بعد اجراء قليل من التعديل او التطوير مهما اختلفت الظروف وتباينت الاوضاع . ومثل هذا الوضع ينطبق على الثورة الجزائرية وثورتنا المقبلة في فلسطين. وقد تكون هناك قوانين مشتركة وطرائق في العمل متشابهة ، غير ان بلوغ النتيجة نفسها التي امكن الحصول عليها في الجزائر – ومرد ذلك اختلاف الظروف الذاتية والموضوعية في كل من البلدين اختلافاً كبيراً – يجعل المعركة المرتقبة في فلسطين غير المعركة التي وقعت في الجزائر.

اهداف الثورة في الجزائر هي غير الاهداف التي يطمع شعب فلسطين بتحقيقها عبر حرب التحرير المقبلة .

كانت اهداف الحرب الجزائرية في جوهرها تحقيق استقلال الشعب الجزائري القابع في ارضه من الاستعمار الفرنسي عبر معارك داخلية ، واجبار العدو قبول الاهداف السلمية عن طريق اضعاف جيشه المتمركز في ارض الجزائر وتخريب الاقتصاد الاستعماري على نطاق واسع ، وخلق اقصى ظروف الفوضى والاضطراب داخل فرنسه وعزلها سياسياً في الجزائر ، وغير ذلك من الاهداف الاستراتيجية الفرعية التي تؤدي في نهاية المطاف الى طرد المستعمر الفرنسي واخماد نفوذه الداخلي الذي حققه عن طريق المستوطنين والحصول على الاستقلال الكامل سياسياً واجتماعياً واقتصادياً .

اما اهداف الشعب الفلسطيني فهي اصعب منالا واعسر مطلباً لأنها لن تتحقق الا باستئصال دولة اسرائيل التي تعترف بها الامم المتحدة ويؤيدها الرأي العام العالمي وتدعمها الدول الرأسمالية الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة .

ولو اردنا ان نتوسع في اختلاف الظروف والاوضاع بين البلدين لتوصلنا

الى الاقتنـــاع بان قضية فلسطين هي من اصعب القضايا السياسية في مركز من اهم مراكز الكرة الارضية . ومع ذلك نكتفي بالتعرض لأهم اوجه الاختلاف :

١) **القيادة والتنظيم** : يقود الشعب الفلسطيني في طريقه الى حرب التحرير ثوريون مرتبطون معنوياً وادبياً بشعبهم، الا انهم غير مرتبطين مادياً وعملياً، نظراً لتشتت الشعب الفلسطيني في الاقطار العربية، ووقوع هذه المجموعة او تلك تحت تأثير سياسة عربية معينة تمليها عليهم اوضـاع البلد الذي يعيشون فيه . امـا القيادة الجزائرية فكانت مرتبطة بشعبها تمام الارتباط لأنها خرجت من قلب الشعب الجزائري وظلت بين جوانحه تضمه وتسيطر عليه وتنظمه وهو في ارض المعركة ذلك الشرط الذي لا يتوفر للشعب الفلسطيني .

٢) **عناصر الحرب المادية**: بالنسبة للشعب الجزائري الذي يعد عشرة ملايين نسمة ويقطن في مساحة من الارض تبلغ ٨٥٢،٦٠٠ ميـل مربـع تكثر فيهـا الجبال والادغال والمناطق التي يصعب الوصول اليها وجدت حرب العصابات احسن الظروف الملائمة لتطبيقها . اما في فلسطين المحتلة المأهولة بالمستعمرات والمدن والتي لا يكاد يوجد فيها كيلومتر مربع الا وعليه علامة من علامات البناء او الحياة ، اضف الى ذلـــك وجود شبكة مواصلات ضخمة تسهل على العدو الحركة عندما ينقل قواته من منطقة الى اخرى ، ووجود جيش مزود بأحدث سلاح يفوق تعداده ٣٥٠ الف جندي، وتسليح معظم سكان المدن والمستعمرات بأحدث الاسلحة والمعدات العسكرية ، يضع كل ذلك اصعب الظروف لقتـال العصـابات ويجعـل النصر مستحيلاً بدون العمل المتوازي بين الحرب النظـامية والحرب غير النظامية (قتال العصابات) .

٣) **الجوار واسلوب العمل** : عندما نشبت ثورة الجزائر كان جوارها تونس والجزائر في وضع ثوري مما جعل ثورة الجزائر غير معزولة . فقد وجدت العون من تونس والمغرب وتمكنت من انشاء معسكرات التدريب وحشد القطعات المحاربة فيها ، اما بالنسبـة للشعب الفلسطيني وتجربته بالجوار فقـد اصبحت معلومة

وخـاصة بعد انشاء جيش التحرير الفلسطيني وامتنـاع بعض الدول العربية المجاورة عن السماح للشباب الفلسطيني بالتدرب العسكري على ارضها. كما ان معركة فلسطين لا يمكن بأي حال من الاحوال ان تأخذ طابعاً اقليمياً كما حدث للجزائر مع جاراتها . ان اسلوب العمـل في الجزائر كان يعتمد بالدرجـة الاولى على بث الرعب في نفـوس المستعمرين من مدنيين وعسكريين والقيـام بالتخريب داخل الحدود على نطاق واسع،اما في فلسطين فان مثل هذا الاسلوب لا يكفي وحده لأن معركة التحرير الفلسطينية تحتاج لمعارك حربية واسعة على نطـاق الجيش النظامي ووحدات العصابات، ولأن المطلوب هو تحطيم الجيش الاسرائيلي واستئصال دولة اسرائيل الغاصبة واعادة الارض الى اصحابها الشرعيين .

وفي نهاية المطاف حول اوجه المقـارنة غير الواردة اصلاً ، نرى ان شعب فلسطين الذي يتهمه القلة من السذج والمغرضين بالجبن والتقصير ، ناضل نضـــال الابطال وقدم في ثورة واحدة من ثوراته وهي ثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٩ اكثر من (١٤) الف شهيد، عندما —تصدى وهو شبه اعزل من السلاح — للقوات البريطانية التي بلغ تعدادها اكثر من (٦٢) الف جندي تساند المغتصبين اليهود الذين بلغ عدد حراس مستعمراتهم فقط ١٨ ألف مسلح . هذا الشعب العربي الفلسطيني مطالب بتحقيق اهـداف لا تقل اهمية عن اهـداف التحرير وهي تصحيح السياسات العربية ازاء قضيـة فلسطين قبل ان يدق ناقوس المعركة الحـاسمة ، لأن تحرير فلسطين مرتبط تمام الارتباط بتحرير المنطقة المجاورة لارض المعركة الكبرى — معركة تحرير فلسطين .

الفصل الثالث عشر

التجربة الكوبية في حرب الأنصار

لمحة تاريخية وجغرافية

تبلغ مساحة الجمهورية الكوبية ١١٤و٥٢٤ كيلومتراً مربعاً ، وعدد سكانها ٦و٩٣٤و٠٠٠ نسمة بما في ذلك جزيرة الصنوبر . تحتل هذه الجمهورية جزيرة كوبه الواقعة أقصى غرب جزر الهند الغربية . عاصمتها هفانه . تقع في مدخل خليج المكسيك ، ويحدها شمالاً المحيط الاطلنطي ، وجنوباً البحر الكاريبي . أهم ثغورها : سنتياجو دي كوبه ،ماتانساس ،سينفويجوس ،وجوانتانامو . يوجد في بعض جبالها مناجم الحديد والمنغنيز والنحاس والنيكل والكروم والباريوم . وتنتج غاباتها الداخلية الأخشاب . تعتمد في صادراتها على السكر والتبغ والبن والفواكه الاستوائية والاسفنج والخضروات الشتوية .

اكتشفها كولومبس سنة ١٤٩٢ ، وارتادها الاسبان ، وأقاموا فيها مستعمرة سنة ١٥١١ . ظلت كوبه في نطاق الامبراطورية الاسبانية بالرغم من حدوث بعض الفتن والاضطرابات المتقطعة الفاشلة ، حتى وصلت الى الذروة في حرب السنين العشرة (١٨٦٨ — ١٨٧٨) ، احتفظت اسبانيه بسيطرتها على الجزيرة حتى نشبت ثورة كانت سبباً في نشوب الحرب الاسبانية الاميركية سنة ١٨٩٨ ، التي انتهت بنيل كوبه استقلالها . ظل تاريخ الجزيرة متوقفاً على علاقاتها مع

الولايات المتحدة ، وعلى اعتماد اقتصادياتها على زراعة محصول واحد. وقد استمر احتلال الجنود الاميركيين للجزيرة حتى السنة ١٩٠٢ . كان الاميركيون يملكون ضياعاً وصناعات كثيرة ، مما أثار اقطار اميركه اللاتينية عند تحدثهم عن الاستعمار الاميركي في كوبه ، حتى اقام فرانكلين روزفلت قاعدة جديدة للعلاقات بين الجمهوريتين . ظلت الحياة السياسية في كوبه تتسم بالتقلب المفاجىء العنيف وقيام الدكتاتوريات ، وكان اقوى الشخصيات المسيطرة على كوبه ، بعد ١٩٥٠ ، باتيستا الذي تولى رئاسة الجمهورية للمرة الثانية بأحداث سنة ١٩٥٢ ، ولكنه اضطر سنة ١٩٥٩ للفرار الى جمهورية الدومينيكان ، ثم الى ماديرا .

أقيمت حكومة مؤقتة ، رفض فيدل كاسترو زعيم الثوار الاعتراف بها ، الى ان دخل العاصمة وعيّن نفسه رئيساً للوزراء. قام كاسترو بالاصلاح الزراعي وبتأميم بعض الشركات الأجنبية الهامة التي تملك معظم ثروة كوبه من البترول وقصب السكر . وفي السنة ١٩٦٠ ، أمّم كاسترو جميع الممتلكات والمصارف والشركات الاجنبية . وفي ١٧ نيسان (ابريل) سنة ١٩٦١ ، أنزل العصاة الكوبيون قواتهم بالقرب من خليج كوشيونس ، لكن قوات كاسترو دحرتهم وقبضت على قادتهم وعلى عدد كبير منهم . وقد أعلن كاسترو في السنة نفسها ، بأن كوبه اصبحت دولة اشتراكية في ٢٢ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٦٢. وتطور الموقف نتيجة تحدي كاسترو الولايات المتحدة الاميركية واعلانه انه اعتنق الماركسية وسيقود بلاده الى الشيوعية ، مما حدا بحكومة الرئيس كندي الى فرض الحصار البحري حول كوبه ، وتأزم الوضع الدولي بعد ان اعلن الرئيس الاميركي عزمه على تفتيش جميع السفن المتجهة الى كوبه ، وبتدخل الامم المتحدة حلت الازمة واصدر خروشوف تعليماته الى الخبراء الروس بفك الصواريخ من قواعدها والعودة بها الى الاتحاد السوفياتي. وفي الوقت نفسه طلب كاسترو تصفية قاعدة جوانتانامو الاميركية في كوبه ووقف الاستعدادات الحربية بالقرب من الجزيرة . وقد اعقب ذلك ازمة تفتيش السفن المتجهة الى

كوبـه الا ان الموقف اصبح هـادئاً بحـل معظم المشاكل بين كوبه والولايات المتحدة وانتهت مشكلة اسرى الحمـلة الفاشلة بأن قدمت الولايات المتحدة ما قيمته (٥٣) مليون دولار من الادوية والمواد الغذائيـة الى كوبه مقابل اعـادة الاسرى الى الولايات المتحدة .

الدوافع المؤدية لحرب الانصار

الظروف الحسية والموضوعية

في ظروف ذاتية وموضوعية مختلفة استخدمت حرب العصابات للوصول الى اهداف شتى ، فقد استخـدمت في حروب التحرير الشعبية عندمـا وجـدت الشعوب المضطهدة بقيادة طلائعها ان النضال المسلح غير النظامي هو الاسلوب المفضل للتغلب على عـدو متفوق عليها عسكرياً ومادياً . وفي الدول الحديثة اعتبرت حرب الانصار وسيلة متممة للجيوش النظامية فقد برهنت الايام صحة ذلك في اكبر تجربتين لقتـال العصـابات ، جرت وقائعها في كل من الاتحـاد السوفياتي والصين . وقد كانت من قبل ولا تزال كل من آسيه وافريقيه واميركه مسرحاً لحروب الانصار عندما عقدت شعوبها العزم على تولي السلطة والتحرر من النفوذ الاجنبي .

ان حرب الانصـار هي شكل من اشكـال النضـال المسلح الجماهيري او الحرب الشعبية التي يشترط نجاحهـا تأييد الشعب بغـالبيته العظمى التي تتمثل بالعمال والفلاحين والمثقفين والحرفيين وصغار المنتجين والتجار. ان الانصار يمثلون طلائع القوى الشعبية المسلحة المؤمنة بأهدافها ومبادئها التي تقاتل من اجل تحقيقها .

في ظروف كوبه كان الدافـع والمحرك الاول للثورة هو الوصول للهـدف الاستراتيجي المتمثل بالاستيلاء على سلطة الدولة. وفي ظروف فلسطين ، الهدف الاستراتيجي الاول، هو: استرداد الارض المغتصبة واعادة شعبها الى وطنه الام عن طريق النضال المسلح باسلوبيه النظامي وغير النظامي، او بمعنى آخر قتال القوات

النظامية (الجيش) وقتال العصابات. ان الادارة او القوات الاساسية للوصول الى الهدف لن تتم الا بالشعب الفلسطيني كطليعة لحرب التحرير تسانده الشعوب العربية بقواتها النظامية وغير النظامية .

ان تجارب الانصار في كوبه بصورة خاصة قد اثبتت بشكل قاطع ان الجيوش المجهزة باحدث المعدات الحربية تقف عاجزة عجزاً مطلقاً عندما تواجهها قوات غير نظامية ، وقد يفقد الجيش عشرة رجال لقاء كل نصير او مجاهد ثوري يسقط في ارض المعركة . يستغل الانصار الانهيار المستمر للروح المعنوية بين افراد الجيش النظامي عندما تهز مضاجعة وتدك مواقعه قوات الانصار التي هي اشبه بجيش غير مرئي ولا يغلب تتهاوى امامه ارقى المهارات العسكرية الاكاديمية والمقدرة الحربية . ان التجدد المستمر والقوى الجديدة التي يرنوها الشعب في ساحات النضال هي الضمان الاكيد لتحطيم العدو والوصول الى المعركة الحاسمة التي تؤدي الى النصر .

ان الشعب العربي الفلسطيني ومعه الشعوب العربيةالشقيقة تكوّن قوة بشرية هائلة تعجز عن الوقوف امامها ليس اسرائيل فحسب بل اقوى الجيوش الاستعمارية المجهزة بارقى ما توصل اليه التكنيك الحربي ، والدليل على ذلك ما جرى في الجزائر ويجري في الفيتنام وغيرهما .

ان الظروف الذاتية لمعركة فلسطين بعناصرها الاساسية : الوعي والقيادة والتدريب والتسليح هي في المراحل الاخيرة من نضوجها ، وتتفاعل جنباً الى جنب الظروف الموضوعية. وهذه دلائل مادية تبشر بالامل لتحقيق حياة افضل عن طريق تحرير فلسطين، كما حدث في بلد صغير لا يتعدى عدد سكانه سبعة ملايين ويقع على بعد اميال من اكبر دولة استعمارية – نعني بذلك الصراع التاريخي بين كوبه والولايات المتحدة .

المبادىء العامة لحرب الانصار في كوبه

على الرغم من وجود مبادىء عامة لقتال الانصار الا ان الظروف الموضوعية في كوبه اغنت هـذه المبادىء والمفاهيم وامدتها بافكار جديدة قـابلة للتطبيق خـاصة في البلدان الصغيرة من حيث المساحة وعدد السكان . ان هـذه الحرب اعطت دليلاً قاطعاً برهن على ان كل شعب مضطهد قادر على التحرر اذا ما نظم ودرب من قبل قيادة واعية وحكيمة . وقد اثبتت هذه التجارب امكانية القوى الشعبيـة من كسب الحرب ضـد جيش نظامي دون الانتظـــار الى ان تتجمع الظروف الحسية والموضوعية اللازمة لقيام الثورة . وقد اتخذت حرب الانصار في كوبه من المناطق الريفية ميدانا اساسياً لنضالها المسلح .

ان الاساس النظري الذي اتخذته الثورة الكوبية منطلقاً للتطبيق العملي برهن على صحته في بلد صغير له خصائصه الجغرافية والاجتماعية ، والا لما كانت قـــد حصلت هذه الثورة على نجاحاتها الباهرة .

من الطبيعي ان تستند الثورة في كوبه على الريف باعتبار ان سكان الريف يشكلون اكثر من ٧٠٪ من مجموع السكان ، كما وان بنية هذا البلد كانت وما زالت تعتمـد على الاقتصـــاد الزراعي ، الا انها الآن وهي سائرة في طريق الاشتراكية تعمل على تصنيـع البلد ورفع مستوى التقدم الصناعي لتصبح بلداً صناعياً الى جانب وجود قطاع زراعي متطور يعتمد على مكننة العمل في الريف ورفع مستواه الاجتماعي والسياسي والثقافي .

ولو فرضنا جدلا ان كوبه قبل قيامها بالثورة كانت دولة متقدمة صناعيـاً تعتمد في اقتصادها على الصناعة اكثر من اعتمادها على الزراعة فهل كان بالامكان تطبيق النظرية نفسهـــا في ثورتها ؟ لا شك ان ذلك ليس بالامكان تطبيقه حيث ان الظروف الجديدة تخلق او تطور مفـاهيم نظرية جديـدة تنبثق من الواقع الموضوعي . من هنا تبرز اهمية التبادل الجدلي بين النظرية والتطبيق .

ومن هنا ايضاً نرى ان القضية الفلسطينية في ظروفها الحالية تفرض علينا البحث عن مفاهيم واسس نظرية جديدة لقتال العصابات في ظروف بلدنا السليب . وسوف تكون نظريتنا منطقية وواقعية اذا ما اغنيناها بتجارب الآخرين ، معتمدين بصورة خاصة على الاسس العامة التي اثبتت التجارب صحتها وقابليتها للتطبيق .

استراتيجية وتكتيك حرب الانصار في كوبه : لدى دراسة كتاب ارنستوتشي غويفار الذي جمع فيه خلاصة التجربة الكوبية في هذا المجال يتضح ان هذا الثائر استند على الأسس والنظريات التي وضعها القادة الروس والصينيون وطبقوها في بلادهم،لذلك لن نستغرب عندما نستعرض الاستراتيجية والتكتيك المتبعين في كوبه، ونرى ان أوجه الشبه متقاربة جداً، مع وجود بعض التعديلات اقتضتها ظروف كوبه والابتكارات المحلية لشعب كوبه .

الاستراتيجية : يتطلب الوضع تحليل وأخذ الموقف المناسب من الجيش النظامي الذي كان موالياً لحكومة باتيستا ، ثم تحليل الأهداف التي يجب بلوغها والمراحل الضرورية لتحقيق الهدف النهائي ، وذلك عن طريق :

١ – القيام باغارات متتالية من قبل الانصار بغية اضعاف العدو تدريجياً .

٢ – تخريب المواصلات ومهاجمة القواعد والاكثار من عمليات التخريب وفقاً للوسائل المتوافرة .

٣ – عدم التوقف ، والاستمرار في عمليات الضرب والتخريب .

٤ – خلق جو من التوتر وخاصة في مناطق العمليات لابقاء كل جندي من جنود العدو مرهقاً وغير قادر على اغماض جفنه .

٥ – الاغارات المتكررة على مراكز العدو ومخافره وتصفيتها بالتدريج .

٦ – خلق الشعور والانطباع عند العدو بأنه معرّض دائماً للتطويق، نهاراً في الارض الوعرة المشجرة وليلاً في الارض المنبسطة .

٧ – قبل القيام بأي عملية – غارة أو كمين – – يجب دراسة مكان المعركة بصورة جيدة والتعرّف على سكان المنطقة والطلب اليهم المحافظة على الكتمان وعدم التعليق على ما يُرى أو يُسمع .

٨ – الاستفادة من السكان الوطنيين والمخلصين في نقل الأسلحة والذخائر والتموين واستخدامهم كادلاء في مناطقهم لأنهم يعرفونها جيداً .

٩ – كلما اتسع نطاق العمليات الحربية تخلق الظروف لتكوين وحدات جديدة من الانصار .

١٠ – تموين الوحدات الجديدة يؤمّن من قواعد ارضية ثابتة تسيطر عليها قوات الانصار .

التكتيك : تؤدي الاستراتيجية العسكرية كما نعرف الى تحليل الأهداف التي يجب بلوغها وفقاً لوضع عسكري عام ، والوسائل المؤدية الى هذه الأهداف ، متخذة من التكتيك وسيلة عملية لمتابعة وتحقيق الأهداف الاستراتيجية الكبرى – الطريق الى النصر النهائي . من هنا يتضح لنا ان التكتيك من الوجهة العملية ، هو وضع الاستراتيجية موضع التنفيذ . وقد استند تكتيك الانصار في كوبه على الأسس التالية – وسنرى انها في مجملها لا تختلف من حيث الجوهر عن الأسس التكتيكية التي استخدمها الروس والصينيون – :

١ – سرعة الحركة والتنقل : على الانصار ضرب تجمعات العدو والابتعاد سريعاً عن ارض المعركة قبل وصول النجدات .

٢ – تجنب التطويق من قبل قوات العدو ، لأنه هو الوسيلة لارغام الانصار على خوض معركة حاسمة ليست لصالحهم .

٣ – الحيلة : يلجأ الانصار لمركزة وحدة ما منهم في وضع يغري العدو بالتطويق ، ولكن سرعان ما يجد العدو نفسه قد أصبح مطوقاً بدوره ، يتلقى النيران من أمامه ومن خلفه .

٤ – في مثل هذه المعارك (التظاهر بالتطويق) يجب مراقبة الطرق التي تؤدي الى ساحة المعركة لرصد النجدات القادمة للعدو وضربها أو تجنبها وفقاً لمقتضيات المعركة .

٥ – المحافظة على السلاح والاقتصاد بالذخيرة . لا يترك النصير الشهيد في ارض المعركة قبل أخذ سلاحه وذخيرته .

٦ – اتقان عمليات الكمائن : يتوقف نجاحها على دراسة مسبقة للمكان واختيار الزمن المناسب ، ان هذا يضمن التغلب على رتل كبير من العدو بمفرزة صغيرة من الانصار .

٧ – تطبيق مبدأ المفاجأة والسرعة في الهجوم ، بأن يبدأ الهجوم الأول المركز يتلوه سكون مطبق ، وقبل ان يستعيد العدو وعيه يبدأ الانصار بهجومهم الثاني بشكل أعنف وأشد من الهجوم الأول .

٨ – تجري التنقلات والتحركات ليلاً لتفادي انكشاف وحدات الانصار وخاصة من قبل الطيران .

٩ – عند الاضطرار للتنقل النهاري يجب اختيار الأماكن والطرق المشجرة أو الصخرية التي تساعد الوحدات على الاختفاء والتمويه .

١٠ – يجب التمييز بين الارهاب والتخريب ، فالارهاب تقع تبعيته على الضحايا الابرياء ، بينما التخريب الذي يحسن اختيار أماكنه يجمّد العدو ويشلّه .

١١ – يجب الحصول على المتفجرات والألغام : ان أهم مصدر لها هو ما يستولي عليه الانصار من العدو ، وقد تشترى من الخارج أو تصنع محلياً اذا توافرت المواد الأولية (غالباً ما تتوافر) .

١٢ – يعامل الاعداء والعملاء وفقاً للاسس التالية : لا رحمة على الوشاة

والمغتالين حيث يجب ابادتهم . لا اسرى ، عند عدم وجود قواعد ثابتة . يطلق سراح الابرياء منهم بعد تأنيبهم ومعالجـة الجرحى . يعدم كل من تثبت ادانته او ارتكابه الجرائم ضد السكان بعد اعطاء امكانية الدفاع عن النفس عنـــد المحاكمة .

اسلحة الانصار الكوبيين وتموينهم

كان الانصار الكوبيون يعتمدون على الاسلحة الخفيفة ، السلاح المثالي لقتال الانصار . وقد اورد جيفارا فصلاً في كتابه عن الاسلحة اهم ما جاء فيه :

- الاستفادة من الاسلحة ذات المدى البعيد (البارودة) ذات الاستهلاك القليل من الذخيرة .

- تدعيم هذه الاسلحة بمجموعة من الاسلحة الآلية او نصف الآلية منها (حسب الانواع المتوافرة في كوبه وهي من صنع اميركي) :البندقية م –(غاراند)، الرشاشات الاميركية ذات المنصب الثلاثي الارجل ، وهذه الاسلحة لا تستعمل في الهجوم بل يقتصر استعمالها في الدفاع .

- في المعارك الهجومية والكمائن تستعمل رشيشات براونينغ او (ن.أ.ل) البلجيكية و (م – ١٤) .

- البازوكا : وتعتبر بمثابة السلاح الثقيل للانصار وتمتاز بسهولة استعمالهـا ونقلها وهي سلاح فعال ضد المدرعات وناقلات الجنود ومهاجمة المراكز العسكرية الصغيرة .

- لا يستفاد من الاسلحة الثقيلة لصعوبة نقلها وتموينها بالذخيرة .

- للاستفادة من ذخيرة العدو ينبغي قـدر المستطاع ان يكون تسليـح الانصار مماثلاً لتسليح العدو .

– المتفجرات والألغام والمصائد : اذا لم تتوافر الكميات النظامية يلجأ الى الصناعة الشعبية . وقد تمكن الانصار الكوبيون من قذف زجاجات مولوتوف لاكثر من ١٠٠ متر بواسطة بندقية صيد صنع لها مسند واياد ملحقة بها وفقاً للطريقة التالية (انظر الشكل رقم ١٥) . بندقية صيد قصيرة القناة ، مسنودة على منصب ذي ساقين يؤلف نهاية اخمص البندقية معها منصباً ثلاثياً . تصنع سبطانة البندقية زاوية مع مستوى الارض قابلة للتغير بفصل تقديم او تأخير قائمتي المنصب الاماميتين. تلقم البندقية بفشكة خلبية (اي مفرغة من خرزتها) تسند اليها عصا اسطوانية الشكل قدر الامكان يزيد طولها عن طول السبطانة قليلاً ، وهذه تغدو وكأنها مقذوفة . يسند الى طرف العصا الخارج من السبطانة اياد من معدن يحمل مخامداً مطاطياً من جهة قاعدته ، كما يحمل زجاجة البنزين . يقذف هذا الجهاز زجاجات ملتهبة الى مئة متر واكثر بدقة نسبية . انه سلاح شعبي فعال يمكن استخدامه في الحصار وقذفه على الابنية الخشبية والمواد القابلة للاشتعال وكذلك للرمي على الدبابات في الارض الجبلية .

القتال في المناطق المختلفة : تكون الارض المستورة مشجرة ومتنوعة التضاريس يسهل الاختباء فيها. وتكون الارض المكشوفة قليلة الوعورة وخالية من الاشجار ذات طرق مواصلات عديدة. تصلح الاولى للقتال ليلاً ونهاراً وخاصة اذا كانت مأهولة بالسكان الموالين للانصار، اما الثانية فتصلح للقتال ليلاً .

ينصح جيفارا بأن يتبع عدد الرجال في المفرزة او الجماعة الواحدة ، لمقاييس مرنة وفقاً للمكان وسهولة التمرين وتوافر السلاح. ومن المفيد ان لا يبعد مكان المعركة عند المسير ليلاً عن خمس او ست ساعات من نقطة امانها الاولى . ويستطيع المقاتل ان يسير في الليلة الواحدة من (٣٠ – ٥٠) كيلو متراً في مثل هذه الاراضي . ويجب الا يزيد عدد الرجال المقاتلين في منطقة مكشفة عن(١٥)

نصيراً تتصف فيهم صفة العدو السريع ليمارسوا مبـــدأ « اضرب واهرب » . يعطى أهمية خاصة للتنقل في الارض المكشوفة وذلك باتخاذ الحيطة والحذر . وهنا يتضح بأن عدد الرجال كلما كان صغيراً أمكن تنقلهم وتأمين المؤنة لهم بطريقة أسهل .

أما القتال في المناطق المأهولة كالمدن فيجب ان ينظم الانصــار مفارزهم بأسلوب آخر يتفق والمهمات التي توكل اليهم . يجري اختيــار دقيق لتقرير نسف المواصلات او المرافق العامة او القيــام باغتيال العملاء . يجب دراسة كل عملية بدقة ، وتنفيذ ما يطلب من المفرزة او الوحدة بدون زيادة أو نقصان. عدد أفراد مفارز المدن يتراوح بين (٤ — ٥) رجال يتميزون بمزيد من الانضباط والكتمان، ويزودون بالأسلحة الدفاعية والهجومية التي يسهل اخفاؤهــا ولا تعيق الهرب السريع . يتجنبون الهجوم على افراد من الجيش يزيد عددهم على (٢ — ٣) .

تزود مفارز المدن بعتاد خاص : مناشير ، ديناميت ، معاول ، رفوش ، أدوات لرفع السكة ، وتجهيزات آلية مخفية للاستعمال عند اللزوم . عند وجود اكثر من زمرة يجب ربطها جميعاً بقائد واحد يوجه كل المهمات الضرورية بواسطة عمال ارتباط . اذا تم تكوين اخصائيين لهذا النمط من القتال فسوف يتم ضمان عمل اسرع واكثر اقتصاداً بالارواح والعتاد والوقت .

تشكيلات الانصار الكوبيين : يخضــع شكل التنظيم للبيئــة والظروف الموضوعية التي يقاتل النصير فيها . في ظروف كوبه ساد التشكيل التالي :

— اكبر وحدة كانت تتكون من (١٠٠ — ١٥٠) مقاتلاً بقيــادة مقــدم (وهذا يعادل سرية) .

— تنقسم هذه الوحدة (المعادلة لسرية) الى فصائل يتكون كل فصيل من ثلاثين او اربعين مقاتلاً . يقود الفصيل نقيب .

— يقسم الفصيل الى زمر او جماعات تضم الزمرة. يعين لكل فصيل او زمرة

نائب مباشر للقائد ، له من الكفاءة والخبرة ما يؤهله قيادة الوحدة عند غياب الآمر الاصيل او استشهاده .

– شكلت زمر خاصة للنقل تسير في المؤخرة وتتمتع بالواجبات والحقوق نفسها التي تتمتع بها الزمرة الاخرى .

– شكلت زمر خاصة للحراسة في المعسكرات كانت تختار المرتفعات والاماكن البعيدة المحيطة بالمعسكر وخاصة في المناطق المحررة .

وصايا تكتيكية وتنظيمية

١) لا يجوز السماح بأي امتياز او حظوة لاحد عند توزيع الاغذية بل يجب ان يتساوى الجميع بالحصول على كمية واحدة .

٢) يحمل النصير تجهيزه الكامل الخاص به ، عند وجود احمال اضافية توزع على جميع افراد الزمرة او الفصيل .

٣) عند تكوين معسكر دائم تشاد ملاجىء ذات سقوف مناسبة من المواد المحلية لتقي الرجال من قذائف الهاون والمدفعية الخفيفة .

٤) يجب المحافظة على الانضباط في المعسكر في كل الظروف وخاصة اوقات النهوض والنوم والطعام . ينظف المعسكر قبل مغادرته لصون السر المطلق حول وجود الانصار .

٥) عند تنظيم رتل المسير توضع مقدمة على بعد (١٠٠ – ٢٠٠) متر الى الامام ومؤخرة على البعد نفسه ومهمتها الدفاع عن المؤخرة ومحو آثار المرور قدر الامكان .

٦) في المسير الليلي تخفض المسافة بين المقاتلين (٢ – ٥) خطوة ، ويراعى التزام الصمت وعدم الاضاءة .

٧) تترك الاحمال غير اللازمة عندما يعقب سير الوحدة هجوماً ما في مكان معين، حيث يرجع اليه بعد انتهاء المعركة .

٨) لا تقوم الوحدة بأي هجوم قبل دراسة النقطة المزمع مهاجمتها ومعرفة حرس العدو واوصاف معسكره وعدد جنوده، حيث توضع خطة الهجوم النهائية.

٩) يوزع المقاتلون وفقاً للخطة، على ان يحسب دوماً تخصيص قسم كبير من الرجال لايقاف النجدات المحتملة وضربها .

١٠) كمبدأ عام يجب دائماً وجود حرس على المسالك والدروب المؤدية الى مكان القتال خلال عمليات الهجوم المباشر او الحصار .

١١) على الضباط وصف الضباط ان يضربوا المثل الاعلى بانفسهم في كل عملية تتطلب التضحية وانكار الذات وتحمل المشاق .

١٢) تستند ترقية النصير على شجاعته وكفاءته وروح فدائه ، فمن لا تتوافر فيه هذه الشروط لا يمكنه استلام المسؤوليات لانه سوف يسبب ، ان عاجلاً او آجلاً ، حوادث مؤسفة .

١٣) عندما تتعرض وحدة ما للتطويق من قبل العدو، فان العواقب تكون غير خطيرة اذا كانت هذه الوحدة خبيرة بأرضها ومرتبطة بقائدها ، يكفي عند ذلك التحصين، ومحاولة اجتناب تقدم العدو الذي تدعمه الاسلحة الثقيلة وانتظار الليل، حليف النصير الطبيعي، للقيام بالانسحاب عند الغسق من الدروب المناسبة.

١٤) أن هجوم وحدة الانصار يجب ان يخطط له جيداً حتى يتم مع ضمان نجاحه. ان الانصار يختارون مكان المعركة وزمانها، ويسدد هجومهم على مقدمات الارتال المعادية ، ويعمل على شلل القسم الباقي من هذه الارتال .

١٥) عند تطويق العدو ينبغي ان تكون مقدمة التشكيلة القتالية لوحدة الانصار قوية ومتحصنة بقدر كاف لمقاومة هجمات العدو الجبهية ، وعندما يتم ايقاف العدو ، تهاجمه قوى المؤخرة من خلفه ، ولما كان المكان قد اختير سلفاً

بحيث لا يستطيع العدو التصرف بجناحيه، لذا يسهل ارباض قناصين يبقون على الرتل كله في منطقة النار . يجب نصب كمائن تراقب كافة المسالك والدروب لوقف نجدات العدو .

١٦) يشد الطوق تدريجياً وخاصة في الليل ، وباعتبار ان النصير خبير بالمكان الذي تجري فيه المعركة والعدوجاهل به،فان الليل يزيد منقوة الانصار، وبهذه الطريقة يمكن ابادة الرتل او تكبيده خسائر فادحة .

١٧) عندما تكون قوى الانصار قليلة العدد في مكان ما ويطلب اليها اضطرارياً تأخير تقدم رتل للعدو او صده، توزع قوى الانصار الى زمر، عدد افراد الزمرة من (٢ – ١٠) رماة تحتل مواقع في الجهات الاربعة حول رتل العدو المتقدم. تبدأ مفرزة بالقتال على الميمنة ، وعندما يوجه العدو عمله الى هذا الجناح ويحاول الهجوم منه يبدأ الرمي على الميسرة ، ثم في المؤخرة او المقدمة ، وهكذا يمكن جعل العدو في حالة انذار دائمة باستعمال ذخيرة قليلة جداً .

١٨) ينبغي دائماً فرز رجال غير مسلحين بنسبة (٢ – ٣) في العشرة لنقل الجرحى والسلاح والاسرى .

يعطي جيفارا بعض التعليمات والارشادات التي يجب على النصير اتباعها لاستخدام او تجنب اهم الاسلحة المساندة التي تواجهه :

— **الدبابة:** سلاح قليل الخطر في الارض الصعبة(كالاراضيالجبليةوالغابات). وتضطر الدبابة اجبارياً سلوك دروب ضيقة، مما يجعل وقوعها فريسة للالغام والاسلحة المضادة للدرع سهلاً .

—**كوكتيل مولوتوف** : قنبلة محرقة شعبية يمكن صناعتها محلياً،وتؤلف سلاحاً ذا فعالية خارقة في الالتحام مع العدو . وهي تتركب من زجاجة سعة لتر تحتوي على الخليط التالي : ٦٥٪ زفت (كريسون)، ٢٥٪ بترول (او بنزين)، ١٠٪ كاز او بارافين. يمكن اشعالها عندما تصطدم بجسم صلب (وتكسر الزجاجة)

بواسطة عيدان ثقاب مثبتة على فوهتها بشكل دائري(انظر الشكل١٥).يشعل احد العيدان قبل قذفها وتستمر عملية الاشتعال بانتقال النار من عود الى آخر مما يساعد على اشعال المخلوط السائل من زجاجة مولوتوف .

– **البازوكا** : يستعمل هذا السلاح الخفيف الوزن والقوي التأثير كسلاح مضاد للدرع وكمدفعية خفيفة لدك المنعات والمعاقل .

– **مدفع الهاون** : تبرز اهمية هذا السلاح عند مهاجمة موقع مطوق، وتقل اهميته عندما يستخدمه الانصار في عمليات الهجوم المفاجئة .

– **الطيران** : مع ان هذا السلاح من الاسلحة الرئيسية للعدو الا ان فاعليته تتضاءل عندما تكون اهدافه خنادق ضيقة ومحفورة بصورة جيدة .

– **الالغام والمصائد** : ان الالغام بمختلف انواعها الكهربائية والتي تعمل بالفتيل البطيء او بالضغط ، هي سلاح فتاك وخاصة على المسالك الجبلية الاضطرارية ، وهي من الوسائل الجيدة للدفاع .

– الخنادق المضادة للدبابات، والآليات التي تقطع الطرق والمسالك الاجبارية هي وسيلة ناجحة لايقاف الدبابة او السيارة ، فالخندق المائل تلجه الدبابة بسهولة لكنها لا تستطيع الخروج منه الا بصعوبة .

– **بارودة الصيد**: سلاح فعال لمهاجمة الشاحنات المكشوفة،وخاصة البارودة عيار ١٦ ، اذ باستطاعتها ان تغطي حقلاً سعته عشرة امتار .

اهم الاسس النظرية والتنظيمية والادارية لحرب الانصار في كوبه

١) فئة قليلة من المناضلين متباينة في صفاتها العامة ولكن يجمعها هدف واحد، مسلحة تسليحاً قوياً او ضعيفاً وفقاً لامكاناتها ، تركت الاماكن المأهولة ،

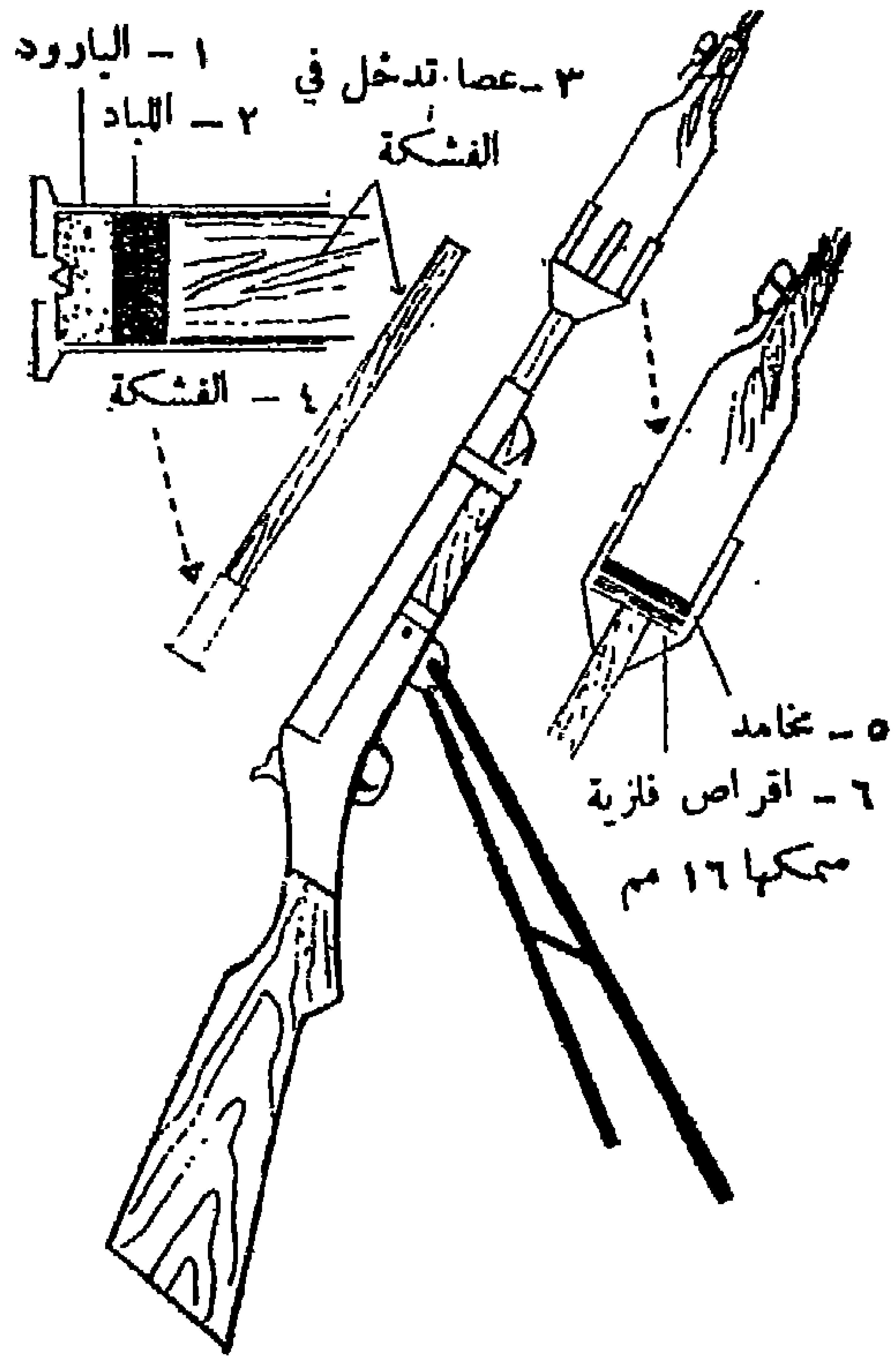
صناعة الاسلحة الشعبية في كوبا - ابان الثورة

شكل «١٥»

طريقة اسناد زجاجة «كوكتيل مولوتوف» الى البندقية

طريقة صنع زجاجة «مولوتوف»





زفت او كريوزوت	٦٥٪
بترول او بنزين	٣٥٪
كاز او برافين	١٠٪

لقذف قنبلة مضادة للدبابات :

تطلى الزجاجة بمادة لاصقة بلاستيكية سماكة ٥ و - ١٠ ملمتر...

واختبأت في اماكن معزولة ليس من السهولة بمكان الاهتداء اليها . تحافظ هذه الفئة على صلتها بالفلاحين دون تخطي قواعد الامن وضغط السرية .

٢) عندما تنجح في ضرباتها المتتالية لقوافل العدو ومعاقله تبدأ شهرتها بالانتشار فينضم اليها الفلاحون المضطهدون وبعض المثاليين الناشئين في طبقات مختلفة مما يساعد على زيادة عددها .

٣) عندما ينمو عددها تقيم المعسكرات المؤقتة لبضعة ايام حيث تتركها عندما يقترب العدو او يعلم مكانها .

٤) ينتقل عملها الى مرحلة أعلى عندما ترتبط بالجماهير حيث تتواجد الظروف التي تجعل من كل مواطن نصير لحرب التحرير الشعبية .

٥) عندما يزداد انتشارها تختار مناطق بعيدة عن العدو وتشرع باقامة صناعات صغيرة كالأحذية ، والسلاح ، والخياطة .

٦) تقيم نوعاً من الادارة المحلية لها ميزات الحكومة المحلية فتنشىء المحكمة وتنشر بعض القوانين المحلية وتقوم بحملات التوعية على الصعيدين الداخلي (في صفوف الانصار) والخارجي (بين صفوف الشعب) .

٧) يتخذ تنظيم شؤون التموين الخارجي (للشعب) والتموين الداخلي (للانصار) مبدأ اساسياً ، وهو دفع اثمان البضائع التي تؤخذ من الاصدقاء والموالين . وقد تفرض ضرورات الحرب مهاجمة بعض المخازن والاستيلاء على محتوياتها عندما لا تساعد الظروف على الدفع سلفاً على ان تعطى للتاجر سندات دين يجري تسديدها باسرع وقت ممكن .

٨) يمكن تحديد الضرائب وفرضها على السكان القادرين على ان تكون نسبتها ضئيلة للمنتجين الصغار ، دون الاخلال بمبدأ العلاقات الطيبة بين افراد الشعب وبين وحدات الانصار التي هي جزء منه .

٩) تجبى الضرائب نقداً او عينياً بشكل حصص من المحصول وفقاً لانتاج القرية او المدينة .

١٠) تشكل هبات الاصدقاء والمؤيدين للثورة مورداً مالياً للانصار يعطى لقاءها ايصالات سرية .

١١) تنظم اعمالها على شكل جبهتين : جبهة داخليـة في المنـاطق المحررة لجباية الضرائب وتنظيم الفلاحين والعمال، ووضع سلسلة من المراسيم والانظمة التي تساعد المواطنين على اقـامة علاقـة جديدة بينهم تتناسب والوضع الثوري في البلاد . واما الجبهة الخارجية فتقوم بالنشاط الدعائي والثقافي والتعليمي ودعوة المواطنين الى الانضمام في صفوف الانصار وتقديم المعلومات الصحيحة عن الثورة وغير ذلك .

١٢) لا يجوز استخدام اساليب الاغتيالات والارهاب الأعمى بل يجب ان يرتكز مثل هذا العمل على قناعـة الجماهير وتفهمها روح الثورة وآفاقها البعيدة والقريبة .

١٣) ان الدعاية المؤثرة والفعالة يجب ان تبنى على الحقائق ، لان الدعاية التي تستند على الاضاليل والاكاذيب سرعان ما تنكشف وتسبب نفوراً واستياء بين افراد الشعب .

١٤) تنظم الدعاية وتنشر عن طريق الاذاعة السرية والصحف والنشرات الاعلامية والاعلانات ، يؤخذ بعين الاعتبار المبدأ القائل « ان الحقيقة في المدى البعيد لا بد ان تؤتي الخير للشعوب» .

١٥) يجب ايضاح الشعارات الكبرى للحركة الثورية ، مثل شعار الاضراب العام في الوقت المناسب ، وشعار مساندة القوى الثائرة ، وشعار وحدة الصف وتلاحم القوى .

نموذج عن معارك الانصار الكوبيين

معركة لابلاتا

الوقت : بدء الهجوم الساعة الثانية والدقيقة الاربعين صباحاً من يوم ١٦ كانون الاول ١٩٥٧ .

المكان : منطقة لابلاتا – ماغداليتا في كوبه .

الهدف : مخفر صغير قائم عند مصب نهر لابلاتا .

حجم القوى :

– **القوات الصديقة المهاجمة** : ٢٢ نصيراً بقيادة فيدل كاسترو، مزودين بالسلاح التالي : ٩بنادق مجهزة بمنظار مقرب ، ٥ بنادق نصف آلية ، ٤ بنادق عادية ، رشاشان تومسن ، مسدسان رشاشان ، بندقية صيد عيار ١٦ مم .

– **قوات العدو** : خمسة عشر جندياً مزودين بأسلحة الجيش الكوبي .

خطط وترتيب الجانبين :

العدو : تتمركز قوات العدو على مخفر لابلاتا المشرف على النهر والسهل الفسيح الممتد من الجهة المقابلة للنهر ،وفيه تحصينات دفاعية وبعض الخنادق، ويحتوي على بعض الغرف ومستودع للمحروقات .

القوات الصديقة : انقسمت عند الهجوم الى ثلاث زمر،تهجم الزمرة الاولى على يمين المخفر وتتألف من ثلاثة انصار يقودهم ملازم، مسلحين بالبنادق نصف الآلية وتشكل هذه الزمرة (الميسرة) . تهجم الزمرة الثانية من الوسط وتشكل (القلب)، وتتألف من اربعة انصار يقودهم فيدل كاسترو .تهجم الزمرة الثالثة من على يسار المخفر بقيادة راوول كاسترو والميدا، وتشكل (الميمنة) .

سير المعركة : اقتربت الزمر المذكورة من مراكز العدو حتى اصبحت على

بعد اربعين متراً عنها . فتح فيدل كاسترو المعركة بصليتين من رشاشه تلتهـا طلقات البنادق . طلب من جنود المركز الاستسلام فلم يستجيبوا وردوا على ذلك بزخات قوية من الطلقات .

قبل الالتحام اعطيت الاوامر بقذف القنابل اليدوية البرازيلية . القى احد الجنود قنبلة ، تبعتها قنبلة اخرى لم تنفجرا . قذف راوول كاسترو اصبع ديناميت بدون فتيل ، فلم يصنع شيئاً . خاطر اكثر من رجل لاضرام النار في الابنيـة وفشلوا . وأخيراً تسلل جيفـارا برفقة نصير آخر واضرم النـار في مستودع للثار . ارعبت النار الحرس وانسحبوا من المعركة مولين الادبار — استمر اطلاق النار على الجنـود بلا رحمة حتى عجزوا عن المقـاومة وتعـالت صيحات الاستسلام من المخفر .

نتائج المعركة : خسر العدو قتيلين وخمسة جرحى ووقع ثلاثة من الجنود في الاسر . لم يخسر الانصار شيئاً ، سوى ما يقرب من خمسمائة طلقة وبعض القنابل صرفت في المعركة . غنموا من الجنود مقابل ذلك : ثماني بنادق سرنغفيلد ورشاش تومسون والف طلقة ، عدا أحزمة الطلقات والوقود وبعض الخناجر والثياب والطعام .

صفات النصير

يضع جيفارا عدة صفات وميزات يرى توافرهـا في الفرد حتى يصبح نصيراً ناجحاً :

١ — يجب ان يكون النصير مصلحاً اجتماعياً . فهو يدخل النضال وفي نيته هدم النظام الظالم وبناء النظام العادل .

٢ — ينبغي ان يكون سلوكه الاخلاقي ممتازاً ، خادماً للاهداف التي يحارب من اجلها .

٣ – يجب ان يساعد السكان مهنياً واقتصادياً ومعنوياً وثقافياً . يساعد الفقير ولا يرهق الغني ، يدفع ثمن كل شيء يأخذه ، واذا لم يستطع الدفع نقداً ، يسدد بموجب (سندات الامل) يدفع قيمتها كاملة بعد النصر .

٤ – يتمتع النصير بمجموعة من الشروط الجسمية والعقلية والاخلاقية ليتكيف بالحياة وينجز المهمات التي تقتضيها هذه الحياة بنجاح .

٥ – ينبغي ان يكون النصير من اهل المنطقة لسهولة اتصاله بالسكان ولثقتهم به ، وليكون عارفاً بطبيعة الارض ، حيث ان معرفة الارض هي احد العوامل الهامة في نضال الانصار .

٦ – يتقن النصير القتال الليلي ولهذا يجب عليه ان يتميز بالمكر ، يتنقل دون ان يشعر به احد ، يفاجىء العدو ويستفيد من وهنه ، يعامل المهزومين العزل بالحسني ويحترم الموتى ويعالج الجرحى .

٧ – يجازف بحياته عندما يقتضي الموقف ذلك ، يكون حذراً ومتخذاً كافة الاحتياطات الممكنة لاجتناب النهاية غير الموفقة .

٨ – مقدام ، يحلل الخطر ويعمل ببرود ، سريع الخاطر ، يتملص من المآزق بسرعة .

٩ – لا يترك رفيقه الجريح مهما كلف الامر ، اذ يجب ابعاده عن مناطق القتال .

١٠ – بالنسبة للسر ، النصير كالأبكم . كل ما يقال او يجري امامه لا يعرفه غيره ، ولا يسمح لنفسه بكلمة زائدة حتى مع رفاقه ، خوفاً من المتسللين .

١١ – لا يتعب ، دائماً يجد في نفسه قوة جديدة تساعده على المتابعة ، يتحمل الالم والحرمان والمرض حتى يصبح جزءاً لا يتجزأ من الارض التي يقاتل عليها بفعل من التكيف الطبيعي .

١٢ – في مرحلة البداية يجب ان لا تتجاوز سن المقاتل الاربعين والا تقل عن الخامسة والعشرين .

١٣ – يوجه عناية خاصة لذخيرته وسلاحه حتى يبقى دائما جاهزاً للعمل .

١٤ – مقتنع بالاهداف التي يحارب من اجلها ومستعد للتضحية في سبيلها دون تردد او وجل .

هذا بالاضافة الى عدة صفات تتعلق بحياته المادية والجسدية: حياة المطاردة، الصوم احياناً ، يأكل ما يستطيع الحصول عليه، لايخلع حذاءه عند النوم خشية هجوم مفاجىء من العدو .

ينظم الانصار حراستهم على اساس ان لكل عشرة رجال نائمين حارساً او حارسين. وينبغي تبديل الحرس مرات عديدة، ومراقبة كافه مداخل المعسكر مراقبة شديدة .

يحمل النصير فيحقيبته الى جانب البطانية وبعض الاغذية، قليلاً من الزيوت او الشحوم لصيانة السلاح وبعض الخرق البالية لتلميعه، وصحناً وملعقة وسكيناً ومطرة ماء وبعض الادوية ، كالبنسلين والضمادات للسموم والاسعاف الاولي ، والثقاب والصابون والبوصلة .

الفصل الرابع عشر

التجربة القبرصية في حرب الانصار

لمحة جغرافية وتاريخية

قبرص جزيرة مساحتها ٩٢٥٢ كيلومتراً مربعاً ، وعدد سكانها ٥٨١و٠٠٠ نسمة . تقع شرق البحر الابيض المتوسط . عاصمتها نيقوسيه . معظم سكانها يونانيون ، وبها أقلية تركية . تخترق الجزيرة سلسلتان جبليتان، ويصل الارتفاع الى ١٩٥٤ متراً في جبل اوليمبوس، وبين السلسلتين سهل فسيح . والجزيرة غنية بالمنتجات الزراعية وخاصة الكروم والقمح والزيتون والتبغ ، ومن معادنها النحاس . وللجزيرة تاريخ حافل يمتد جذوره من العصر الحجري الى أن تطورت حضارتها ونشأ بين سكانها وسكان مصر وسوريه وآسيه الصغرى علاقات وثيقة . تأثرت حضارتها بالمشرق ثم بالحضارة اليونانية . هاجر الى الجزيرة سوريون سنة (١٠٠٠) ق . م . وفينيقيون (٨٠٠) ق م. خضعت لآشور ولمصر وللقدس . استولى عليها بطليموس الاول سنة ٣١٣ ق . م . ثم خضعت لرومه سنة ٥٨ ق.م . دخلتها المسيحية بفضل القديسين بولس وبرنابا . في اثناء الحملة الصليبية الثانية ، أعطيت سنة ١١٩٢م لأسرة لوزينان الفرنسية . حاربها المصريون ثم البنادقة ثم الاتراك الذين استولوا عليها سنة ١٥٧١ م ، بمقتضى اتفاقية منفصلة أقرّها مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ . وضعت قبرص تحت الادارة

البريطانية ثم أصبحت مستعمرة بريطانية سنة ١٩٢٥ . في السنة ١٩٣١ ألغي مجلسها التشريعي وفي السنة ١٩٤٧ رفض غالبية السكان اقتراحاً قدمته بريطانيه باقامة نظام جديد للحكم ، وطالبوا بالاتحاد مع اليونان التي يشترك القبارصة مع أهلها في العنصر واللغة والعقيدة الارثوذكسية . تلكأت بريطانيه في التخلي عن سيطرتها ، وأثيرت مشكلة الاقلية التركية ، وتزعم الاسقف مكاريوس الثالث معركة القبارصة اليونانيين بعد السنة ١٩٥٠. اخيراً وقّعت بريطانيه واليونان وتركيه اتفاقاً سنة ١٩٥٩ باقامة جمهورية قبرصية مستقلة ذات مجلس تشريعي، ثلثه من القبارصة الاتراك، وثلثاه من القبارصة اليونانيين، وانتخب الاسقف مكاريوس رئيساً للجمهورية في كانون ١ (ديسمبر) ١٩٥٩ . نالت قبرص استقلالها في ١٦ آب (اغسطس) ١٩٦٠ ، وانضمت الى هيئة الامم. اشتد التنافس بين الطائفتين سنة ١٩٦٣ وأدى الى وقوع معارك دموية فاضطر رئيس الجمهورية الى مطالبة بريطانيه لارسال نجدات لوقف القتال بين الطائفتين ، ثم استبدلت بقوات الامم المتحدة سنة ١٩٦٤ . بقي التوتر بين الطائفتين قائماً . وقفت بريطانيه الى جانب الاقلية التركية مما أدى الى وقوع حرب أهلية ، وتدخل تركيه بصورة غير مباشرة عندما أمدّت الاتراك القبرصيين بالسلاح والخبرة العسكرية . وقفت اليونان الى جانب القبارصة اليونانيين وأمدّتهم كذلك بالسلاح والخبرة العسكرية . وقد تشكلت قيادة للثوار ، أوكلت للجنرال جريفس قيادة عمليات المقاومة السرية . ان الخبرة التي اكتسبها هذا القائد في الحرب الأهلية التي نشبت في اليونان عقب الحرب العالمية الثانية، ووقوفه الى جانب القوى المحافظة التي كانت تساعدها قوات بريطانية ضد القوى التقدمية، تضع علامة استفهام حول الأدوار التي يقوم بها هذا الرجل الذي يعتبر خبيراً في حرب العصابات .

مفاهيم جريفس عن حرب العصابات

في الكتاب الذي جمع فيه الجنرال جريفس تجاربه في الحرب القبرصية الأخيرة، يعرّف حرب العصابات بأنها شكل من اشكال الحروب، وهي وسيلة ملائمة في أيدي الشعوب من أجل تطوير سياستها الدفاعية أو الهجومية. وليس هناك من جديد في هذه الحروب من حيث الشكل، منذ أن لجأت اليها الشعوب المستضعفة في الايام الغابرة كأداة حاسمة لنيل حرياتها من الأسياد والمضطهدين. فقد استطاعت شعوب البلقان التخلص من سيطرة الامبراطورية العثمانية عن طريق حرب العصابات. ولجأ الى الطريقة نفسها الشعب اليوناني عندما أعلن حرب التحرير سنة ١٨٢١. ابتدأت هذه الحرب بشكل غير منظم ولكن هذا الشكل تبدل الى شكل أرقى عندما انضم الفيلهيليون للحرب.

القوات النظامية لا يمكن مواجهتها بقوات العصابات اذا استعملت الأخيرة الأساليب الحربية ذاتها التي تمارسها القوات النظامية. من هنا يأتي دور الأساليب الجديدة التي يمارسها الانصار في حروبهم.

في الحرب العالمية الثانية انبثقت حركات المقاومة الشعبية ضد قوات المحور في البلاد التي احتلوها، وكان ذلك عن طريق حرب العصابات. ولقد اتبعت شعوب الاتحاد السوفياتي حرب العصابات في المناطق المحتلة، حيث تعاني شعوبها الكثيفة اقسى أشكال الظلم والاستبداد. وقد كانت هذه الشعوب مستعدة ومتأهبة للتحرر من النير الالماني دفاعاً عن كرامتها وعقيدتها. وحدث مثل ذلك في الصين بقيادة ماوتسي تونغ، وفي فيتنام الشمالية وكينيه. تعتبر هذه البلدان وغيرها أمثلة حية ونموذجية للشعوب التي تمارس هذا النوع من القتال.

ويستطرد جريفس – العدو التقليدي للشيوعيين منذ ان قاد القوات المناوئة لهم في الحرب اليونانية الأهلية، التي سايرت أحداث الحرب العالمية الثانية وغذتها قوات الحلفاء، متهماً الشيوعيين بأن ما يجري في اميركه اللاتينية ان هو

الا نتيجة للنشاط الشيوعي حيث الأصابع الروسية تتحكم بصمام الأمان فيها . ومع ذلك هناك بلدان كالجزائر وقبرص يشتد فيها تأثير العقيدة الشيوعية ، الا ان منطلقها الثوري كان يستند على أساس وطني يهدف الى التحرر والاستقلال — ويقول : بأن حركة التحرر القبرصية رفضت التعاون مع الحزب الشيوعي القبرصي بغية عدم اعطاء الفرصة له للتسلل داخل الحركة الوطنية لاستغلالها والتوسع داخلها خلال حربنا ضد الانجليز .

يتهم جريفس الاتحاد السوفياتي بأنه يستغل حروب العصابات في البلدان الأخرى لاغراض استراتيجية تعود فائدتها الهجومية او الدفاعية لقواته حيث تبعد مسارح العمليات عن بلاده بتأثير الحروب المحلية . فالاتحاد السوفياتي يتجنب خوض حرب شاملة لانها قد تؤثر على مركزه ، لأن أراضيه كانت قبل وجود الأسلحة النووية صعبة المنال للقوات المهاجمة بفعل مساحاتها الواسعة ومناخها القاسي ، وخاصة عند تساقط الثلوج كما حدث في كل الحروب. ويعطي جريفس تعليلات سياسية منها : ان الاتحاد السوفياتي يستغل سياسة تسعير الصراع الطبقي في حرب العصابات ، ويرمي الى اشعال هذا الشكل من الحروب في المناطق البعيدة عن حدوده ليتجنب الاحراج والملامة . وفي نظره ان القوى الغربية تتجنب هذا الشكل من الحروب لأسباب تعسفية أو عقائدية .

يعتبر جريفس حرب العصابات من الحروب صعبة التطبيق لانها ناتجة عن الظروف الموضوعية لكل بلد ، وليس لها قواعد تدرس في المدارس او الكليات الحربية مثل دراسة الحرب العادية . ان حرب المقاومة الشعبية اليونانية التي جرت وقائعها في الحرب العالمية الثانية تختلف في عدة نواح عن قرينتها التي وقعت في يوغسلافيه . ومثل ذلك ينطبق على الحرب الجزائرية والحرب القبرصية . غير ان هناك نقطة التقاء بين حروب البلدان الأربعة المذكورة تتركز في هدف واحد ، وهو طرد الحكم الاستعماري من البلاد . ان حقائق كتاب جريفس لا تحتوي على الأساليب الاقليمية لهذا النوع من الحروب ، فهي تبحث في

الاستراتيجية والتكتيك العامين لحرب العصابات . وينصح جريفس القادة بعدم اللجوء الى حرب العصابات قبل دراسة وتفحص الظروف الموضوعية والشروط الاقليمية لبلدانهم . ويستشهد بذلك انه عندما كان يقود حرب التحرير القبرصية لم يحاول اتباع الاسلوب نفسه الذي مارسه في حركة المقاومة اليونانية او غيرها دون بصيرة وتعقل . فقد ترسم الخطى النابعة من الظروف الموضوعية القبرصية . وكان هذا ، في اعتقاده ، من الاسباب الرئيسية التي أدت الى نجاحه العسكري في قبرص .

الخطة الاستراتيجية
لقتال العصابات في قبرص

لما كانت الخطط التكتيكية تتشابه في معظم الأحوال بالرغم من اختلاف الظروف الموضوعية بين بلد وآخر ، لذا اكتفينا بتفحص الخطوط العامة الاستراتيجية التي رسمت لحرب العصابات في قبرص ، متجاوزين الخوض في الخطط التكتيكية .

كخط استراتيجي عام قررت قيادة العصابات بأن يكون الشروع في العمل جزئياً لأن القيادة لا تملك العدد الكافي من الوحدات التي ستقوم بحرب العصابات . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى اعتبرت القيادة انه ليس من الحكمة توجيه كافة ما تملكه من القوى دفعة واحدة ، فالافضل انتظار النتائج الأولى للاعمال التخريبية ومن ثم يؤخذ القرار المناسب الذي يستند على التجربة المكتسبة لاعطاء الأسبقية في العمل والشكل الأفضل في النضال . في الوقت نفسه يجب بذل كل مجهود يرمي الى زيادة القوات المقاتلة وخلق الجو المناسب لتطوير الحركة الى الكفاح المسلح . لتحقيق هذه الغايات قامت القيادة بالاجراءات التالية :

١) مهاجمة العدو بصورة مفاجئة تماماً، بحيث أجبرته على تبني خطة الدفاع غير

المركز في العمل ، ولجوء العدو لاتخاذ مقابيس وتدابير اعتباطية لا تستند الى أية خطط مدروسة .

٢) بالنسبة للبوليس الذي كان عليه تحمل اعمال العصابات الهجومية في مرحلتها الأولى ، كبح جماحه تماماً .

٣) الجيش أصبح في وضع لا يمكنه من القيام بأية مخاطرة في اي ميدان للقتال . فقد اقتصر عمله على مساعدة البوليس بطريقة هادئة نسبياً دون القيام بأي عمل حربي مركز . بصورة عامة اتخذ العدو موقفاً دفاعياً وانحصرت اعماله الهجومية اساساً في اتخاذ صور نفسية ، كاصدار أوامر منع التجول والقبض على المواطنين الابرياء .

٤) نجحت القيادة في نيل ثقة الشعب وجذب جزء منه الى الكفاح . لقد أصبح هذا الشعب ينظر للحركة بصورة جدية على اعتبار ان القائمين عليها هم في موضع المقاتلين الذين ينوون ضرب القوات البريطانية في قبرص .

موقف العدو بالنسبة للخط الاستراتيجي العام: لقد أمكن معرفة موقف العدو من الرسالة السرية الهامة التي وقعت بيد قيادة الانصار . وكان قد بعث بها حاكم لواء (لارافكا) الى وزير المستعمرات ومؤرخة في ٢٨ تموز (يوليو) ١٩٥٥، ذكر فيها : ان شهر تموز كان هادئاً في المنطقة التي تقع ضمن اختصاصه ، وان معلوماته تؤكد انه سكون مؤقت ، ذلك ان منظمة (ايوكا) كانت تعيد تنظيم قواتها استعداداً للقيام بحملة ارهابية قوية تتفق وموعد الاجتماع الثلاثي في لندن. وجاء في ختام تقريره انه يقتضي اتخاذ كل احتياط قبل ٢٩ آب (اغسطس) ، وأنه من الضروري عدم ترك زمام المبادرة للارهابيين . وأضاف حاكم اللواء يقول : انه مقتنع بأن حالة الفوضى الحاضرة لا يمكن تحسنها تحسناً دائماً مهما كانت الخطوات التي تتخذها الحكومة . صحيح ان الاحتياطات الشديدة التي تتخذها الحكومة تحدّ من نشاط (ايوكا) وتقلل من الاعمال الارهابية ، غير ان الاحتياطات الشديدة مهما كان اتساع نطاق تطبيقهـــا لن تسفر عن نتائج الا اذا درست جذور المشكلة دراسة دقيقة .

مضى الحاكم يقترح دراسة الاجراءات الواجب اتخاذها في الوقت ذاته مع الاحتياطات التي اقترحها حاكما لوائي فماغوستا ونيقوسيا في رسائلهما الى وزارة المستعمرات البريطانية .

١) من الضروري اتخاذ الاجراءات الفورية لازالة اسباب الكراهية المتفشية بين موظفي الحكومة، وذلك لايجاد جهاز حكومي يكون ولاؤه مئة بالمئة .

٢) تطبيق هذا الاجراء نفسه على البوليس ، وقوة البوليس غير كافية ، لا من ناحية رجالها ولا من ناحية عدتها وتجهيزها .

وغير ذلك من المقترحات المؤدية الى اعادة ثقة سكان الريف بالحكومة واسترداد هيبة حكام الالوية .

لقد كان الجنرال هاردنج، قائد القوات البريطانية فيقبرص، ومجلس الوزراء البريطاني،يعتقدون انه بالامكان ضربمنظمة (ايوكا) بمساعدة السكان انفسهم ، غير ان الحقيقة ظهرت مع الوقت ، وهي ان معظم اليونانيين يؤيدون (ايوكا) وانه من المستبعد ايجاد اية وسيلة بوليسية فعالة .

من النتائج التي استخلصتها القيادة من العرض السابق قررت العمل بنشاط اكثر على تنظيم جهاز المنظمة وقواتها من ناحية ، ومن ناحية أخرى العمل على زيادة نسبة الضغط على العدو .

كان التكتيك المتبع يتألف من اخذ مبادرة القتال عن طريق الهجمات المفاجئة التي تقوم بها اعداد قليلة من قوات المراوغة ، ثم الاختباء في الثغرات الملائمة لاجتناب نيران العدو .

التعديل في الخطة العامة الاصلية :

الحالة الاولى : ان الخطة العامة الاصلية بقيت كما هي،ولم يحدث اي تغيير في خطوطها العامة،الا بعد وصول الفيلدمارشالهاردنج فيتشرين١ (اكتوبر)١٩٥٥، الذي تسلم السلطات العسكرية والسياسية في الجزيرة . وكان لهذا العمل اثره على

الرأي العام في كل مكان . وبالتالي فان الجزء الاول من كفاح الشعب القبرصي قد انجز اهدافه ، وكان ذلك باثارة الرأي العام المحلي والعالمي .

وفيما عدا هذا ، فقد واجهت قيادة الثوار حالة جديدة :

أولاً : كان قد وصل الى قبرص رجل عسكري هو الحاكم الجديد ، وكان يحمل معه تعليمات مشددة ، وقد قدم ، كما صرح هو نفسه بذلك ، ليقيم حكماً بوليسياً قوياً ، وليقبض على زمام الأمور بيد من حديد . ولقد كانت القيادة تتطلع الى الامام ، لترى امامها قتالاً عنيفاً ينتظرها ، ضد خصم تزداد قوته زيادة عظيمة ، ويقود قواته قائد قدير .

ثانياً : وما دام الحل السياسي للقضية مستبعد ، فانه يجب عليها ان تحتاط لجعل كفاحها يدوم الى اطول مدى .

الحالة الثانية : بمجرد وصول هاردنج الى قبرص ، بدأ على الفور في اتخاذ اجراءات تمهيدية لتغيير الوضع ، وشملت هذه الاجراءات اعادة تجميع القوات وتعزيزها ، وقيام مفارز عسكرية على حماية مراكز البوليس ، وتولي الجيش مسؤولية الحفاظ على الامن . وقامت اجراءات أخري غير عادية للمحافظة ولحماية محطات البث والثكنات العسكرية ، كذلك اعلنت حالة الطوارىء في مختلف انحاء الجزيرة .

ولاول مرة ، ابتدأ الجيش بعملياته في المناطق الجبلية ، وبهذا انتقل هاردنج الى موقف المقاتل . وتبين للقيادة ان فعله هذا لم يكن يستند الى اية دراسة وافية للموقف .

وحسب تقدير هاردنج للموقف ، اعتقد بأن خصمه ما هو الا عبارة عن مجموعة من العصابات غير المدربة واللانظامية والتي بالامكان القضاء عليها بسهولة. وعلى هذا فان مجمل استراتيجية هاردنج وتكتيكه كانا يعتمدان اولاً، على اظهار ما لديه من قوة ، وذلك بالقيام بتحركات عسكرية استعراضية لم تشهد قبرص

مثيلاً لها من قبل . **ثانياً** ، بارهاب السكان . **ثالثاً** ، بتوجيه حملة دعائية ساخرة ضد الثورة .

ولقد هدف هاردنج من وراء عرض ما لديه من قوة ، وقيامه بالتحركات العسكرية المختلفة ، الى اظهار وجهة النظر البريطانية المقبلة ، بالرغم من تأييدها للمفاوضات السياسية التي كانت قد بدأت بين هاردنج والمطران مكاريوس .

ولمقاومة خطة هاردنج هذه قررت القيادة عدم الاهتمام باستعدادات العدو ، وذلك باللجوء الى السكينة ، بل بالاستخفاف بما قام به من استعدادات ضخمة وذلك لحمله على اعادة تنسيق قواته المرة تلو الأخرى وبطريقة متعاقبة وسريعة ، وعدم اعطائه اية فرصة للخلود الى الراحة . ولقد كان الهدف الاساسي من وراء هذا العمل ، هو المحافظة على الروح المعنوية العالية للشعب وللمقاتلين على السواء .

ولقد علقت اهمية كبرى على هذا العمل ، مخافة تزعزع الروح المعنوية للشعب من جراء استعراض العدو لقوته ، وقد ظهر القليل من هذا الفزع عند الشعب ، ولكنهم لم يعلنوه صراحة .

بقيت الخطة الهجومية العامة كما هي دون ادنى تغيير في خطوطها الرئيسية ، اللهم الا بعض التغيير الذي حصل في كيفية تنفيذها وفي بعض الوسائل والطرق. ولقد كانت هذه الخطة تهدف الى :

١) البدء بعمل يهدف الى خلق جو ملائم للهجوم القادم ، ويعمل على تفكيك البوليس وبلبلته ، مع اضطراب قوات الجيش ، والتشويش على عمل شبكة المخابرات .

٢) العمل الرئيسي ، ويرمي الى الاشتباك مع العدو وانزال الضربات العنيفة عليه .

ولتنفيذ هذه الخطة ، كان العمل يتطلب المحافظة على وجود اكبر عدد ممكن من قوات العدو في المدن والأماكن المأهولة بالسكان . ثم القيام بهجوم مفاجىء

على هذه القوات في النقط المناسبة ، وذلك عن طريق الكمائن ، والغارات على المعسكرات والحاق بعض الخسائر بالعدو ، بالاضافة الى محاولة خفض روحه المعنوية .

وهذه العملية ، اي عملية اثارة القلاقل في قوات العدو ، كانت من واجب الشباب ، من خلال تنظيمهم الاستفزازي ، كما هو الحال مع جماعة قليلة من المقاتلين الذين يقومون بالعمليات في المدن ضد البوليس وقوات الجيش .

اما العمل الرئيسي فيجب القيام به من جانب القوات الاساسية ، اي من وحدات العصابات ومجموعات التخريب ، جماعات O.K.T .

لقد تبينت القيادة طرق حرب العصابات واساليبها التي ادت الى نتائج ايجابية ضد الجيش الذي لم يكن يتقن اساليب العصابات ، وظهر امام رجال العصابات دوماً كجمع من الاهداف .

الحالة الثالثة : في ايار (مايو) وحزيران (يونيو) من عام ١٩٥٦ عزم هاردنج على القيام بهجوم واسع النطاق على مواقع الثوار الجبلية . ويجب الملاحظة هنا ، على ان هاردنج منذ قدومه الى قبرص ، ركّز جهده على المواقع الجبلية ، الذي كان يعطيها الاهمية القصوى . ولقد كانت هذه هي المرة الاولى التي يشاهد فيها العدو يضع خطة محددة . وكانت هذه الخطة تتكون من تغطية منطقة واسعة بواسطة مفارز عسكرية قليلة بعدد رجالها ، وتعمل بصورة منفصلة ، وكان عليهم التفتيش والبحث عن المواقع المذكورة وكانت امداداتهم تصل بواسطة طائرات الهليوكبتر .

واذا كانت هذه الخطة تظهر لأول وهلة انها خطة منطقية وسليمة ، فانها لم تنجح بتاتاً ، نظراً للوسائل الضخمة الصعبة الاخفاء التي استخدمت فيها . ولقد كانت جميع تحركاتهم مكشوفة تماماً ، لانهم ابعدوا انفسهم بعضاً عن بعض . وعندما كانت وحدات الثوار تشتبك معهم ، كانت معظم وحدات العدو تتصرف بطريقة يائسة . ولمدة شهرين كاملين وجدت القيادة نفسها وكأنها داخل هذا

الحصار ، ورغماً عن ان الاعداء قد حاصروا وحدات الثوار وركزوا عليها ، فقد كانت قادرة المرة تلو الأخرى على الهرب من هذا الحصار ، وذلك نتيجة للاخطاء التي ارتكبت من قبل مفارز الاعداء العسكرية او من قبل قادة جيشهم على مختلف مستوياتهم ورتبهم .

كان لا بد من معرفة ما اذا كان العدو عليه ان يبدأ بعملياته العسكرية ضد وحدات العصابات في المناطق الجبلية ، او من الأفضل له ان يبدأ هذه العمليات في المدن والقرى ، لانه كان من الواضح ان وحدات العصابات كانت تعتمد كلياً في امداداتها وخطوط مواصلاتها على الاماكن السكنية . فاذا ما نجح الاعداء في تعطيل نشاط الثوار في هذه الاماكن ، فانها ستكون تجربة قاسية تهدد بالتالي وجود الوحدات المقاتلة من الثوار . ولقد كان بالامكان معرفة مخطط هاردنج في مهاجمة الثوار في الجبال ، وذلك من خلال التقرير الذي بعث به مراسل جريدة الديلي ميل في قبرص في ١ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٥٦ ، والذي ذكر فيه « انه من المستبعد الاشتباك مع هذه الجماعات في المدن ، لأن اعضاءها يستطيعون بكل سهولة الاختفاء بين الجماهير ، او في متاهات الشوارع ، وانه من الاسهل الاشتباك مع وحدات (ايوكا) الجبلية . وخصوصاً انهم قد علموا بالامدادات العسكرية الضخمة التي وصلت الى قبرص ، وانهم محاصرون تمهيداً للقبض عليهم ، وان هناك خطة محكمة وضعت للايقاع بهم » .

اذا كانت هذه الآراء تعكس بالفعل افكار هاردنج يجب عليه اذاً ان يعلم ولو متأخراً ان معلوماته خاطئة ، ذلك ان هناك وحدات من العصابات في الجبال تماماً كما هناك وحدات مماثلة منهم في المدن . وعلى كل فان هاردنج كان يملك عدداً كافياً من القوات تحت امرته ، وبامكانه القيام بعمل حاسم في كلا المنطقتين ، في الجبال وفي الاماكن السكنية ، وتكون عملياته الهجومية بشكل دائري ، بحيث لا يترك للثوار اي منفذ ويجعلهم متضايقين من مختلف الجهات .

برهنت هذه العمليات على فشل تام ، سواء في التصورات الاستراتيجية او في التنفيذ التكتيكي . ولقد فشل خط الحصار الذي اقيم من وحدات قليلة ، ومن

مقاتلين منفردين، من احراز اي نصر. فان (دايهنيس) لم يقع بين ايدي الاعداء، ووحدات الثوار لم يقبض عليها تماماً ، والروح المعنوية للمقاتلين وللشعب لم تتأثر ابداً ، وافضل برهان على ذلك ، ان الوحدات التي تحملت هذه الخسائر عادت وكأنها اقوى واكثر نشاطاً من اليوم الذي بدىء فيه الكفاح ، وذلك بعـد ان قامت باعادة تنظيم نفسها بسرعة .

ولقد خاب امل هـاردنج الذي ذهب الى لندن ، وهو يتوقع ان يسمع نبأ القبض على (دايهنيس) في اية لحظة، كذلك خاب امل مساعدوه في قبرص الذين اعدوا العدة للاحتفال بنصرهم في مساء ذلك اليوم .

اما الاخطاء التي حدثت خلال هذه العمليات من قبل البريطانيين فيمكن تلخيصها بما يلي :

انهم تصوروا ان هذه المنطقة الواسعة يجب ان يوضع تحت تصرفها اعداد ضخمة من القوات قدرت بحوالي ٨و٠٠٠ – ١٠و٠٠٠ جندي ، ولقد كانوا في تحركاتهم المتقدمة والمتتابعة يتركون بعض الثغرات ، مما يسمح للجماعـات الصغيرة مع قليل من الخفة والسرعة في الحركة ، على خرق الحصـار والهرب بعيداً . (اذا كنت لا تستطيـع اغلاق جميـع ابواب منزلك ، فالافضل ان تغلق واحداً منها) .

ولقد حاصروا بعض وحدات الثوار التي كانت تحت امرة جريفس مباشرة، ومع ذلك تمكنت من الهرب من خلال الثغرات في خطوط العدو ، ودامت عملية الهروب هذه اثني عشر يوماً كاملاً .

الى جانب هذا الخطأ كان كل الذي فعله الانجليز ، بدلاً من ان يرسلوا دوريات استطلاعية الى المنطقة المحاصرة لجردها وتنقيبها من الثوار من مختلف الجهات ككلاب الاثر ، انهم وجهوا اعداداً قليلة جداً من الدوريات نحو نقط معينة ، آملين بذلك ان يجبروا الثوار على الهلاك من الجـوع والاستسلام ، الا ان الثوار كانوا يملكون كمية كافية من الغـذاء ، وأخذوا ينتهزون الفرص لكي

تهرب وحداتهم كجزء من العمل التكتيكي المنظم .

لم يستعمل الخصم عنصر المفاجأة او التستر في تحركاته التي كانت دائماً مكشوفة ومنظورة . وكثيراً ما كان الثوار يستدلون من تحركات العدو على كيفية تقرير عملياتهم . ولقد كانت تكتيكاتهم مبنية على كيفية اختباء القطة ، ثم انقضاضها على فريستها .

وبقي معظم الطرق التي كانت تقع ضمن منطقة العمليات خالية من عمليات البحث ، ولم يستعملها الانجليز لاعتقادهم بأن وحدات الثوار ستترك عليها أثراً عن تحركاتهم . ومع هذا ، فقد كانوا في الغالب يضطرون لعبور هذه الطرق ، ولكن دون ان يلاحظوا من قبل قوات العدو .

وكان من الاسهل عليهم ان يضعوا هذه الطرق تحت المراقبة ، مع امكان استخدامها للعربات السريعة . وهذا ما كان يجب ان يفعلوه ، نظراً لأن اية جماعة محاصرة ، تجد نفسها مضطرة لعبور احدى هذه الطرق ، وذلك لكي تنتقل من منطقة الى اخرى .

الحالة الرابعة : كان الموقف يتطلب من قيادة الثوار القبرصيين تغيير خططهم ما دام العدو قد حسّن خطته في العمل تدريجياً ، وتبنّى اساليب جديدة . وكانت العوامل التي كان الموقف يتطلب الاستناد اليها في الترتيبات الجديدة ، ان قوة العدو تزداد ضخامة ، وانه يحاول دائماً زيادة نشاطه ، وهذا مما اعطى القيادة اهدافاً هامة سواء في المدن ، او في المناطق التي يسيطر عليها. اما من ناحية الثوار فان الروح المعنوية كانت لا تزال عالية عند الجميع من مدنيين ومقاتلين ، والفضل يعود الى ما حققته القيادة من نجاح . وكان جميع السكان الى جانب الثوار . ولقد زادت اسلحتهم ومعداتهم الحربية زيادة ملحوظة ، وخصوصاً في المواد المتفجرة ، ووسائل التخريب الاخرى . ان هذا العامل، بالاضافة الى عامل (رضى الشعب)مهد للقيادة امكان زيادة قواتها بحيث كان باستطاعتها تشكيل خلايا ضرورية وثابتة في كل قرية .

من هذه الاعتبارات رسمت القيادة الخطة التالية :

تحويل الجزيرة كلها الى ساحة قتال ، وذلك حتى لا يشعر العدو بأية طمأنينة في اي مكان ، ولاعطائه ذلك الشعور بأن الثوار في كل مكان ، دون ان يكون قادراً على البحث عنهم . وعلى هذا فان الشعور الذى سيتملك العدو سيجعله يعتقد ان ساحة المعركة من الاتساع بمكان وكأنها بمثابة الفراغ المفزع .

والتكتيك الذي ينبغي ان يتخذ ، كان يتألف من القيام بهجمات مفاجئة بواسطة وحدات صغيرة قادرة على ان تضرب ثم تفر وتتلاشى عن الانظار ، (أي يضربون على الارض ثم يختفون سواء فوق الارض او تحتها) . وفي كلمة اخرى ، انه نوع من القتال يوقع الاصابات في صفوف العدو ، ويستفزه ، وكان هذا من الاعمال الرئيسية .

وبالاضافة الى العوامل السابقة ، كانت هناك عوامل أخرى معتبرة، سواء من الناحية الاستراتيجية ، او من وجهة النظر التكتيكية . اولها العامل المعنوي . فان كفاح الشعب القبرصي ، كأي كفاح آخر ، يدور اساساً على عراك في الارادة . والذي ينتصر في النهاية وتكون كفته هي الغالبة ، هو الذي تكون معنوياته الاعلى وارادته وتصميمه الاقوى . وفي خلال الكفاح ، نجحت القيادة في الحفاظ دائماً على الروح المعنوية العالية ، عند المقاتلين وغير المقاتلين ، وعلى أعلى مستوى، ولم يكن هناك أي دليل يشير الى التخاذل عندهم مطلقاً .

ولقد كان هناك عامل آخر مساعد وهام وهو ان الجندي البريطاني على العكس تماماً من الثوار، فقد كان يقاتل فقط من أجل الحفاظ على خضوع الشعب. وهكذا فانه عندما كانت مجهودات المقاتلين القبرصيين تستنزف من جراء الاصابات والكوارث والضربات القاسية التي كانت تصيبهم ، فان معنوياتهم تظل كما هي ، لا بل تعود الى ما كانت عليه مع زيادة في التماسك والالتئام .

الحالة الخامسة : في أواسط العام ١٩٥٧ ظهر تهديد جديد في الأفق ، وكان هذا التهديد عبارة عن التعاون التركي — البريطاني . وعندما علمت قيادة الثوار

بان البريطانيين يحثون الاتراك على مهاجمة الثوار، وانهم ينوون تزويدهم بالسلاح، اضطرت الى أخذ هذا التهديد بعين الاعتبار . وقامت فيما بعد بدراسة وافية للموقف ، ورسمت خطة بحماية وحداتها من هجمات الاتراك في المدن والقرى ، ولقد تضمنت الخطة عرضاً تفصيلياً بالنسبة للاساليب والطرق التي يجب اتخاذها.

وهكذا، وفي منتصف ليل ٧حزيران(يونيو)١٩٥٨ قامت جماعة تركية، تحت أعين السلطات البريطانية وحمايتها ، بهجوم على الاماكن السكنية ، في العاصمة (نيقوسيه) . وبعد فترة قصيرة ، انتشرت مثل هذه الاعمال في مختلف انحاء الجزيرة ، وكان الثوار على أهبة الاستعداد للقيام بعمليات مضادة .

هذه الاعمال التي قام بها الاتراك والتي لم تؤثر تأثيراً كبيراً ، هدفت الى تحقيق شيئين رئيسيين واتخذت مظهرين مختلفين : فالشيء الأول قصد منه مهاجمة الأحياء اليونانية من قبل بعض الاتراك . وهذا العمل من وجهة النظر العسكرية يهدف اولاً الى تجريد السكان اليونانيين من أية مقاومة ومن ثم اجبارهم على قبول المشاركة في النهج البريطاني الجديد . وبهذا تبعد (تعزل) منظمة (ايوكا) عن طريق سحب جميع امداداتها . وثانياً الى اجبار الثوار على القتال في قبرص في جبهتين ، واحدة ضد البريطانيين ، والأخرى ضد الاتراك .

أما من وجهة النظر السياسية ، فكان الهدف من وراء ذلك العمل اولاً ، تأكيد وتعزيز القول الذي أثاره البريطانيون وهو ان الاتراك واليونانيين لا يمكنهم التعايش معاً في الجزيرة ، واثبات صحة هذا القول . وثانياً ، تدعيم موقف الاتراك ، كوسيلة للبرهان عن عجز الحكومة البريطانية على تلبية المطالب اليونانية .

وفي البداية وقف الثوار موقف المدافع ضد الاتراك والبريطانيين . وطبيعياً لم تكن قيادتهم ترغب في قتال على جبهتين في وقت واحد . ولقد أرادت الاقتصاد في الوقت وفي القوات .

كان الوقت عنصراً ضرورياً وهاماً لكي تتمكن القيادة بواسطته من ملائمة

تخطيطاتها لكلا الحالتين ، الحاضرة والقادمة في حالة حدوث اي تغيير تكتيكي من جانب الاتراك . وكان عليها ان تقتصد من قواتها ، وتحتفظ باحتياط كبير منها جاهزاً ومستعداً ، لكي يكون قادراً على صد أي هجوم واسع النطاق قد يشنه البريطانيون ، وأخيراً ، اذا استقر الوضع على هذا الشكل مع الاتراك ، فانه يتوجب القيام بهجوم على البريطانيين،على اعتبار انهم هم الأعداء الاساسيون والأشد خطورة .

بعد ان فشل الاتراك في احراز النتائج التي توقعوها من هجومات العزل والابعاد التي قاموا بها ، تحولوا الى تحقيق الشيء الثاني من هدفهم الذي برز من خلال التعاون التركي – البريطاني . لقد تركزت هجمات الاتراك حتى الآن ضد كل شيء يوناني ، ضد الاشخاص والممتلكات . وبدأ المواطنون يتضايقون . فمنازل اليونانيين ومحلاتهم تحرق وتدمر ، وأبنية بلدياتهم تحتل ، والسكان اليونانيون الذين كانوا يعيشون في المناطق التركية طردوا من منازلهم ، وما لبث ان استقر بها الاتراك . كل هذا حدث تحت نظر السلطات البريطانية وموافقتها .

كانت خطة قيادة الثوار العمل لمواجهة الهدف الثاني من التعاون التركي – البريطاني ، اولاً التحقق من الهجمات التركية البريطانية ، وبالتالي اعداد هجوم على نطاق صغير ضد الاتراك لزعزعة معنوياتهم ورفع معنويات القبارصة اليونانيين ولكن دون ارهاق قوات الثوار ، ومتى تمت هذه الأهداف يكون بمقدور القيادة ان تشن في الوقت المناسب هجوماً معاكساً على البريطانيين وان تبقى في الوقت نفسه بالنسبة للاتراك دون حراك. وكانت الخطة ضدالبريطانيين مستوحاة من الاعتبارات التالية :

اولاً – عدم ترك البريطانيين دون ازعاج . كان من الخطأ الفادح الانزلاق الى صراع متعب ضد الاتراك مع ترك البريطانيين يقومون بدور المتفرج . وكان معنى مثل هذه الحركة تقليد اللعبة البريطانية. ثانياً – عدم ارهاق قوات الثوار

كي تتمكن من الصمود مدة طويلة ، وعليه كان من الواجب ان لا تنجرّ الى عمليات مطولة . وعلى هذا ، فمجهود القيادة ينبغي ان يكون على نطاق صغير ، وعلى اعمال تخريبية متفرقة ، ضد هذا الوضع ، لكي تربك وتثير غضب البريطانيين ، والبدء باغتيال المواطنين البريطانيين على نطاق صغير ، ثم على نطاق واسع ، وبعدها تقوم بهجومات مفاجئة ضد القوات المسلحة .

وفي أواسط شهر تموز(يوليو)١٩٥٨،وبعد فترة من الاستعدادات،قام الثوار بهجوم مضاد ضد الاتراك ، بعد الحصول على معلومات تفيد بأن معنوياتهم منخفضة جداً ، وان نشاطاتهم في انخفاض مستمر ، وليس العكس ، وذلك بسبب المقاومة العنيفة التي قامت من جانب الثوار والتي لم يتوقعوها . وفي نهاية الشهر نفسه ، قام الثوار بهجوم مضاد ضد البريطانيين . وفي كلا الهجومين استغلت المناطق الريفية وضمن حدود ضيقة على طبيعة حرب العصابات . اما في المدن فقد ركز على النشاط السري التخريبي .

ولقد فشلت هجمات الحلف التركي—البريطاني، وتولدت عنها نتائج معاكسة، وكان اول من نادى الى وقف سفك الدماء هذا ، هو الحاكم البريطاني فوت الذي قام باستنكار الهجوم التركي.ثم تبعه السير هارولد ماكميلان رئيس الحكومة البريطانية نفسه ، ورئيس الوزراء التركي عدنان مندريس .

كان انعكاس هذا الوضع على الرأي العام العالمي مثيراً ، وخصوصاً في بريطانيه ، لأن الاهداف الملتوية التي أرادت الحكومة البريطانية تحقيقها اضحت مفضوحة ، واثبتت عجز المسؤولين على فرض نظام حكمهم على قبرص .

ان أطرف وصف لحرب العصابات يتجلى بما كتبه جريفس الجنرال الثعلب عندما قارن بين استراتيجية الثوار واستراتيجية البريطانيين حيث يقول : وكان هناك اختلاف واضح بين استراتيجية الثوار القبارصة واستراتيجية البريطانيين . يمكن وصف أحد هذه الاختلافات بهذا التشبيه: كان البريطانيون يحاولون اصطياد الفأر في الحقل بواسطة السيارات المصفحة ، مع العلم انه يمكن

للشخص ان يقبض على الفأر بالدهاء والمكر ، فباستطاعته ان يوجه عليه القطط او ان يقيم له المصائد . والمغزى من هذا التشبيه انـه بدلاً من التفاخر بالجيش وبعمليات السـلاح الجوي ، كان من الأفضل لهم ان يدربوا وينظموا جماعات صغيرة من الصيادين ، ثم يشركوهم بطريقة حاذقة ، في الجانب الخفي من هـذه اللعبة . تماماً كما يستعمل الصياد كلبه ليكشف له الغنيمة ، ومن ثم ليبدأ هو بمطاردتها وصيدها .

ويتهكم جريفس على البريطانيين قائلاً : « اما حقيقة ما أذاعه البريطانيون من انهم جلبوا اخصـائيين لمكافحة العصـابات مـن المستعمرات ، فـاني لم اصطدم معهم ابداً ، ولم اسمع انهم قاموا بأي نشاط مطلقاً » .

وبدلاً من ان يغمر البريطانيون قبرص بالجيوش بحيث ان الفرد يلتقي بجندي في كل خطوة يخطوها فقط من أجل الحصول على نتيجة لمجموعة الأهـداف التي أرادوا تحقيقها ، وبذلك تحملوا جميع الكوارث والخسائر التي أصابتهم ، كان الأجدر بهم ألا يحتقروا « قانون الاشباع » . فمضمون هـذا القانون ، ان لكل نوع من التربة قدرة محدودة على الامتصاص دون اي مخاطرة . وكذلك بالنسبة للجيش . فان أية زيادة عن الحدّ في عدد القوات لا تعجز عن ان تؤدي الى نتيجة أفضل فحسب ، بل ستعمل على زيادة الكوارث ، بالاضافة الى تعقدات تحركاتهم ، ووقوعهم في التهلكة نظراً لاتساع أمكنة العمليات .

وفي رسالة سرية بعثت بها قيادة البوليس في فماغوسته ومؤرخة بتاريخ ٢٤ ايلول (سبتمبر) ١٩٥٦، جاء بها بنوع خاص مايلي: «ان طلب الشعبة السرية سوف يعمل فقـط على اخماد الارهاب ، ودفعه الى ان يعمـل بصورة سرية اكثر . والطريقة الوحيدة الناجحة في القضاء نهائياً على الارهاب في الوضـع الراهن في قبرص ، هو ان نلعب معهم ، في لعبتهم « لعبة القطة والفأر » وهـذا يتطلب البراعة في التفكير مع السرية والحيلة » . ويتابع كاتب الرسالة قوله : « يجب علينا ان نتناسى ما قد يلحق بنا من ضرر وخسارة ، ونزيد من عزمنا وثباتنا

ودهائنا . هل هناك شيء أكثر معقولية ، من هذه البساطة والصراحة ؟ ولكن الشيء المحير ان لا هاردنج ولا أولئك الذين وضعوه على قيادة القوات المسلحة في قبرص، قد أعاروا انتباههم لهذه الحكمة ولهذه النصيحة القيمة. ان على القادة البريطانيين ان يعرفوا ما يتوجب عليهم القيام به ، ولكن بصورة عمليـــة لم يكونوا قادرين على اتبـاع هذه النصيحة ، لأنهم كانوا يتأثرون اما بالحوادث ، واما بشعورهم بانهم متفوقون من ناحية القوة المادية ، ولأن هناك فرقاً شاسعاً بين ما هو نظري وبين ما هو عملي . ومن الدراسات والملاحظـات المختلفة التي كتبت عن حرب العصابات ، وجاء بها مراراً ذكر التحرك السريـع ، ووحدات المراوغة الخ ... في رأيي ان ما يحتاج اليه هو منظمة خاصة ، مؤلفة من قوات اختصاصية تنطبق عليها الشروط العامة والخاصة للكفاح » .

صناعة المتفجرات والالغام في الثورة القبرصية

عمدت قيادة الثوار في قبرص الى الاستفادة من المواد الكيماوية المتوفرة في الاسواق المحلية وغير المحظورة البيع حيث كانت تشترى وتعالج في مصانع شعبية بسيطة لتحويلها الى مواد سريعة الانفجار ثم تصنع منها وسائل التفجير والالغام، وفيما يلي بعض النماذج :

المتفجرات :

أ — ١٠٠ جزء كلورات البوتاسيوم Potasium Chlorate + ٢٠ جزءاً اوروتروبين يفجر بواسطة صاعق عادي او كهربائي .

ب — ٩٦جزءاً كلورات البوتاسيوم، ١٢جزءاً اوكسيد المنغنيز Mg. Peroxide يفجر بواسطة صاعق عادي او كهربائي .

جـ — ٨٨ جزءاً كلورات البوتاسيوم — ١٢ جزءاً فازلين Vaseline يفجر بواسطة صاعق كهربائي او عادي . يمكن استعمال الفتيل ايضاً .

د — ٧٨ جزءاً كلورات البوتاسيوم—١٢جزءاً نيترات البوتاسيوم —٦أجزاء من الكبريت— ٤ أجزاء كربون — ٢٠جزءاً اوروتروبين. وهذا مزيج جيد من الدرجة الاولى يفجر بواسطة صاعق عادي او كهربائي .

المحروقات :

٧٥ جزءاً كلورات البوتاسيوم — ٢٥ جزءاً سكر . النتيجة تكون محروقاً ومتفجراً معاً . تتعين قوة الانفجار او الاحتراق تبعاً لنسب المزج ، فاذا اردنا الحصول على قوة انفجارية اعلى تزاد كمية كلورات البوتاسيوم . اما اذا كان المطلوب الحصول على قوة احتراقية اعلى فتزاد كمية السكر .

تحضير فلمينات الزئبق Fulminate of mercury : بالرغم من افتقار الثوار للاجهزة العلمية فقد استعملوا طرقاً سهلة ووسائط عادية .

١) النيترات Nitrosis : تستعمل قناني حامض النيتريك بدرجة ١٫٤٢ هذه الزجاجات سعة ١ كلغ . تفتح السدادات ويوضع ١٢٠ غراماً من الزئبق الصافي « الكيميائي » في كل زجاجة . يترك المزيج ١٢ ساعة طيلة الليل حتى يتم ذوبان الزئبق . ثم تغلق الزجاجات وتدار رأساً على عقب بلطف حتى يتم المزج . يعاد فتح الزجاجات وذلك لتخفيف ضغط الابخرة. وبعد ذلك تعاد السدادات الى مكانها .

٢) يصب سبيرتو درجة ٩٥° في وعاء ذو فم واسع عريض (يفضل قناني واسعة الفوهة) بنسبة ١٫٢٨ كلغ لكل قنينة من المزيج الاول . ثم يحول المزيج الاول الى القناني كي يتم في وقت قصير حدوث تفاعل قوي مصاحب بانطلاق دخان حاد وقوي .

عندما يتوقف الدخان تكون العملية قد انتهت وتترسب فلمينات الزئبق في قاع الزجاجات . يغسل النتاج بالماء المقطر ويجفف على الزجاج .

صناعة الصواعق :

بعد صناعة المادة المتفجرة يأتي دور صناعة الصواعق . غلاف الصاعق يجب ان يكون مصنوعاً من معدن لا يتفاعل مع فلمينات الزئبق لذلك يستعمل غلافاً نحاسياً .

(الشكل ١٦ – ١) هو تصوير للصاعق الكهربائي نفسه :

١ – الانبوب او الغلاف .

٢ – قصدير .

٣ – صوف – قطن .

٤ – فلمينات الزئبق .

٥ – قطن – صوف .

٦ – غطاء عازل .

٧ – سلكين معزولين .

٨ – مادة عازلة .

٩ – شريط دقيق مزيج من الكروم والنيكل .

صناعة القنابل : القنبلة المزوجة BKA متفجرة ومحرقة :

١ – قنينة صغيرة مملوءة بمزيج كلورات البوتاسيوم والسكر .

٢ – انبوب تجارب مملوء بحامض الكبريتيك Sulphuric acid .

٣ – قضيب حديد .

٤ – رصاصة ثقيلة .

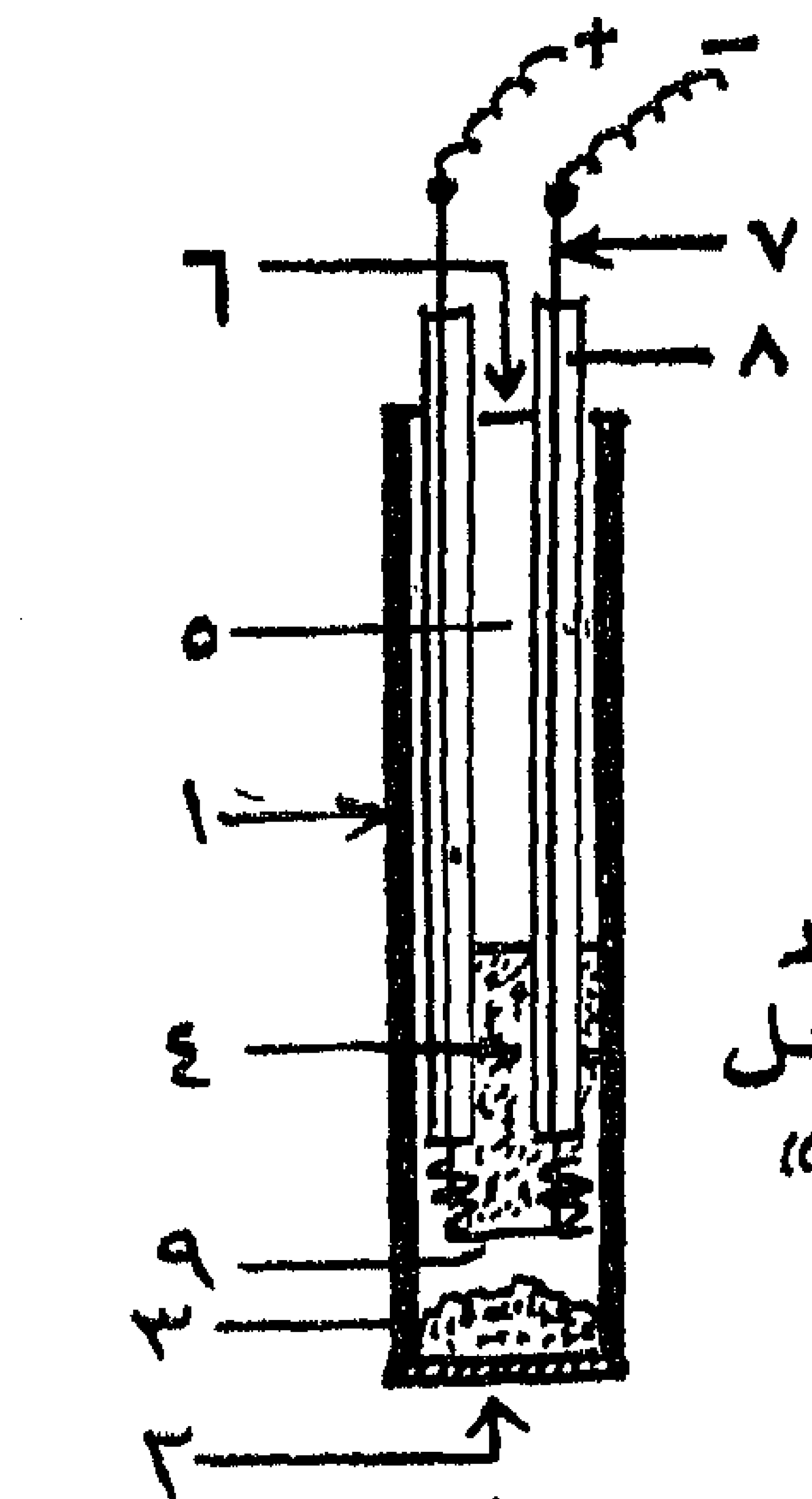
٥ – غطاء عازل (جص ملتصق) .

٦ – فلينة مبتلة بالبارافين Paraffin .

عندما تنكسر القنينة يحتك حامض الكبريتيك الذي تحتويه بالمادة المحرقة

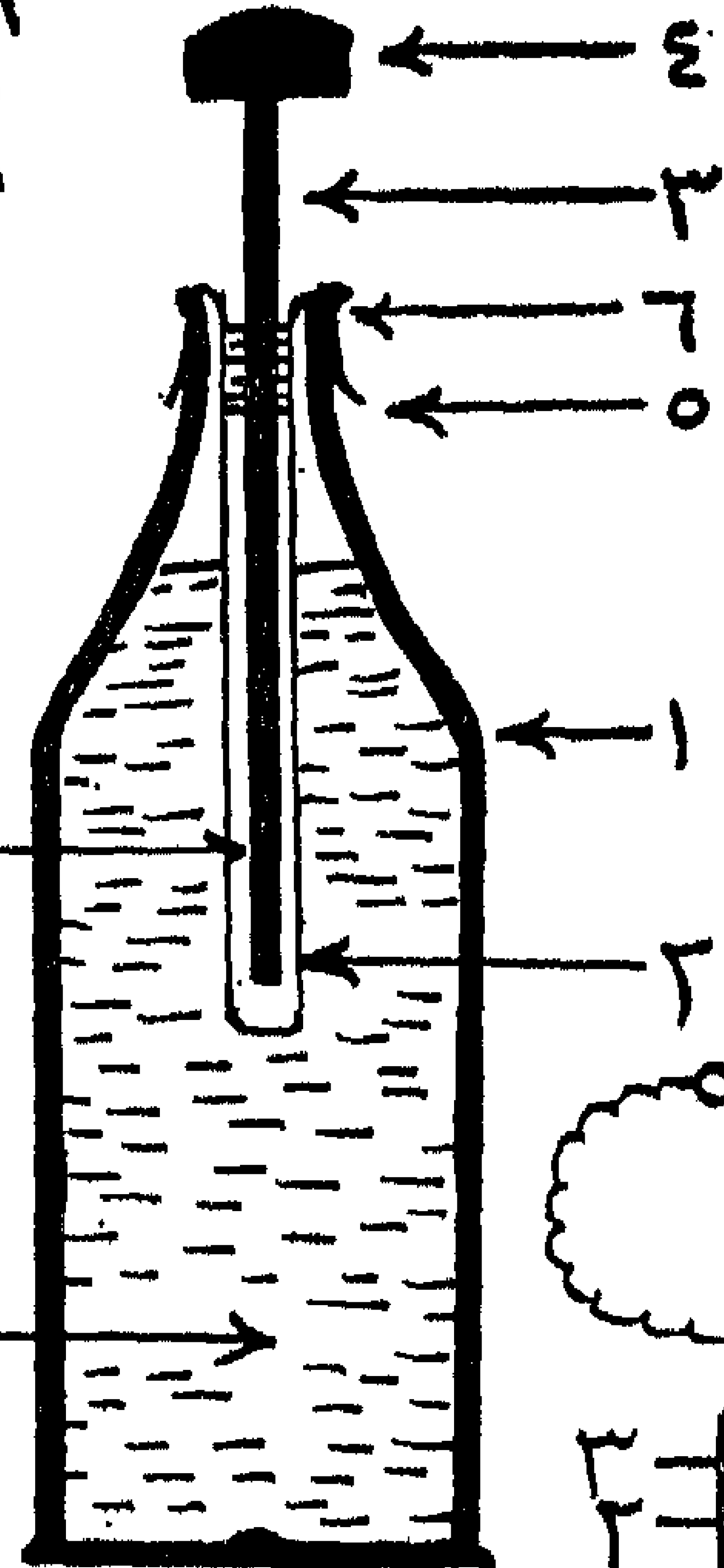
قنبلة صناعة شعبية
«BKA»

أشكال
اللوحة ١٦



شكل «١»

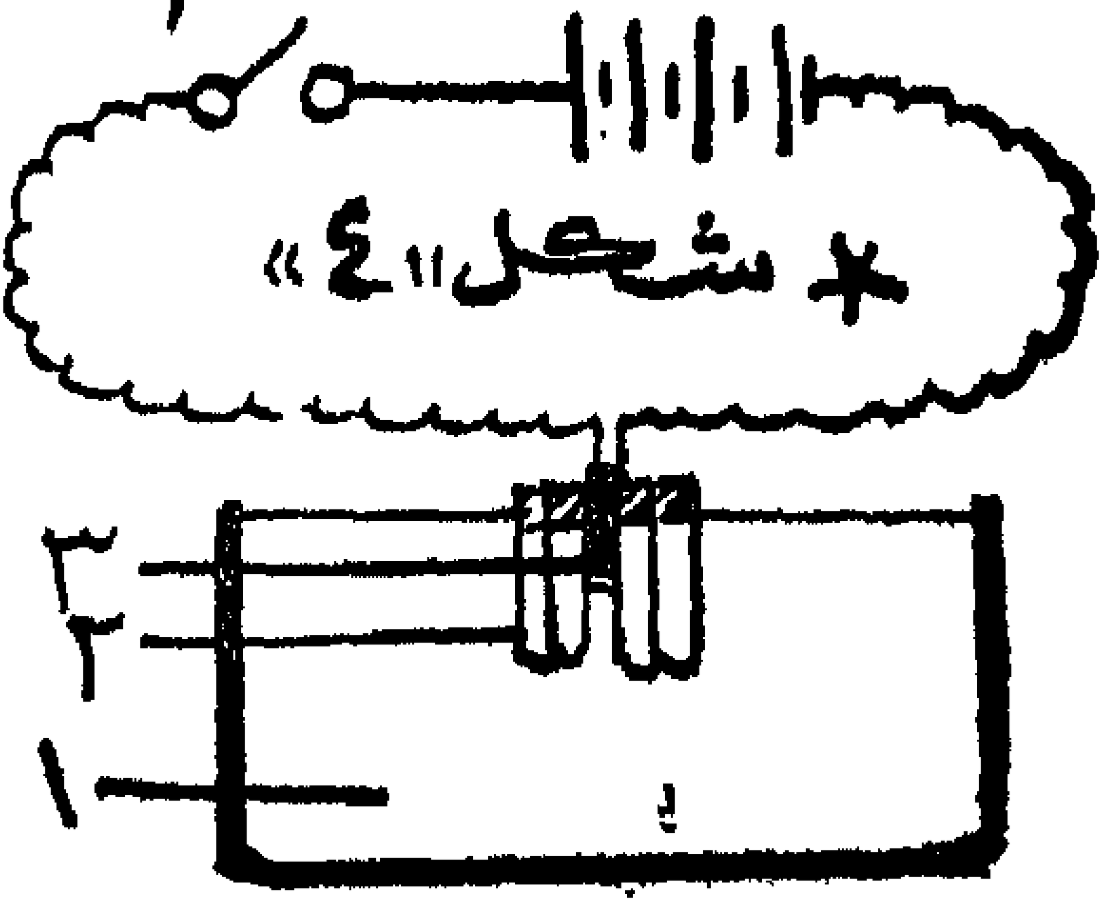
الصاعق الكهربائي

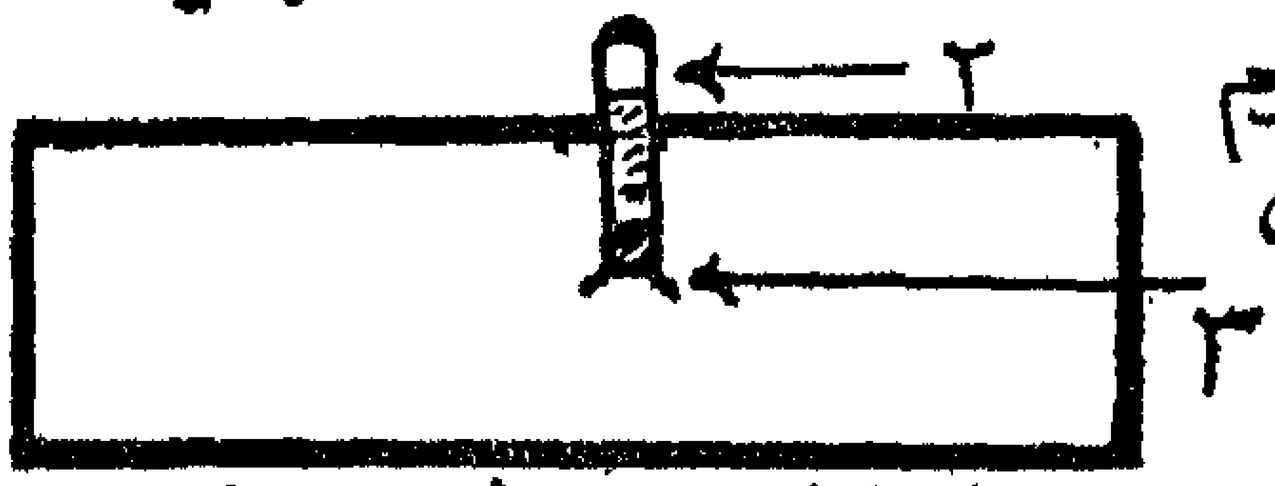


حامض الكبريتيك H_2SO_4

كلورات البوتاسيوم + سكر

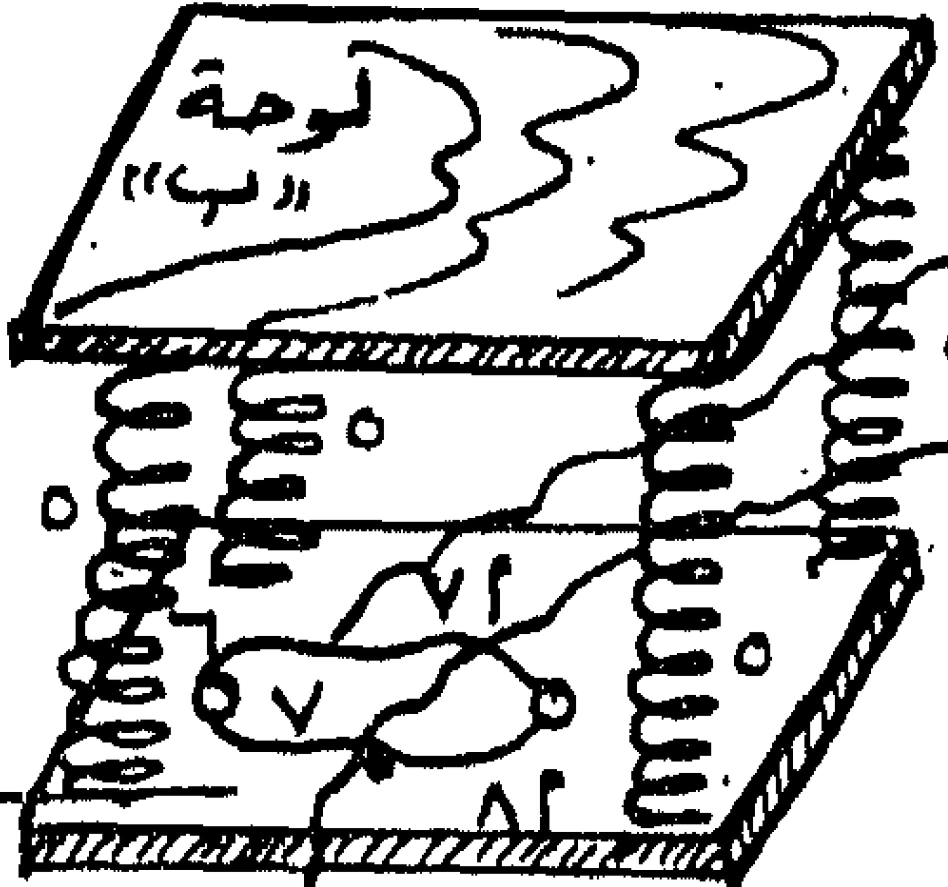
شكل «٣»



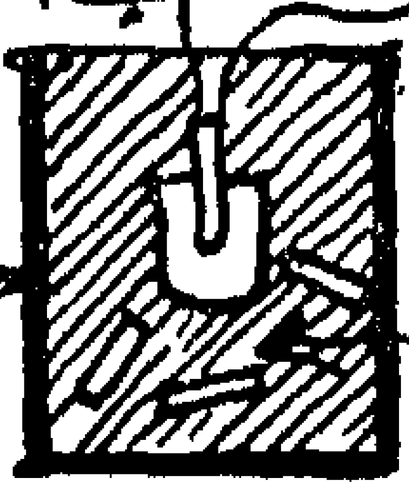


شكل «٢» لغم موقوت

مقطع سطح الأرض



«أ»
بطارية
ب ٢
«٨»
التربة
اللوحة «١»
ب ١
اللغم
وعاء اللغم
موزع المتفجرات



شكل «٥» «٢»

لغم كهربائي ضد الآليات
«يعمل بالضغط»

من الزجاجة وبالطبع يتولد الانفجار والحريق .

قطعة الرصاص مثبتة في رأس القضيب الحديدي تنزعه من الفلين .

اولاً : الرصاص بثقله يجعل القنبلة BKA تقع على رأسها .

ثانياً : بما انها تضرب بالارض فانها ترفع القضيب الحديدي الى الداخل الذي بدوره يكسر انبوب حامض الكبريتيك فيتفاعل اوتوماتيكياً مولداً الانفجار.

تستعمل القنبلة بأشكال مختلفة كما هو مبين في الشكل (١٦ - ٢٬٣) .

أ - القنبلة المؤقتة للحريق :

١ - تحتوي على مزيج من كلورات البوتاسيوم والسكر .

٢ - انبوب فيه حامض الكبريتيك .

٣ - سدادة فلين .

ب - قنبلة الحريق بصاعق كهربائي :

١ - تحتوي على مزيج كلورات البوتاسيوم والسكر .

٢ - انبوب فيه حامض الكبريتيك مسدود بفلين مبلول بالبارافين .

٣ - صاعق كهربائي .

في الصورة٣ وقت الاحتراق يتوقف على سماكة السدادة (٣) اذ بمرور الوقت يهري حامض الكبريتيك السدادة ويتصل بالمادة المتفجرة .

حقول الالغام : اللغم يحتوي على القطع التالية : اللغم بنفسه مع المادة المتفجرة وصاعق كهربائي، لوحين خشبيين او بطارية كهربائية ، اسلاك الخ...

طريقة صنعه :

١ - اللغم نفسه : ضع المزيج المتفجر في وعاء له جوانب قوية السماكة او

غطاء حديدي سميك . قوّي المزيج بكمية قليلة من فلمينات الزئبق او ديناميت يمكن ايضاً ادخال بعض الصواعق العادية لزيادة القوة الانفجارية . كمية المزج المطلوبة اذا كان اللغم سوف يستعمل ضد الآليات هي بين ٤و٦ كلغ و٦٨و٧ كلغ.

بعد ذلك ضع الصاعق الكهربائي بالخطين(أ–١)، (ب–١) في داخل الجهاز والمحتوي على المزيج المتفجر ثم صله بإحكام وبذلك لا ينتزع، واللغم الآن جاهز. (شكل ١٦) .

٢ – اللوحتان(١– ب): خذ اللوح (أ) بشكل ان تكون مقاييسه متناسبة اذا مدت في الشارع مع الآليات . فان دولاباً واحداً على الاقل يجب ان يمر فوقه . في الزوايا الاربع من اللوح(ب)نعلق ٤ زنبركات. اما قوة هذه الزنبركات فيجب أن تتحدد بشكل ان الضغط على اللوح الاعلى(ب)الذي يجعله باحتكاك مع المفاتيح في اللوح (أ) متناسب مع وزن الهدف الذي نريد مهاجمته. اذا مثلاً أردنا ان نهاجم آليات فقط وليس اشخاصاً ، فان الزنبركات يجب ان تكون قابلة لحمل وزن ٤و١٠٢ كلغ او ١٢٨ كلغ .

في وسط طرفي اللوحة (أ) نثبت مفتاحين متصلين بشريطين. نضع مفتاحين بدلاً من واحد وسط اللوحة للتأكد من ان اللغم سينفجر اذا ما ضغطت الالية على واحد منهما . فوق اللوحة (أ) نضع لوحة أخرى (ب) بنفس الحجم بشكل ان تكون على احتكاك بالزنبركات الاربع . نلف اللوحتين بالنايلون حتى نمنع التراب والحجارة من الدخول بينهما عندما تطمران فتمنع اللوحة(ب) من الضغط على الزنبركات وبالتالي على المفاتيح في اللوحة (أ) عندما يمر الهدف فوق اللغم .

٣ – يمكن استعمال بطارية قادرة على اعطاء تيار كهربائي قوة ٦ فولت . ان ذلك يتعلق اساساً بقوة مقاومة الصواعق . من الضروري جداً مناسبة قوة التيار اللازمة (فلتاج Voltage) للصاعق المستعمل .

قبل وضع اللغم تحت الارض صل الاشرطة كما يلي :

صل الشريط(٧)مع (ب–١) (احد الاشرطة المتصلة بالصاعق الكهربائي

داخل اللغم).صل الشريط(أ —٧)مع(ب —٢)الذي يتصل بأحد قطبي البطارية لاتمام اغلاق الخط الكهربائي، فان الشريط الآخر من الصاعق (أ—١) يمد طويلا حسب الحاجة ويترك حراً.القطب الآخر من البطارية يتصل مع الشريط(أ—٢) الذي يمتد ايضاً حسب الحاجة ويترك حراً.اخيراً في نقطة (أ—٨)حيث يتصل الشريط(٧)مع الشريط(ب—١)صل الشريط(٨)ومده باتجاه الشريط (أ—٢).

زرع الألغام والالواح : اللغم بنفسه يزرع في حفرة مصنوعة في الطريق بعمق وعرض كافيين لدخول اللغم والالواح . اللوحان يوضعان بالشكل الموضح في القسم الثاني من (طريقة صنعه). يمكن للغم ان يوضع تحت الالواح او بجانب احدهما . ولكن في كل الحالات قرب منتصف الطريق وبذلك عندما ينفجر اللغم فان الانفجار يكون تماماً تحت الآلية . بعد ان يهيأ اللغم تخفى آثار الحفر بعناية حتى لا تثير اي شك وهذا شيء مهم لان الالغام عادة تكتشف بواسطة الآثار المتروكة .

الفصل الخامس عشر

التجربة الفيتنامية

لمحة جغرافية وتاريخية

كانت فيتنام ، قبل انقسامها الى جمهوريتين شمالية وجنوبية ، جمهورية تقع شرق الهند الصينية . تكونت باتحاد تونكين وانام وكوشين الصينية ، عاصمتها سايغون واغلبية السكان اناميون . احتلتها الجيوش اليابانية سنة ١٩٤٢ وعند انتهاء الحرب العالمية الثانية قاوم حزب فيت منه (ويضم بعض الوطنيين والشيوعين) عودة الحكم الفرنسي ، واقام جمهورية يرأسها (هوشي — منه) اتخذت هانوي عاصمة لها. اعترفت فرنسه سنة ١٩٤٦ بأنام وتونكين على انها دولة فيتنام الحرة ، ولكنها رفضت ادخال كوشين الصينية في الدولة الجديدة ، كما رفضت الاعتراف بها دولة ذات سيادة ، مما قاد الى حرب عصابات بدأت في كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٤٦ . واقام الفرنسيون ١٩٤٩ دولة فيتنام اخرى منافسة وعينوا (باوداي) — الامبراطور السابق لانام — حاكماً عليها . ولتعزيز مركز (باوداي) ابرموا معه ١٩٥٠ معاهدة منحت فيتنام الاستقلال داخل الاتحاد الفرنسي واعترفت على الفور الولايات المتحدة وبريطانيه بحكومته ، ولكن روسيه وحليفاتها رفضت الاعتراف بها واعترفت بحكومة (هوشي منه). واستمرت الحرب بين الجنود الفرنسيين والقوات الشيوعية حتى ١٩٥٤ حين تدهور موقف فرنسه بعد هزيمتها في (ديان بيان فو) حيث سقط ١٦,٢٠٠

جندي وضابط في الاسر واضطرت الى قبول وقف القتال الذي اقترحه مؤتمر جنيف ١٩٥٤ . وقسمت فيتنام الى قسمين : فيتنام الشمالية ، وفيتنام الجنوبية (يفصلهما على وجه التقريب خط عرض ١٧ درجة سن) . وتبلغ مساحة الفيتنام الشمالية ١٠٢و١٦٤ كم٢ ، وسكانها حوالي ١٥و٩١٨و٧٩١ نسمة ، وعاصمتها هانوي . ومساحة فيتنام الجنوبية ٢٣٠و١٧٠ كم٢ وقدّر عدد سكانها سنة ١٩٥٦ حوالي ٢٠٩و١٤،٠٥٢ نسمة،وعاصمتها سايجون . وبمقتضى اتفاقية جنيف اقترح اجراء انتخابات في ١٩٥٦ لتوحيد فيتنام ولكن لم يقدر لهـا النجـاح بسبب معارضة فيتنام الجنوبية . وابان استفتاء ١٩٥٥ عن رغبة الاهلين في فيتنـام الجنوبية في خلع (باوداي)، وتعيين (نجودنه ديم) رئيساً للدولة ، أعلن ديم في تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٥٥فيتنام جمهورية مستقلة يؤيدها النفوذ الاميركي الذي استبدل بالنفوذ الفرنسي.عاونته الولايات المتحدة اقتصادياً وعسكرياً لكي يقاوم التهديد الشيوعي،وعملت على حثه بادخال الاصلاحات الديمقراطية.انتخب نجودنه ديم مرة ثانية رئيساً للجمهورية . بيد ان كثيراً من الناخبين امتنعوا عن التصويت احتجاجاً على حكومته . وفي تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٦١ شملت البلاد حالة الطوارىء ، واغتيل عقب انقـلاب عسكري عام ١٩٦٣ ، والفت حكومة عسكرية موالية للولايات المتحدة برئاسة الجنرال (نجويين خانه) . تقلد رئاسة الجمهورية في آب (اغسطس) ١٩٦٤ ، ثم عزل .

***

وعندما نتجاوز الحقبة التاريخية القصيرة التي مرت على احداث الفيتنام بدءاً من هزيمة الافرنسيين في ديان بيان فو الى مؤتمر جنيف ثم دخول الولايات المتحدة الاميركية حرب الفيتنام الجنوبية بعد ان دفعت نصيبها في الحرب الفرنسية الفيتنامية ، نرى ان القوات الاميركية التي ابتدأت تقاتل في الجنوب مرت ولا تزال تمر بمراحل عديدة كلها كانت تكلل بالهزيمة تلو الهزيمة .

ففي المرحلة الاولى مارس الاميركيون سياسة استعمارية جديدة تحت حكم نجودنه ديم وساعدوا على اقامة ديكتاتورية عسكرية يساندها جيش مؤلف من

٢٠٠ ألف رجل . ثم مارسوا سياسة التهدئة سنة ١٩٥٩ (التي تعني عسكرياً بالنسبة للاميركان كسب جماهير السكان وتصفية جيوب المقـاومة الوطنية) ، وتصوروا ان بامكانهم كبح جماح الشعب الفيتنامي عن طريق الرخاء الاقتصادي، الا ان سياستهم هذه باءت بالفشل بفعل غليان الشعب ولجوئه للسلاح ، حيث اخذت قوات الانصار تجتاح جبال نام بو وتقوض اكثر من ثلثي سلطة ديم .

— في المرحلة الثانية بدأ الاميركيون حربهم الشاملة واخذت قواتهم تجتاح جبال نام بو، كما وان قواتهم تضاعفت تدريجياً بين (١٩٦١ — ١٩٦٤) واصبح التدخل الاميركي مكشوفاً عندما جهز جيشاً من المرتزقة قوامه ٥٠٠ ألف رجل. في هذه المرحلة حاول الاميركيون الاستفادة من تجارب الشعوب في حرب العصابات وارادوا تطبيق ما جرى في ماليزيا واليونان والفيليبين، وقد طبقوا استراتيجية (الحرب الخاصة) وزادوا من عدد القوات ورفعوا مستوى تسليحها الجوي والبحري والارضي ، الا ان كل هذه الاجراءات والاساليب ابقتهم عاجزين امام مقاومة شعب الفيتنام الجنوبي الذي اخذ بـدوره يطور نضـاله السياسي والعسكري .

في المرحلة الثالثة انتقل الاميركيون الى استراتيجية الحرب المحلية الواسعة مشركين طيرانهم التعبوي والاستراتيجي ومشاتهم واسطولهم السابع ، محاولين السيطرة على الجنوب. كما اخذوا يقصفون فيتنام الشمالية بغارات مكثفة ومتوالية. ان هذه المرحلة بالرغم من ضخـامة القوى المـادية والبشرية وكثرة العمليات الحربية والغارات التي اتصفت بها ظلت في محتواها اشبه بعملية انقاذ لان كثرة الجيوش التي القيت في ساحات القتال لم تكن الا بقصد تجنب الهزيمة .

التجربة الفيتنامية في حرب العصابات

تحتاج حرب الفيتنام الجنوبية لدراسة موسعة، الا ان عدم انتهائها وبالتالي عدم اكتمال التجارب المكتسبة التي تسجلها يومياً قوات الفيتكونغ (هذا الاسم الذي اطلقتـه الولايات المتحـدة خطأ متعمداً على قوات جيش التحرير

الفيتنامي) تضطرنا للاكتفاء بالدراسة المقتضبة التالية :

ان الحرب الفيتنامية في جوهرها حرب تحريرية شعبية تحمل في ثناياها الشكل المتطور لحرب العصابات التي تعتبر مرحلة من مراحل الحروب الشعبية ، وتستند على اعظم تجربتين في هذا المجال : السوفياتية والصينية . وقد أغناها ابداع شعب الفيتنام الذي تحمل ويتحمل اقسى ويلات الحرب ، مظهراً ان الانسان المؤمن بقضيته سيبقى دائماً هو العنصر الحاسم في الحرب مهما ارتفع مستوى التكنيك الحربي للمستعمر وانزل لارض المعركة احدث آلات الحرب والدمار من الاسلحة البحرية والجوية والارضية .

ومع ان التكاليف التقديرية لهذه الحرب بلغت ١٦ مليار دولار، ينتظر ان تصل الى ٢٥ مليار دولار في نهاية سنة ١٩٦٧ ، واصبح الجندي الفيتنامي الذي يسقط في ارض المعركة يكلف اميركا اكثر من ٣٠٠ ألف دولار، آخذين بعين الاعتبار المصاريف الضخمة التي تصرفها على قواتها البحرية والجوية والبرية سنوياً ، نرى ان اميركا لا تزال مستمرة في حربها العدوانية مع ان انفها سقط في التراب .

وهناك بعض الحقائق المذهلة التي تلقي ضوءاً على بشاعة هذه الحرب ووحشيتها، فمن مليون الطن من قنابل الطائرات التي انتجتها اميركا سنة ١٩٦٦ ، القي ٦٣٨ الف طن منها على فيتنام . وينوي رجال البنتاجون زيادتها الى مليون طن في سنة ١٩٦٧ .

اما عن الخسائر في الارواح فقد ورد في احصائية رسمية لسنة ١٩٦٦ ان عدد الفيتناميين القتلى بلغ بين سني ١٩٥٤و ١٩٦٥ ١٧٠ الفاً والجرحى ٨٠٠ الف وسجن اكثر من ٤٠٠ الف مواطن عدا المعتقلات والمعسكرات التي تضم نحو ٥ ملايين آخرين . وطبقاً لمصادر كاثوليكية اميركية ذكر فيها انه ذبح ٢٥٠ الفاً في فيتنام منذ ١٩٦١ ، غير ٢٥٠ الفاً آخرين تركوا بعاهات مستديمة . وفي خلال السنوات الـ ١١ الماضية كان متوسط عدد الفيتناميين الذين يقتلون يومياً هو ٤٢ ، وهذا الرقم يرتفع يومياً مع تصاعد الحرب .

ولاعطاء صورة مجسمة عن كميات وسائل الدمار التي تلقى على سكان

الفيتنام في القرى والمدن نورد ما ذكرته الاوساط الاميركية المختصة عن ما استهلك في شهر واحد وهو شباط (فبراير) سنة ١٩٦٦=٨٨ مليون طلقة مدفع رشاش مركب في الطائرات ، ١٠ ملايين طلقة مدفع هاون ، ٥ ملايين صاروخ ، عدا عن الطلقات العادية التي تحسب بمئات الملايين ، وقنابل الطائرات والمدفعية الثقيلة .

تنتشر قواعد الدمار الاميركية في فيتنام الجنوبية التي تقع سواحلها على بحر الصين، مشكلة قطعة من الارض مستطيلة الشكل تشبه السمكة في حدودها البحرية والبرية مع كمبوديه وتايلاند من موانىء حربية ومطارات وثكنات تعج بمئات الالوف من الجنود الاميركيين (راجع المخطط ١٧) . وقد بلغ عدد الضحايا من الجيش الاميركي حتى أوائل عام ١٩٦٧ اكثر من ٦١ ألف ، وفي هذا العام ازداد معدل عدد القتلى يومياً عن ٢٧٥ قتيلاً، وفي نهاية هذا العام قدر العسكريون الاميركيون بأنهم سيخسرون ما يقارب ١١٠ آلاف جندي بين قتيل وجريح لا يصلح للعمل .

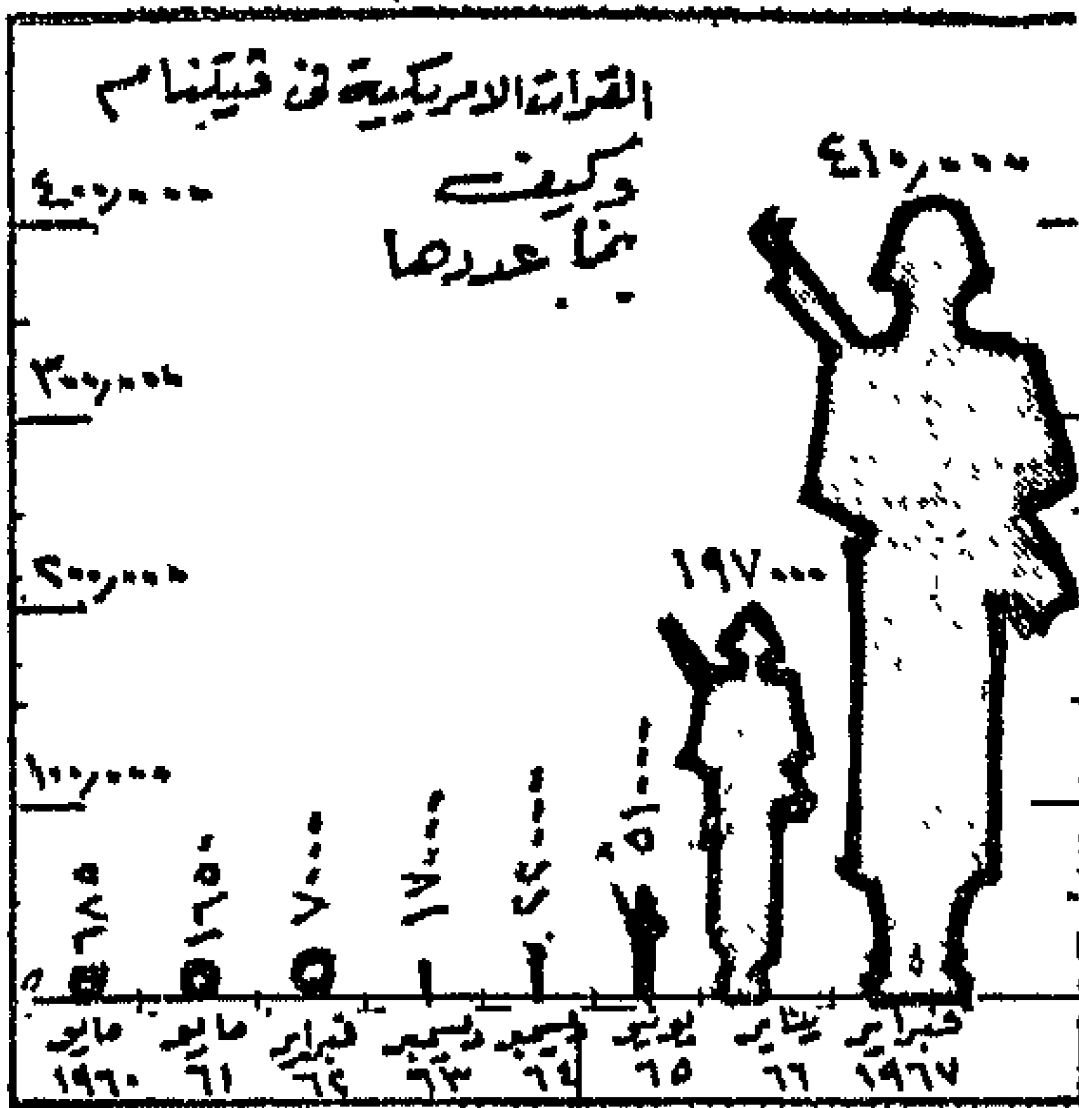
وقد تزايد عدد القوات الاميركية في سني الحرب متخذاً الارقام التالية : ارتفع من ٦٨٥ جندياً سنة ١٩٦٠ الى ٤١٠ آلاف في بداية عام ١٩٦٧ .

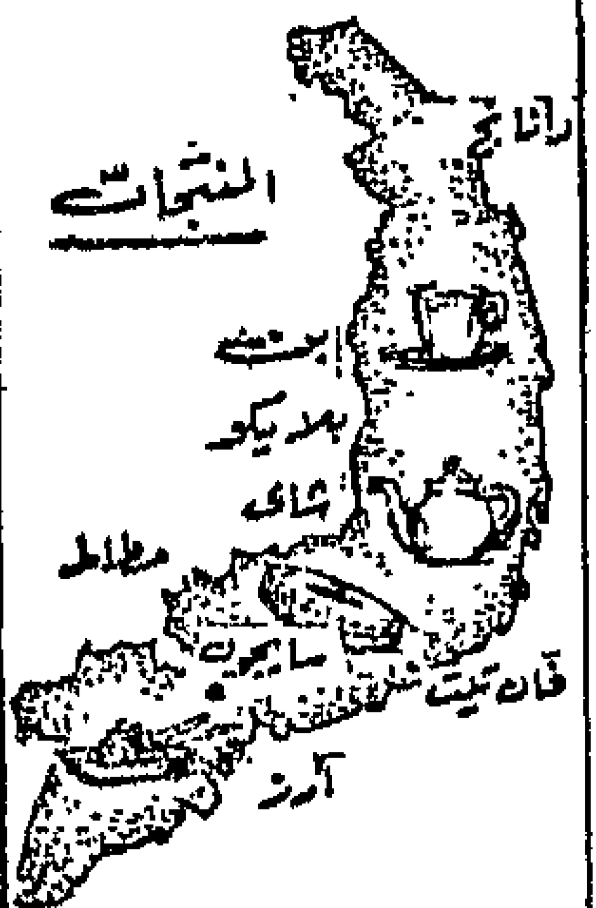
وعلى امتداد أراضي فيتنام الجنوبية كما يتضح في المخطط نرى الامتداد الكبير– على طول الجبهة التي يعمل فيها الثوار ، من هوى ودانانج في الشمال الى دلات ، وبين هوى وسايجون وخليج كام ران في الجنوب – القواعد الاميركية المنتشرة على طول هذه الجبهة وقواتها الضاربة التي تساندها القواعد الحربية المنتشرة حولها في أماكن مثل تايلاند ، أضف الى ذلك دور الطيران الاميركي الاستراتيجي ، فان بعض القاذفات تطير مسافة ٥٠ الف ميل من جزر غوام الى الفيتنام الجنوبية وتعود الى قواعدها بعد ان تضرب مراكز الفيتكونغ وتستغرق رحلتها ١٢ ساعة .

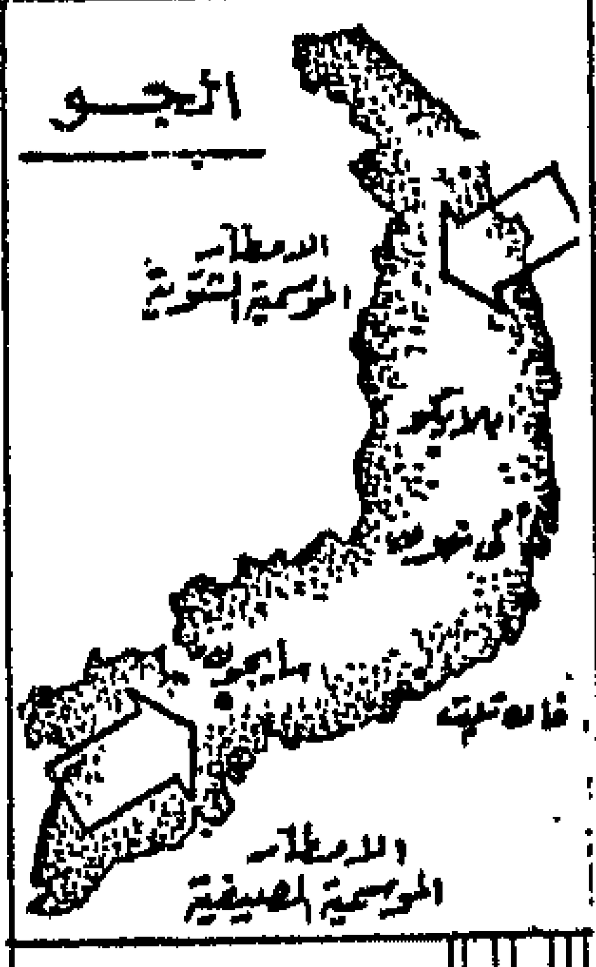
الفيتنام الجنوبية

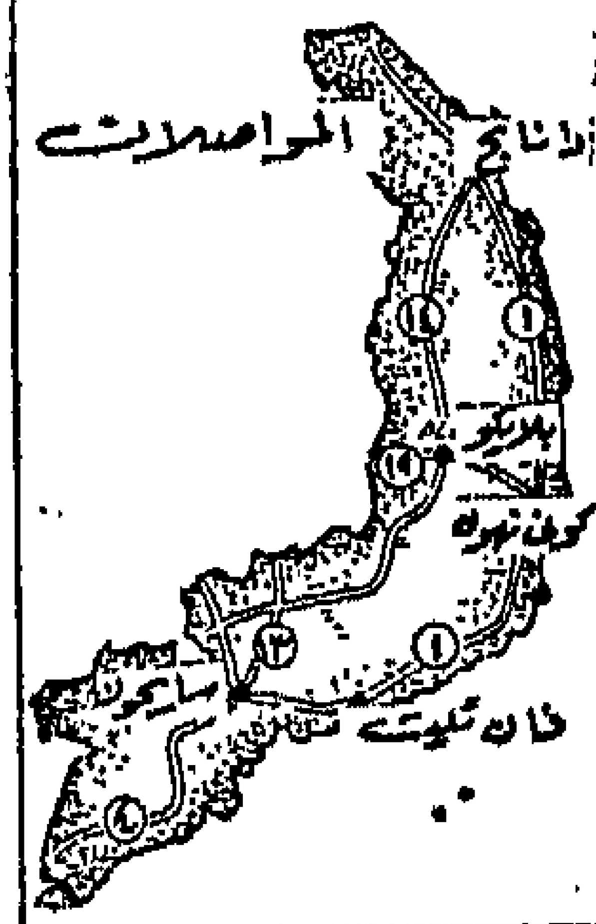
توزيع القواعد العسكرية الاميركية

البرية والبحرية والجوية









حدود الفيتنام الشمالية

تايلاند

كمبوديا

دانانغ

سايغون

بحر الصين الجنوبي

مناطق حربية ١ ٢ ٣ ٤ مراكز قيادة ٥

مقياس الرسم

المخطط ١٧

لقد تضاعفت الخسائر الحربية الاميركية ، وخاصة عندما وسّعت اميركه رقعة الحرب الى الفيتنام الشمالية وأخذت تقصف هانوي بالطائرات من القواعد المائية التكتيكية ، ومن القواعد الجوية الاستراتيجية . الا ان مناعة فيتنام الشمالية وقوة شبكات دفاعها الجوي لم تزعزع هذا البلد مما اضطر القيادة الاميركية توقيف غاراتها على اكثر المراكز الحربية في فيتنام الشمالية بعد ان ظهر لها، نتيجة لحسابات الخسائر في عملياتها الحربية ، ان الاغارة على هدف عسكري يسبب للقوات الاميركية خسارة تفوق الارباح التي تجنيها من تدمير مثل هذه الاهداف . ويمكن أخذ صورة عن فداحة الخسائر التي تلحق بالقوات الاميركية من بعض الفقرات التالية التي وردت في تقرير مجلس الشيوخ الاميركي :

ذكر التقرير ان الولايات المتحدة كانت حتى تشرين الاول (اكتوبر) من العام ١٩٦٦ تخسر من الطائرات القاذفات والمقاتلات كل شهر اكثر مما تنتج ، وان ازدياد الطلب على الطائرات للحرب الجوية ضد فيتنام الشمالية أضعف موارد وحدات السلاح الجوي الاميركي في انحاء العالم الأخرى. ان فرض قيود على قصف عدد من الاهداف العسكرية المهمة في فيتنام الشمالية زاد خسائر السلاح الجوي المنهك. ويقول التقرير : « ان تمتع أهداف عسكرية مهمة في فيتنام الشمالية بمناعة ضد الغارات الجوية مكّن الفيتناميين الشماليين من احاطة هذه الاهداف بشبكات دفاعية قوية مما زاد في الخسائر عندما رفع الحظر المفروض على قصف هذه الاهداف . وفي احصاء لوزارة الدفاع الاميركية تظهر اللوحة التالية :

«في تموز (يوليو) سنة ١٩٦٦ أسقط الفيتناميون ٤٦ طائرة مقاتلة وقاذفة اميركية مقابل ٢٨ طائرة حربية انتجتها المصانع الحربية في الولايات المتحدة ، وفي شهر آب (اغسطس) من نفس السنة كانت الخسائر ٣٩ طائرة والانتاج ٣٢، ولشهر ايلول (سبتمبر) كانت الخسائر ٤٩ طائرة والانتاج ٣٧ » .

ان قوة الفيتنام الشمالية الحربية تعود لقوة جيشها وتضحيات شعبها الذي

عبأ كل موارده الاقتصادية وطاقاته الاجتماعية من أجل الدفاع عن الوطن وتقديم كل الامكانات المادية والمعنوية للجزء الجنوبي من البلاد . ومن المعروف ان ٨٠ ٪ من الامدادات الحربية وخاصة الطائرات المقاتلة ، والأسلحة بمختلف انواعها تأتي من الاتحاد السوفياتي .

وقبل تغطية هذا الفصل لا بد من الاشارة الى المعاملة الوحشية التي يمارسها الغزاة الاميركيون لشعب الفيتنام وعدم تقيدهم بأبسط القوانين الانسانية للحرب التي تنص على عدم استعمال الغازات السامة وأسلحة الدمار الشامل والحرب الكيماوية ، وكمثال على ذلك انحطت العسكرية الاميركية للمستوى الذي جعلها تلقي ما قيمته ٢٥ مليون دولار من المواد الكيماوية السامة والمتلفة للمحاصيل على قطعة من الارض لا تزيد عن عشرة كيلومترات مربعة بغية ابادة كل ما عليها من معالم الحياة الانسانية والحيوانية والنباتية . وهناك الوان أخرى من الاسلحة الرهيبة التي توصل اليها المهندسون الاميركيون ، فهناك ما سُمي بالكلب الكسول وهي قنبلة ضخمة وزنها طنان مملوءة بالاسلاك الشائكة ، تنفجر على ارتفاع عشرة أمتار من الارض محدثة جروحاً جسمانية رهيبة ، كما تملأ الارض بأفخاخ الموت . وهناك قنبلة تسمى (عين الثعبان) تلقى من الطائرات ببطء وتوجه من قبل الطيار. وسلحت طائرات الهليوكوبتر بأكياس يحمل كل منها ٢٠٠ قنبلة يدوية يمكنها ان تفسد ٢٠٠٠ متر مربع من الارض تماماً . وهناك ايضاً (قرن الثور) وهو جهاز لتدمير المخابىء تحت الارض ويوجه في تفجيره بالراديو ، فضلاً عن قنابل النابالم الجديدة وتسمى (ترميت) التي طورت القنابل القديمة حتى اصبحت بالنسبة لها مثل القنابل الهيدروجينيه بالنسبة لقنبلة هيروشيما الذرية . ان هذا كله يهون الى جانب حرب الجراثيم التي تسمم الارض والتي تنفق اميركا ١٥٠ مليون دولار سنوياً على ابحاثها ، والهدف منها – سنة ١٩٦٦ مثلاً – هو تسميم ٨٥٠ ألف هكتار تماماً واتلاف محاصيلها جميعاً عن طريق رشها بالسموم التي تتلف اي مزروعات على بعد ٢٠ كيلومتراً منها اذا ما حملت الريح آثار هذا الرش .

العمل السياسي والتنظيم والتسليح

انطلاقاً من المفهوم الذي يعتبر الشعب بأنه اشبه بالبحر والجيش هو السمك، فقد بقي الجيش الفيتنامي الشعبي متصلاً اتصالاً وثيقاً بالشعب، وكان العمل السياسي الهادف الى خلق نمط من التوعية يتفق وظروف مراحل الحرب، هو من النشاطات التي أولتها القيادة المقام الاول . ان تدعيم هذا الاتصال انطلق من النشاطات التالية :

١ – شن حملات مستمرة لتثقيف الجماهير وتوعيتها .

٢ – القيام بحملات منظمة لمساعدة الفلاحين اقتصادياً في عملهم الزراعي ضمن ايام معينة من الاسبوع .

وفي داخل صفوف الجيش :

١ – اقامة علاقات رفاقية بين الضباط والجنود .

٢ – اعتبار مبدأ الاخوة والمساواة السياسية هو القاعدة الاساسية للعلاقة بين العسكريين بمختلف رتبهم، وهذا لا يتعارض مع اختلاف المسؤوليات التي يتحملها كل فرد منهم وفقاً لمرتبته في الوحدات .

٣ – خلق روح المحبة بين الضباط انفسهم، وبينهم وبين الجنود بحيث تصبح القيادة ليست وسيلة لقيادة الجندي الى المعركة ، بل اداة يستخدمها القائد للاهتمام برغبات وآراء الجنود للاستفادة منها لاقصى حدود الاستفادة .

٤ – تطبيق مبدأ الديمقراطية الداخلية بشكل صحيح مع المحافظة على الانضباط والحزم .

٥ – تطبيق مبدأ المركزية الشهيرة في القيادة والأوامر ضمن الحدود التي لا

تتعارض مع اعطاء الحق لقادة الوحدات للتصرف وحدهم في بعض الحالات اذا وجدت الظروف الملائمة .

٦ – ممارسة الديمقراطية السياسية عن طريق عقد الاجتماعات الدورية على الشعب لمناقشة جميع القضايا السياسية والحربية .

٧ – ممارسة الديمقراطية العسكرية عن طريق مناقشة الخطة قبل التدريب او القتال الفعلي، وقبول الاقتراحات العملية والافكار السليمة سواء قدمها الجندي او الضابط ، ثم تعديل الخطة اذا سمحت ظروف المعركة .

٨ – ممارسة الديمقراطية الاقتصادية ، حيث يشارك الجنود والضباط في ادارة الشؤون المالية وتحديد الصرفيات وتعديلها وفقاً لامكانات البلد الاقتصادية والموارد المالية المتوافرة .

أما تنظيم الجيش في فيتنام الجنوبية فقد اتبع الاسلوب نفسه الذي سار عليه هوشي منه في الشمال . وفي بادىء الأمر قاتلت قوات الفيتكونغ على مستوى الوحدات الصغيرة (الفصيل والسرية) . أما الآن فهي تقاتل على مستوى الكتائب والألوية والفرق ،وقد جرى تنسيق القوات العسكرية الرئيسية لحرب الفيتنام مما أعطى لها قابلية الحركة والانتشار وشكل قوات العدو في كل مكان وعلى نطاق واسع شمل البلاد من شرقها الى غربها ومن شمالها الى جنوبها ، ونعني بذلك القوات النظامية التي اكتمل تسليحها وتدريبها لمستوى الجيش النظامي وأصبحت تقوم بأعمال شن الهجمات المدبرة على مراكز العدو ، ثم وحدات الانصار التي تعمل في مؤخرات العدو وخاصة في المدن المكتظة بالسكان حيث تشن هجمات مركزة على المطارات القريبة والثكنات والمراكز العسكرية ، وأخيراً القوات الشعبية (المليشيا) التي تشكلها الفئات الواسعة من جماهير الشعب التي تتوزع في كل بقعة من ارض الوطن .

اما تسليح قوات الفيتكونغ فقد ارتفع الى مستوى لا يقل من حيث الكمية

والنوعية والفاعلية عن تسليح ارقى الجيوش العالميـة . غير ان ذلك لم يمنع هذا الجيش من ابقاء السلاح الكلاسيكي داخل ساحة المعركة مستفيداً من كل الامكانات المادية المتوافرة بغية تقليل اعباء النقليات وما تمتصه من جهد مادي وبشري .

ونكتفي بذكر احدث سلاح مؤثر وعمـلي استعملته قوات الفيتكونـغ في معاركها الاخيرة وهي الصاروخ الروسي الموجه من الارض للارض عيار ١٤٠ ملم وزن ٩٠ رطلاً انجليزياً ويطلق بدقة من سبطانة معدنية خفيفة الوزن وسهلة النقل ويبلغ مداه عشرة آلاف ياردة .

اما المدفعية المثالية لقوات الفيتكونغ فهي مدافع المورتر (الهاون) بمختلف عياراتها بدءاً من ٦٠ — ١٢٠ ملم، وقد استعملت بعض الوحدات راجمات الغام شعبية خفيفة الوزن وسهلة التنقل ، عندما هاجمت المراكز والمطارات الاميركية ودمرتها وكان تأثيرها لا يقل عن تأثير المدفعية الثقيلة .

التحكيم والهندسة التخريبية : ويتقن رجال الفيتكونغ صناعة الالغـام المرتجلة والمصائد اتقاناً بلغ حد الاعجاب حتى من قادة قطعات الهندسة العسكرية الاميركية وبات الموت ينتظر الجندي الاميركي في كل مكان بسبب الالغام والمصائد التي يزرعها المحاربون الفيتناميون بصورة متقنة ودقيقة وخاصة في الاماكن والاشياء التي يرتادها الانسان ويستعملها تلقائياً . اما التحكيم واستعمال الارض وخاصـة حفر الخنادق القنفذية واعمال التمويه فلم يسبق في تاريخ الحرب القديم والحديث لأي جيش نظامي ان اتقن هذا الفن كما اتقنه الفيتناميون . ان مبدأ (احفر او تموت) والاستفادة من الخنادق الايجابية لضرب العدو بصورة مفاجئة من اماكن محصنة ومموهة او الخنادق المستورة السلبية لاستعمالهـا كملاجيء ضد الغارات الجوية كل ذلك يساعد على تخفيض عدد الضحايا واعطـاء قوة مضاعفـة لهؤلاء الرجال الذين اتقنوا فن الحرب اتقاناً يستحق الاعجاب .

الجبهة الوطنية لجنوب الفيتنام وبرنامجها : ان جوهر حرب التحرير

الفيتنامية وطبيعتها وظروفها الموضوعية فرضت عليها تشكيل جبهة وطنية تضم اوسع فئات الجماهير الشعبية من عمال وفلاحين وعسكريين ومثقفين وطلاب وطنيين وبعض فئات من البرجوازية الوطنية التي تضررت مصالحها الاقتصادية من جراء الاحتلال الاميركي وما سببته وتسببه الحرب من الخسائر المادية والروحية. ان دراسة برنامج الجبهة الوطنية الذي سنورده بايجاز يعطي لنا صورة واضحة عن طبيعة القوى المحركة للحرب والتي تتكون من الحزب الشيوعي والاحزاب الديمقراطية الوطنية والدينية. لقد ارتبطت اهداف هذه القوى وتلاقت خطوط برامجها العامة لتكون خطة عمل موحد .

يدعو برنامج الجبهة الوطنية لجنوب الفيتنام في نقاطه الست الى : .

١) اسقاط الحكم الامبريالي الاميركي الاستعماري المقنع وسلطة نجودنه ديم الدكتاتور ، واقامة حكومة اتحاد وطني ديمقراطي .

٢) اقامة حكم ديمقراطي متحرر عن طريق :

– الخلاص من الدستور الحالي الممثل للسلطات الدكتاتورية .

– تحقيق الحريات الاساسية .

– اعلان العفو العام عن كل المعتقلين السياسيين .

– منع الاعتقالات غير القانونية والتعذيب .

٣) بناء اقتصاد مستقل ومتحرر وتحسين ظروف الشعب المعيشية عن طريق :

– القضاء على الاحتكارات الاميركية .

– دعم البرجوازية الوطنية في اعادة بناء الحرف والصناعات وتطويرها وحماية المصنوعات الوطنية .

– احياء الزراعة عن طريق اشاعة المكننة في الزراعة وتسميك التربة وتربية المواشي .

– نشر نظام ضرائبي واعٍ .

– انجاز قانون العمل .

– وضع تنظيم للرفاه الاجتماعي .

– مساعدة المطرودين وارجاعهم لاوطانهم .

٤) تخفيض اجرة الارض وانجاز الاصلاح الزراعي بقصد تزويد الفلاحين بالارض عن طريق :

– تخفيض ايجارات الارض .

– الغاء مناطق الوفرة .

– مصادرة اراضي الاميركيين وصنائعهم .

٥) تطوير الثقافة والتعليم بأسلوب ديمقراطي وطني عن طريق :

– ازالة كل انواع الثقافة والتعليم التي يسيطر عليها الاجنبي .

– تصفية الامية وتشجيع العلم والتقنية والادب والفن الوطني .

– الاهتمام بالصحة العامة وتطوير الرياضة والتربية البدنية .

٦) ايجاد جيش وطني مكرس للدفاع عن الوطن والشعب عن طريق :

– ازالة نظام المستشارين العسكريين الاميركيين .

– مكافأة الضباط والجنود الذين شاركوا في الكفاح القومي .

– ازالة كل القواعد العسكرية الاجنبية الموجودة على تراب فيتنام .

الاهداف الاستراتيجية للحرب الفيتنامية

عندما اتسعت الحرب الفيتنامية وانتقلت شعلتها الى فيتنام الشمالية على النطاق الجوي اصبحت قوى العدوان الاميركي لا تهدف فقط إلى اذلال او ابادة شعب الفيتنام الجنوبي ، بل تهدف ايضاً الى ابقاء سيطرتها على فيتنام الشمالية والجنوبية معاً ولتحافظ على هيبتها وسطوتها امام شعوب جنوب شرقي آسية بصورة خاصة، وامام الشعوب المستضعفة في العالم بصورة عامة . لاجل ذلك يتحدث الاميركيون عن حرب قد تطول عشرة اعوام او عشرين عاماً ويعملون باستمرار على زيادة عدد الجنود وهم في الوقت نفسه يصرحون بأنهم لا ينوون حل مشكلة الفيتنام عسكرياً، غير ان اهداف (ويستمور لاند) الخمسة فضحتهم وفضحت زيف ما يتظاهرون به امام شعوب العالم من انهم دولة تعمل من اجل السلم والمحافظة على حقوق الشعوب . ونظراً لأهمية هذه الاهداف التي هي في الحقيقة مخطط عام تظهر فيه الملامح الرئيسية لاستراتيجية الحرب الفيتنامية من وجهة نظر المعتدين الاميركيين نوجزها فيما يلي :

الهدف الاول : تصفية قوات جيش التحرير الفيتنامي وابادتها . لم يحرز المستعمرون الاميركيون اي تقدم ملموس لتحقيق هذا الهدف ، فقد اعترفوا رسمياً انهم لم يتمكنوا من ابادة كتيبة بصورة جماعية بالرغم من امكاناتهم الحربية وقطعاتهم العسكرية التي فرضت عليها ظروف القتال في الفيتنام التشتت وتوزيع القوى، ومثل هذا الوضع القتالي اجبرهم على متابعة اهداف ثانوية وضياع الجهود والوقت في قتال الوحدات التي يتقنها رجال الفيتكونغ بطريقة ارقى من الوحدات الاميركية .

الهدف الثاني : تطبيق مبدأ التهدئة او بمعنى آخر كسب جماهير السكان الى جانب الغزاة الاميركيين وعملائهم وتحطيم جيوش المقاومة الوطنية . وهذا المبدأ ثبت فشله عسكرياً وسياسياً .

الهدف الثالث : تقوية السلطة العميلة ودعم جيشها وزيادة قدرته القتالية

كمية وكيفية. لقد تمكن الاميركيون من رفع عدد افراد الجيش الى نصف مليون غير ان هذا الوضع اثبت لهم انه في الوقت الذي يزداد فيه عدد جنودهم وجنود السلطة المحلية تنخفض الكفاءة الهجومية والدفاعية لقواتهم .

الهدف الرابع : تشتيت قوات الفيتكونغ ومحاصرتها تمهيداً لابادتها عن طريق غزل جنوب الفيتنام براًوبحراً بمدنه الاربع عشرة ومواقعه الاستراتيجية الهامة . وهذا الهدف لم يتحقق .

الهدف الخامس : توسيع العمليات الحربية الجوية للطيران الاستراتيجي والتعبوي، وزيادة عمليات قصف الفيتنام الشمالية بالطائرات لاجبار حكومتها على الاستسلام . لقد اثبتت هذه العمليات فشلها وزادت من صلابة الشعب الفيتنامي، وتجلى ذلك في تصريح الرئيس هوشي منه بتاريخ ١٧/٧/١٩٦٦ حيث يقول « ان مدنا مثل هانوي وهايفونغ يمكن ان تقوض ولكننا سنقاتل، وسنشيد من جديد بلادنا . وبهذا التصميم وهذه الروح المعنوية وهذا الايمان الوطيد بالنصر ، لن يبلغ الاميركيون مما بيتوا شيئاً. ارادوا تعطيل حياتنا الاقتصادية، وقد شاهدتم بأنفسكم ، ان الحياة متواصلة هنا . الجديد فيها هو ان الفلاح الذي يحرث حقله قد هيء ايضاً للنضال ضد العدو » .

ان استراتيجية وتكنيك الحرب الشعبية التي مارستها وتمارسها قوات الفيتكونغ زادت من مشاكل وتعقيدات الحرب بالنسبة للقوات الاميركية وخاصة في الاوضاع التالية :

١ — لقد اجبرتهم استراتيجية وتكتيك الفيتكونغ على تشتيت قواتهم وابقائها في وضع لا يمكن القيادة الاميركية بأي حال من الاحوال من تركيزها، او بمعنى آخر ممارسة مبدأ التحشد والهجوم على نطاق واسع للحصول على معركة حاسمة .

٢ — فقدوا مبدأ المبادرة ووقعوا في شراك معقدة لم تمكنهم من اعتماد اسلوب القتال المناسب من حيث الزمان والمكان، واحتاروا بين تطبيق اسلوب الاستعمار

الجديد وبين ارسال جيش من الغزاة والاستمرار على زيادته .

٣ – وفي المستوى التكتيكي لم تتمكن الوحدات الاميركية للآن ممارسة القتال بصورة فعالة على مسرح عمليات استوائي وفي ظروف حرب العصابات التي لا تنطبق مبادؤها تماماً مع المبادىء التكتيكية التي تلقاها الجنود والضباط الاميركيون في معسكراتهم ومعاهدهم العسكرية وعلى اراض اميركية غير مشابهة لارض الفيتنام .

٤ – وعلاوة على المشاكل العسكرية والاوضاع الذاتية والمادية التي تواجهها القوات الاميركية ، تأتي اهم مشكلة وهي الروح المعنوية، وما يعانيه افراد الجيش الاميركي من سوء الوضع المعنوي والنفسي. فمعظمهم لا يعرف لماذا يحارب ولماذا جيء به الى الفيتنام، اضف الى ذلك عدم ايمانهم بالهدف الذي يحاربون من اجله وافتقادهم للمثل العليا التي يقاتل الفرد من اجل الحفاظ عليها عندما تكون الحرب عادلة بالنسبة له ولأبناء وطنه .

الاسس الاستراتيجية والتكتيكية لقتال العصابات في فيتنام الجنوبية

ان حرب الفيتنام الجنوبية ان هي الا استمراراً لحرب الفيتنام الشمالية في اطارها السياسي، مع اختلاف جزئي طرأ على الظروف الموضوعية والحسية وبصورة خاصة استقلال الفيتنام الشمالية وتحولها الى بلد اشتراكي يدعم قوات الفيتكونغ التي تقاتل في جنوب البلاد دعماً مباشراً وكلياً في الرجال والسلاح والعتاد . ويضاف الى ذلك معونات الدول الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية .

ينطلق الفيتناميون في استراتيجيتهم من المفاهيم التالية :

١) تكوين جيش تحرير شعبي عناصره الاساسية من الفلاحين باعتبار انهم يشكلون القوة الاساسية في البلد الضعيف التطور اقتصادياً كما هو الحال في معظم بلدان آسيه وافريقيه واميركه اللاتينية .

٢) ان تشكيل جيش نظامي حديث في مثل هذه البلدان هو من الامور شبه المستحيلة ،لذلك يقتضي تشكيل مجموعات من المقاتلين تزود بأسلحة عادية وتدرب تدريباً سريعاً على حرب العصابات .

٣) نتيجة لضعف امكانات هذه الشعوب امام قوات المستعمرين العصرية والمزودة بأحدث آلات الحرب تتبنى القوات الشعبية استراتيجية مقاومة طويلة المدى للمحافظة على مناعة المقاتلين كما يجري حالياً، وفي الوقت نفسه تستمر هذه القوات في تحطيم قوات العدو تدريجياً .

٤) الاستفادة من المعارك الصغيرة وتحويلها الى معارك حاسمة، وبذلك تتمكن القوات الشعبية من تغيير ميزان القوى تدريجياً لصالحها .

٥) تبني إستراتيجية المراحل الثلاث التي استغلها ماوتسي تونج وهي مرحلة المناوشات ومرحلة التوازن ثم مرحلة الهجوم المضاد . ان الاحداث الاخيرة تبرهن ان الفيتكونغ تخطوا المرحلة الاولى وهم الآن في نهاية المرحلة الثانية اي مرحلة توازن القوى على الرغم من قلة امكاناتهم الحربيـــة من الوجهة الماديـــة وضخامة امكانات القوات الاميركية المعادية (راجع المخطط السابق) ويقاتل الفيتناميون بجيشهم الشعبي حالياً على مستوى الكتائب والالوية والفرق .

٦) استغلال حرب طويلة الامد كوسيلة فعالة يمكن الاستفادة منها لأبعد الحدود في المناورات السياسية والدعائية في الخارج وكسب عطف الشعوب، وهذا الوضع هو واقع فعلاً لصالح شعب الفيتنام .

٧) تطبيق مبدأ الحفاظ على زيادة عدد قوات الفيتكونغ واعتباره هو المبدأ الرئيسي .

٨) اجراء عمليات الهجوم والاغارات مضمونة النجاح مئة بالمئة وتجنب عمليات المغامرة الطائشة . ان الشجاعة الواعية والتخطيط المسبق والمدروس بدقة لأرض المعركة تشكل عناصر اساسية لضمان النصر . والتقيد الصحيح

بهـذه المبادىء جعل قوات الفيتكونغ تقوم بمئات الاغارات على المطارات والمراكز العسكرية، وقد اثبتت جداول الرصد الحربي للمعتدين الاميركيين بأن عمليات الفيتكونغ كانت ناجحة ، وبين كل مئة عملية اغارة او هجوم يكون معدل النجاح ٨٣ — ٩٠ ٪ لصالح الفيتكونغ .

اتبع رجال الفيتكونغ اسلوب قتال العصابات متقنين ومطورين اهم الاسس التعبوية لهذا النوع من القتال، وبصورة خاصة الاسس السوفياتية والصينية مع التكييف بالظروف الحسية والموضوعية لبلادهم . ان اعمال قوات الفيتكونغ كانت ولا تزال مرتكزاً للتغلب على التفوق المادي للعدو الذي يضع في ارض المعركة ارقى ما توصل اليه فن التكتيك العسكري في الوقت الذي بدأت فيه قوات الفيتكونغ تقاتل في الجبـال وفي الساحل وعلى السهل بالاسلحة العادية وحتى بدون اسلحة في بعض الاحوال حيث تمكن عدد كبير من وحدات الانصار تجهيز انفسهم من العدو .

ان قتال قوات الفيتكونغ البطولي برهن من الناحية العسكرية : ان جيشاً غـير مجهز كما يجب ويحـارب من اجـل قضية عادلة هو قـادر بالاستراتيجية والتكتيك المناسبين لحرب الانصار ان يقهر الجيش الحديث ، واكبر برهان لهذا القول هو ما يجري في ساحات القتال في الفيتنام الجنوبية بين الجيش الاميركي المزود بأحدث الاسلحة وقد بلغ تعداده في مطلع عام ١٩٦٧ اكثر من ٤٠٠ ألف مقابل ٢٥٠ ألف مقاتل فيتنامي معظمهم غير نظامي من قوات الفيتكونغ التي يحتل الفلاح الفيتنامي نصف العاري ،والمزود بأسلحة خفيفة عادية ، القسم الاكبر من هذه القوات .

وتحاول القوات الاميركية في الفيتنام ايقاف نشاط قوات الفيتكونغ بشنها هجمات منظمة وبقوات ضخمة لتقضي على وحداتها ولتحطم القواعـد المـادية والسياسية وتتلف الممتلكات والزرع. ولكن كل عملياتهم تكلل بالفشل الذريـع لان اسلوب قتال الفيتكونغ من الناحية الاستراتيجية يرهق القوات الاميركية

متدنية المعنويات، ويصيبها بخسائر كبيرة. ان بطولة قوات الفيتكونغ وتقيدها بمبادىء حرب العصابات التالية هي من الاسباب التي تكفل لها النجاح :

١ ـ تجنب العدو حين يكون قوياً والهجوم عليه حين يضعف .

٢ ـ التفرق الفوري ثم التجمع السريع لابادة العدو .

٣ ـ الاستعداد للحرب في اي مكان بحيث انه حيثما يذهب العدو يجد جيشاً من المقاتلين .

أوجه الشبه بين ما جرى في شمال الفيتنام وما يجري في جنوبها

ان مؤلف هوشي منه الذي يجمع فيه فن حرب العصابات، يعطي صورة واضحة عن المراحل التي مرت بها حرب الفيتنام الشمالية ، وكأن ما يجري الآن في جنوب البلاد هو صورة معدلة لما جرى في الشمال وخاصة من الناحية المرحلية واسلوب العمل، مع تبديل جزئي فرضته الظروف الدولية وطبيعة القوات الفرنسية التي انهزمت قبل بضع سنوات في الفيتنام الشمالية . لذلك نوجز فيما يلي أهم ما ورد في المؤلف المذكور :

ـ قاتل الفيتناميون الشماليون بوحدات صغيرة في بادىء الامر بقيادة هوشي منه ثم نمت هذه الوحدات وتحولت الى وحدات كبيرة على مستوى الكتائب .

ـ كانت الوحدات الصغيرة تقاتل في اماكن متفرقة وتهاجم مراكز صغيرة ثم اصبحت تركـّز هجماتها على نقاط رئيسية ومراكز استراتيجية .

ـ تحولت حرب العصابات في عامها الثاني الى نوع جديد من الحرب اطلق علية اسم «الحرب النظامية المتحركة» ويعتمد هذا النوع من الحرب على معارك حقيقية مدروسة جيدا بطريقة الجيش النظامي، الا ان عمليات المعارك تجري

بالاعتماد على تكتيك حرب العصابات . وهذا الاسلوب يعني زج قوات مركزة من الجيش النظامي على جبهة واسعة جداً ، ومهاجمة العدو حين تكون مواقعه مكشوفة، والتقدم بسرعة وعمق، والانسحاب بسهولة وخفية .ولا يمكن لهذا الاسلوب ان ينجح الا بالاعتماد على الانتقال السريع من مكان الى آخر والمبادرة والسرعة في اتخاذ القرارات الحاسمة والمناسبة وفقاً لكل تبديل طارىء في مجرى العمليات الحربية .

– بعد انتهاء مرحلة حرب المقاومة يبدأ الدور الاستراتيجي للحرب النظامية المتحركة التي تهدف ضرب حشودات العدو على نطاق اوسع، بينما تستمر وحدات الانصار في قيامها بعمليات تهدف الى انهاك العدو وتدمير احتياطه وقواعده الخلفية . ومعنى ذلك ان هذه المرحلة تجمع اسلوب الجيش النظامي واسلوب الانصار وذلك للتمكن من صد هجمات العدو الرئيسية وحماية القواعد والمناطق الخلفية .

– عندما كانت الحرب النظامية تنمو وتتضاعف سرعتها في تحطيم العدو كانت حرب العصابات جنباً الى جنب معها تتسع وتمتد مستفيدة من الظروف الجديدة التي هيأتها الحرب النظامية المتحركة واصبح بالامكان المحافظة على التوازن بين هذين الاسلوبين في الحرب . ان الربط الديلكتيكي بينهما هو من الاهمية بمكان. ان مثل هذا الوضع لا يزال موضع دراسة وجدل بين العسكريين والسياسيين العرب حول امكانية تطبيقه في حرب التحرير الفلسطينية . ان حربنا مع اسرائيل ، كما يعلم ابسط الناس وكما يخطط غريزياً حتى رجل الشارع بالنسبة للقضية الفلسطينية، تحتاج الى دراسة تخطيطية واعية تستند على الوقائع الحسية والظروف الموضوعية، آخذين بعين الاعتبار ظروف الدول العربية والوضع الدولي العام . غير ان المغالاة في هذه الظروف والانتظار حتى تأتي الفرص المثالية المناسبة هو من الامور غير المنطقية والتي لا تتفق والمفهوم الثوري الصحيح لحرب التحرير الفلسطينية المقبلة . صحيح ان حرب التحرير تحتاج الى حد معين من الظروف المارة الذكر الا ان الشعب الثائر قادر على خلق الظروف المناسبة

وتكملة النواقص اللازمة لمعركة التحرير ، ولقد صدق جيفارا عندما قال : لا ينبغي الانتظار دوماً الى ان تجتمع كافة الظروف للقيام بالثورة اذ يمكن للبؤرة الثورية ان تفجر هذه الظروف .

– وفي المرحلة الاخيرة الثالثة لحرب الفيتنام الشمالية قفزت الحرب النظامية المتحركة الى الامام، اما حرب العصابات فبالرغم من اتساع عملياتها فانها اصبحت في المرتبة الثانية من الاهمية . وفي ظروف حرب التحرير الفلسطينية المرتقبة قد تبدأ الحرب الفدائية المتطورة كمقدمة للحرب النظامية وهذا هو المرجح ويتوقف تخطي التوازن بين الاسلوبين، النظامي وغير النظامي (حرب العصابات) على جدية الدول العربية في خوض معركة التحرير وزجها بالقوات النظامية في ارض المعركة .

ان ظروفنا من الناحية المرحلية في حرب التحرير الفلسطينية تختلف عن ظروف الفيتنام باعتبار ان قوات الانصار الفدائيين مهما نمت ستبقى كماً ونوعاً دون القوات النظامية ، حيث ان تعداد الجيوش العربية ومستواها في التسليح والتدريب يعتبر جيداً ، الامر الذي سيوفر مرحلتين من مراحل حرب التحرير. ومن هنا نستنتج بان حرب التحرير الفلسطينية ستتخذ طابع الحرب الصاعقة السريعة التي لا يحتمل امتدادها اكثر من شهر او شهرين . مقابل هذا الوضع اعتمدت حرب الفيتنام الشمالية ووليدتها الجنوبية على استراتيجية طويلة المدى تقوم على التوازن بين حرب العصابات والحرب النظامية المتحركة التي حققت النصر في فيتنام على الفرنسيين .

منظمة التحرير الفلسطينية
مركز الابحاث
٦٠٦ شارع السادات - بيروت

أسس في شباط (فبراير) ١٩٦٥

صدر عنه حتى نهاية شهر حزيران ١٩٦٧ : —

(١) سلسلة « دراسات فلسطينية » :

	الثمن
رقم ١ — « الاستعمار الصهيوني في فلسطين » . الدكتور فايز صايغ ، بالعربية ، والانجليزية ، والفرنسية .	١ ل.ل
رقم ٢ — « الهدنة في القانون الدولي » . الدكتور عابدين جبارة ، بالانجليزية .	٢ ل.ل
رقم ٣ — « المطامع الصهيونية التوسعية » . الاستاذ عبد الوهاب كيالي ، بالعربية .	٢ ل.ل
رقم ٤ — « الكيبوتز : المزارع الجماعية في اسرائيل » . الاستاذ عبد الوهاب كيالي ، بالعربية .	٢ ل.ل
رقم ٥ — « الجذور الارهابية لحزب حيروت الاسرائيلي » . الاستاذ بسام أبو غزالة ، بالعربية .	٢ ل.ل
رقم ٦ — « المقاطعة العربية لاسرائيل » . الاستاذ مروان اسكندر ، بالانجليزية .	٢ ل.ل
رقم ٧ — « الماباي : الحزب الحاكم في اسرائيل » . الاستاذ ابراهيم العابد ، بالعربية .	٢ ل.ل
رقم ٨ — « نظرة في احزاب اسرائيل » . الدكتور أسعد رزوق ، بالعربية .	٢ ل.ل

	الثمن
رقم ٩ — « المستدروت » . الانسة ليلى سليم القاضي ، بالعربية .	٢ ل.ل
رقم ١٠ — « العنف والسلام : دراسة في الاستراتيجية الصهيونية » . الاستاذ ابراهيم العابد ، بالعربية .	٢ ل.ل
رقم ١١ — « التسلل الاسرائيلي في آسيه » . الاستاذ اسعد عبد الرحمن ، بالعربية .	٢ ل.ل
رقم ١٢ — « ميزان القوى العسكرية بين الدول العربية واسرائيل » . الدكتور انيس صايغ ، بالعربية .	٢ ل.ل
رقم ١٣ — « الدبلوماسية الصهيونية » . الدكتور فايز صايغ ، بالعربية .	٢ ل.ل
رقم ١٤ — « العرب في اسرائيل » (١) . الاستاذ صبري جريس ، بالعربية .	٢ ل.ل
رقم ١٥ — « المنظمة الصهيونية العالمية » . الاستاذ اسعد عبد الرحمن ، بالعربية .	٢ ل.ل

(٢) سلسلة « كتب فلسطينية » :

رقم ١ — « الاقتصاد الاسرائيلي » . الدكتور يوسف صايغ ، بالعربية .	٥ ل.ل
رقم ٢ — « نحن والفاتيكان واسرائيل » . الاستاذ انيس القاسم ، بالعربية .	٤ ل.ل
رقم ٣ — « تحرير — لا مفاوضة » . الاستاذ أحمد الشقيري ، بالانجليزية .	٥ ل.ل

الثمن

رقم ٤ — « مؤتمرات القمة العربية وقضية فلسطين » .
الانسة ليلى سليم القاضي ، بالانجليزية . ٦ ل.ل

رقم ٥ — « الاعداد الثوري لمعركة التحرير » .
الاستاذ أنيس القاسم ، بالعربية . ٦ ل.ل

رقم ٦ — « المقاومة العربية في فلسطين » .
الاستاذ ناجي علوش ، بالعربية . ٤ ل.ل

(٣) سلسلة « أبحاث فلسطينية » :

رقم ١ — « حفنة من ضبـــاب » .
الدكتور فايز صايغ ، بالعربية . —

رقم ٢ — « الصهيونية والعنصرية » .
الدكتور حسن صعب ، بالانجليزية . —

رقم ٣ — « فلسطين والقومية العربية » .
الدكتور أنيس صايغ ، بالعربية . ١ ل.ل

(٤) سلسلة « حقائق وأرقام » : (للتوزيـــع المجاني)

رقم ١ — « هل تعلم ؟ عشرون حقيقة أساسية عن القضية الفلسطينية » .
الدكتور فايز صايغ ، بالعربية ، والانجليزية ، والفرنسية ، والاسبانية ، والالمانية ، والاسبرانتو .

رقم ٢ — «الأمم المتحدة والقضية الفلسطينية من ١٩٤٧ حتى ١٩٦٥ » .
الدكتور فايز صايغ ، بالانجليزية ، والفرنسية ، والاسبانية .

رقم ٣ — « التمييز ضد العرب في اسرائيل في حقل التعليم » .
الدكتور فايز صايغ ، بالانجليزية .

رقم ٤ — « اسرائيل في الميدان الدولي » .
الانسة ليلى سليم القاضي ، بالعربية .

رقم ٥ — « القضية الفلسطينية في ٣٣ مؤتمراً دولياً » .
الانسة ليلى سليم القاضي ، بالعربية .

رقم ٦ — « المساعدات الأميركية والألمانية الغربية لاسرائيل » .
الاستاذ أسعد عبد الرحمن ، بالعربية والانجليزية .

رقم ٧ — « عرض موجز للقضية الفلسطينية » .
الاستاذ الحكم دروزة، بالعربية، والانجليزية ،والفرنسية .

رقم ٨ — « الصحف الاسرائيلية » .
الآنسة ساوى حبيبي ، بالعربية .

رقم ٩ — « الحياة السياسية في اسرائيل » .
الاستاذ رفيق مطلق ، بالعربية .

رقم ١٠ — « المعهد الأفرو - آسيوي في تل أبيب » .
الدكتور فايز صايغ ، بالعربية .

(٥) سلسلة « اليوميات الفلسطينية »

١ — «المجلد الاول» من ١/١/ — ١٩٦٥/٦/٣٠	١٠ ل.ل
٢ — «المجلد الثاني» من ١/٧/ — ١٩٦٥/١٢/٣١ .	١٠ ل.ل
٣ — «المجلدالثالث» من ١/١/ — ١٩٦٦/٦/٣٠ .	١٠ ل.ل

(٦) خارطة فلسطين الجدارية :

١ — خارطة فلسطين الجدارية ١٤٠ × ١٠٠ سم .
الاستاذ سعيد الصباغ . ٦ ل.ل

مطبعة الغريّب
بيروت – شارع هوفلان – هاتف ٢٤٦١٨٥